كتاب الهلال

سلسلة
ثقافية
شهرية

# الصعلوكى فى بلاد الأفريكى

محمود السعدنى

# كتاب الهلال

**KITAB AL-HILAL**

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير : كامل زهيري

**العدد ٢٠٣ ذو القعدة ١٣٨٧ فبراير ١٩٦٨**

**No. 203 — Février 1968**

**مركز الادارة**

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

التليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )


**الاشتراكات**

**قيمة الاشتراك السنوى** : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ — فى سائر أنحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٤٠ شلنا — والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى (ج•ع•م) — والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة •

# كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشـــة

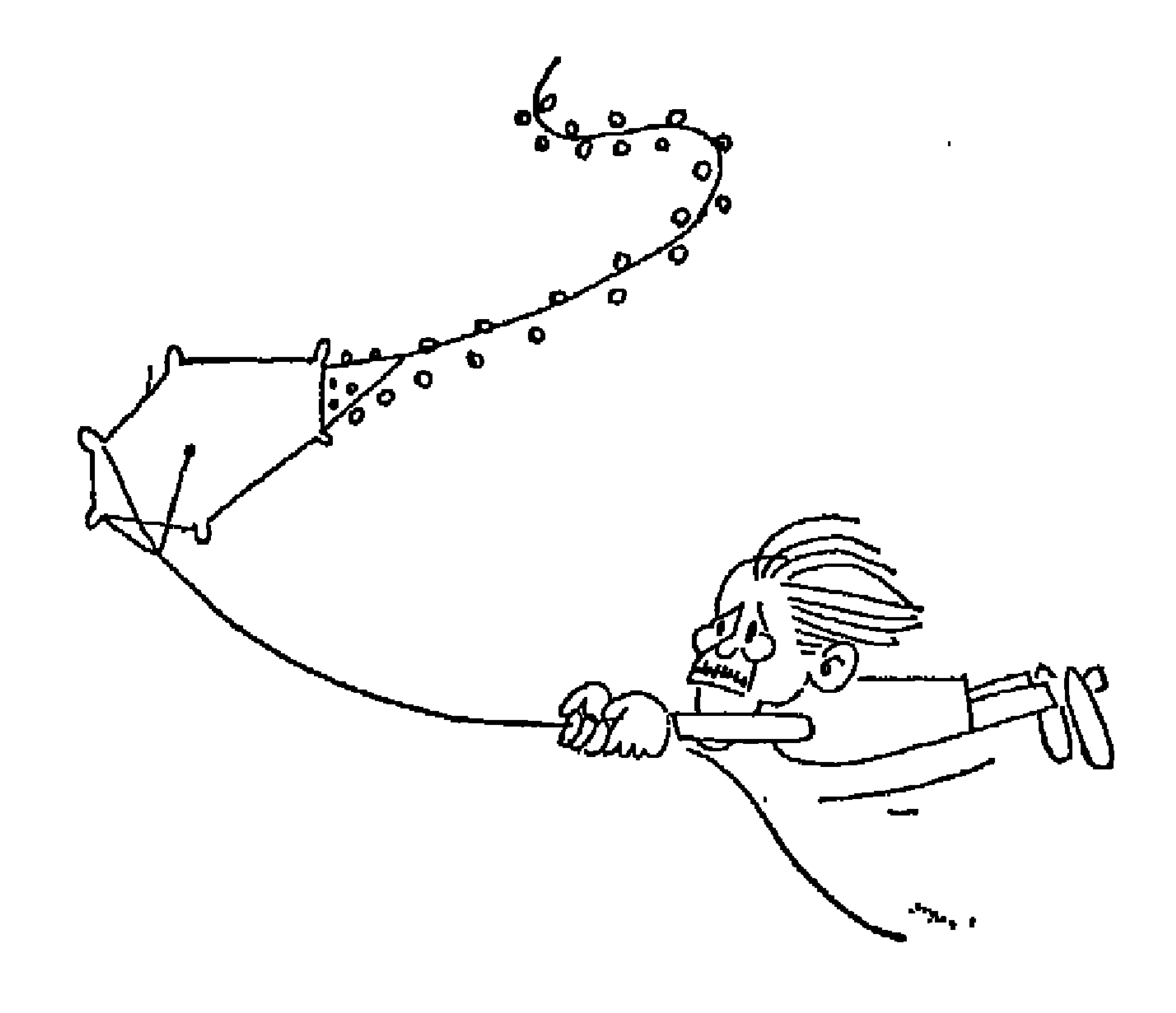
الفنان بهجت عثمان

محمود السعدنى

# السعلوكى في بلاد الأفريكي

دار الهلال

# السلعوكى .. والصعلوكى



فى البداية .. وانا راكب فى الطيارة الروسى الضخمة كما عمارة روزاليوسف ، تعبر بالعبد لله بحر الرمال الواسع الشاسع الذى ليس له برور ، قاطعة قارة الثروات والثورات افريقيا أمنا وحبنا ، فى هذه اللحظة بالذات وانا ألقى نظرة خائفة من ارتفاع عشرة كيلو مترات على الصحراء الافريقية الكبرى ، وأبخرة تتصاعد وتندفع مع الريح على وجه الرمال المحرقة ، والشمس فوق فى العلالى كما فرن بلدى مولع منذ عديد من الأزمنة

والجو فى الطيارة حر يشوى الوجوه والجلود رغم الضغط وتكييف الهوا .. فى هذه اللحظة بالذات قررت تغيير اسم السلسلة التى أنوى كتابتها من الصعلوكى فى بلاد الافريكى .. الى السعلوكى فى بلاد الافريكى .. ذلك لان هناك فارقا عميقا بين المعنيين ! .. فالصعلوك كلمة عربية فخيمة لها رنين .. كان العربى يتصعلك عندما تزجره القبيلة التى ينتمى اليها .. تطرده من ديارها وتطارده كما الكلب الجربان ، وتهدر دمه فيصبح كما وحش فى الصحراء من يلقاه يقتله وله الأجر والثواب عند الله ! وكان الصعلوك من دول اذا قرر أن يتصعلك سحب هراديبه ودواوينه معا .. فقد كان أغلبهم شعراء .. وسار متخفيا فى الليل .. يضرب وحيدا فى الصحراء حتى يلقى صعاليك

أمثاله فيصبح واحدا منهم ، يشـــتمون الناس ويسبون الأقربين والأبعدين .. يسطون على القوافل ليس من باب السرقة ولكن من باب الشقاوة والمزاج .. وهكذا أصبح الصعاليك وصف تحقـير للمتمردين من أبنـاء القبائل ، فالشخص يتصعلك أي يتمرد .. أى يثور .. فهم ثوار ولكن بلا ثورة ، وقواد بلا جيوش ،وأصحاب نظرة اجتماعية فى غير مجتمع ، واشتهر من بينهم كثيرون ربما لو تأخر بهم الزمان الى زمن آخر قريب لصار لبعضهم شأن فى الفن ، ولصار لبعضهم شأن فى الخطف .. فلقد كان من بينهم فنانون مثل عروة وتأبط شرا ، وكان من بينهم حرامية ولا المرحوم الخط ، من بينهم دبيب .. لانه كان اذا سار على الرمال دب كأنه بقرة سمينة تستحق الحلب !

الصعلوكى اذن لاتنطبق على العبد لله .. هاأنذا راكب فى طيارة ولا عمارة روزاليوسف أنيقة كما المركب ايزيس ، مريحة كما ســـيارة رولزرويس ، أمان ولا بيت على الارض ! صحيـح ليس فيها ليمونادة ، وليس فيهـا شيكولاته .. والاكل فيها بعيد عن السامعين ، ولكن فيها الشيء المهم والاهم ، وهو أنك تركب فيها وأنت واثق ابن واثق أنك نازل منها باذن الله على وش الأرض .. وأنك لو قدر لك الموت فيها فستموت بالسكتة أو بالجلطة أو بالجوع !

أنا اذن راكب مجعوص على كرسى جلد منفوخ محشو بريش النعام أو لعـله ريش الطاووس ، وتكييف الهوا شغال ، وفى يدى جريدة وبين أصابعى سيجارة وفى جيب بنطلونى ولاعة رونسون آخر طراز لهفها منى واحد صديق الله يسامحه ويرحم والديه .. وفى جيب جاكتتى عملة صعبة ، جنيه استرلينى على دولار أمريكى على فرنك

سويسرى ، وحالتى بمب والأشيا عال وكل شىء على ما يرام .. ومع ذلك فأنا خائف كحرامى ، مرتعد ككلب مبلول ، مذعور كفار مسلوخ عكمته قطة براها الجوع ! انظر بحسد الى الصحراء الكبيرة تحت منى أتمنى لو كنت واحدا من رجال الطوارق سارح بجملى فى النهار أقطع بحر الرمال الشاسع الواسع على مهلى ، أفكر أحيانا واشعر أحيانا وأسرح أحيانا .. ولكن قلبى مطمئن انه مهما طال الزمن فأنا حتما واصل باذن ربى ! لماذا العجلة التى هى من الشيطان ؟ حكمة أجدادى الأزلية والأبدية .. كأنهم كانوا يقرءون الغيب ، كأنهم كانوا ــ عندما نطقوها ــ يفتحون المندل ، العجلة من الشيطان ، أى عجلة .. عجلة بسكليت ، عجلة موتوسيكل ، عجلة لورى ، عجلة ترماى ، عجلة طيارة ، المهم لا تركب عجلة واركب الصعب ، فالعجلة ما أخطرها لأنه ما أغدرها ! ليس أعظم من القدم مركوبا مأمونا بأذن ربى وأركب قدما فأنت واصل فى أمان الله ، قدم حمار حصاوى قدم جمل هجين ، قدم حصان سيسى ، المهم قدم والسلام ، وقد يقول قائل ما قولك دام فضلك تركب قدمك فيلهفك ترام أو يدوس عليك تروللى باس أو يمسح بك الشارع ترماى ؟ وجوابى على هذا السائل الفاضل أن الذى قتلك ليس قدمك ولكنها العجلة .. والعجلة من الشيطان ، وويل لك اذا ركبت العجلة وويل لك اذا ركبت العجلة عليك !! . أنا خائف اذن فأنا لست صعلوكا لان الصعلوك متمرد والمتمرد لا يخاف ! أنا لست صعلوكا اذن من أكون ؟ ليس فى اللغة العربية كلمة تنطبق على حالى ، ولكن الست والدتنا نحتت كلمة فى العربية تستحق أن تدخل فى القاموس .. ولو ذاعت وشاعت لاستحقت أمى عنها حق اداء علنى كما

الشاعر الغنائي مأمون الشناوى ، كانت أمى تطلق على الصايع المشاغب كلمة شضلى .. وعلى الصايع المسالم كلمة سعلوك .. ليس افضل من سعلوك تطلق على العبد لله فى مثل هذا الموقف .. وهى كلمة ذكية لم تكلف أمى الا تغيير حرف واحد فقلبت المعنى رأسا على عقب .

السعلوك اذن هو صعلوك ، ولكن بالمقلوب . السعلوك هو صعلوك مقلوب زرع بصل . والسعلوك صعلوك ولكن غلبان ، صعلوك ولكن مسالم ، صعوك ولكن فى طيارة روسى جبارة تعبر بحر الرمال الواسع الشاسع الى قلب أفريكيا. السعلوك صعلوك ولكن اسمه محمود السعدنى ..

أنا صعلوك اذن ولكننى سعلوك وخائف جدا .. درجة خوفى وأنا فى الطيارة تجعلنى أبحث عن وصف آخر غير السعلوك ، ولكن فى ساعة الخوف لا يحسن الانسان التفكير الحسن ! .. اذن يكفى جدا اضافة حرف الياء على السعلوك لأصبح سعلوكى ، وهى كلمة تؤدى المعنى تماما ، فأنا سعلوكى أى انا سعلوك خائف خوف الابل ، ولو كان زكريا الحجاوى معى فى الطائرة أو الخميسى أو محمد علوان لأضفت على الكلمة واو ونون فتصبح سعلوكون ، لان كلا منهم جمع سعلوك ! .. ولو كان معى واحد منهم فى الطائرة لمات فيها قبل أن نعبر الصحراء الواسعة من شدة الرعب الأزلى ! ..

ما علينا . فقد انتهت الفذلكة التاريخية حول صعلوكى وسعلوكى ، وانا الآن فى طريقى الى افريكيا ، انا السعلوكى كما اتفقنا ، ومعى كتاب عن افريكيا ، وفى رأسى أوهام عنها .. وفى جيبى شهادات تطعيم تكفى قبيلة لأتجنب شرور وحرور أفريكيا ، شهادة تطعيم ضد الحمى الصفراء ، وشهادة ضد الجدرى ، وشهادة ضد الزهرى ،

وشهادة ضد أمراض اخرى كثيرة لم أسمع بها ولم أسمع عنها من قبل ! وأنا والحق أقول أعبر بحر المانش ولا تنغرز فى بدنى ابرة ، انا اخاف الحقن كما يخاف الطفل من أبو رجل مسلوخة ! . ولذلك فكرت أن أتمرد ، هممت أن أصبح صعلوكا فلا أتناول حقنة ولا شهادة وأركب الطائرة واتوكل على الله ! . .

هذا التخويف الشديد جعلنى أرتاب فى الامر ، هل افريقيا ثورة أمراض فتاكة ؟ وميكروبات عضاضة ؟ والداخل فيها مفقود والخارج منها مولود باذن الله ! هل صحيح ان فيها بعوضة تلبد فى جسم الواحد لا تتركه الا اذا مصت دمه ؟ وذبابة اذا لطشت النفر منا نام . . وارتمى بين الظلام على رأى كامل الشناوى ؟ هل فيها سحلية اذا عكشت فى ساق راجل لا تتركه الا فى قرافة الامام ؟ . . وهل فيها عقارب صفراء اذا هرشت سخص من السخوصة أمثالى فيارحمة ربى عليه . .

طيب لو كانت أحراش افريقيا كلها عقارب وأنهارها كلها تماسيح ،وأعشابها تحت منها سحالى ، وجوها كله بعوض وذباب قاتل . . اذن كيف ذهب الاخ ستانلى والاخ ليفنجستون ؟ . وكيف سافر اليها أول رجل أبيض فى الزمن الغابر البعيد ؟ ينهب منها ذهبا أصفر وعاجا أبيض ويخطف منها رجالا كالورد ، ويبيع للآخرين خرزا ملونا وصفيحا يشخلل وأشياء بلا قيمة ومن سقط المتاع ! .

هل حصل ستانلى على شهادة تطعيم ضد الجدرى ؟ هل تناول حقنة ضد الحمى الصفراء ؟ . . اذن كيف ذهب وعاش هناك وتزوج ونسل وفتح بوابة أفريقيا لكل أفاق ولكل خطاف ولكل عابر سبيل أبيض ، نهبوها أولاد الهرمة وخطفوا كنوزها وسفوا خيراتها واغلقوها فى وجوهنا ؛

وخوفونا ولا أطفال نخشى البعبع ... وقالوا حذار أن تذهبوا الى أفريكيا ففيها بعابع تأكل الناس همهم ! وفيها عفاريت زرق تشفط الدم من الابدان .. ياماما ! .. وفيها امراض تفتك بالناس ولا فتك القنابل الذرية !

وصدقنا الحكاية وانبسطنا وقعدنا فى حدودنا نذهب الى أوروبا ولا نذهب الى افريكيا .... ونتصرمح فى لندرة واللندناوى يشتغل فى أكرا .. ونسهر فى باريس والباريسى ابن مونبارناس يسهر الليل فى كوناكرى ، وهم يشفطون فلوس افريكيا فى السر وعلى المهل ، ونحن نذهب اليهم نفرغ جيوبنا عندهم ونعود ! حكمة الله اننى فيلسوف ولكن حكمة الله أيضا اننى خواف ، عقلى يرفض حكاية البعوض والذباب والسحالى وقلبى يتنطط كفرخة فى يد جزار مدرب ، ولكن لاننى سعلوكى أصيل امتثلت للخوف ، مددت ذراعى لتندب فيه أكثر من ابرة ، وفتحت فمى لأبتلع أكثر من حباية وأكثر من سفه ، وملأت شنطتى بحبوب للملاريا وحبوب للكوليرا وقطرة للعين ، وباستيليا للزور ودهان لجلد الانسان وبودرة للرش بعد الحموم .. وتوكلت على الله وارتديت سروال منوفى طويل لسببين ، السبب الاول جغرافى ، فساحل افريقيا الغربى يعيش الآن فى الشتاء ، وما دام هناك شتاء فلابد أن هناك بردا ، ومادام هناك برد فما أحلى السروال الطويل فى ليالى الشتاء ! ..

والسبب الثانى حداقة وتفتيح عين من العبد لله ! .. فهذا السروال الطويل سيحمينى من البرد ، وسيحمينى أكثر من لسع البعوض .. أى بعوضة ولو كانت افريكية صحيحة لا يستطيع خرطومها اختراق هذا القماش المحلاوى المتين ، وأى عقربة ولو كان زبانها فى حدة لسان العبد لله فلن تستطيع لكشى ولا هرشى .. سيقف زبانها عند

السروال وكان الله يحب المحسنين ! ..

وارتديت فانلة بكم طويلة كريشة اشتريت منها دستة من سمعان برخص التراب .. وأخذت معي بطارية أكشف بها طريقي وسط الدروب الضيقة في الغابة الكثيفة ، واسترشد بها وسط الاحراش التي تخفي الثعابين في كل خطوة واستضيء بها وأنا اتمدد على السرير لعل ثعبانا ثقيل الدم يحاول الهزار السخيف معي وأنا نائم متمدد ..

وسحبت على رأسي برنيطة معدن .. فضة ، لامعة ولا سرير السلطانة الوالدة كان قد أوصاني بها صديقي عبد الحميد حمدي مدير مطافي شركة شل ، قال انها : تعكس الشمس الحارقة وتردها الى الفضا البعيـــد . وانها البرنيطة الوحيدة والاكيدة لتعود لنا ســـالما غانما من رحلتك في افريكيا . وصديقي عبد الحميد هاوي حريقة حتى انه بالنسبة للحريقة كما قيس للست ليلى . وحتى أصبح من شدة حبه وغرامه للنار أن الناس في السويس شطبوا اسمه واطلقوا عليه اسم عبد الحميد حـريقه ، وليس أسعد منه في الدنيا بهذا الاسم الرومانسي الحالم اللذيذ !!

المهم .. أنني دخلت الطيارة كفارس من فرسان العصر الوسيط في طريقي الى غـزوة في ســبيل الامبراطور شاهبور ! لم يكن ينقصني الا كمامة لاصبح مسـتوظفا في مصلحة الوقاية المدنية من أخطار الغارات والغازات والموت السريع ! لم أنس أيضا أن أحصل سرا على مطوة مسنونة لاستخدمها اذا حدثت غارة على العبد لله وأنا في البراري البعيدة . شيء واحد نسيته هو القردة شيتا لاصبح مثـل الاخ العزيز طرزان . ليس السبب هو عدم وجــود قرود في القاهرة ولكن لسبب اخر هو السـخص الذي هو أنا .

فسأصبح مسخة ومضحكة اذا خلعت هدومي وسط البراري والاحراش . فالاخ طرزان له بزاز ولا بزاز عمنا ليستون . وله شعر مسبسب ولا شعر المطربة صباح . وله جعورة ولا كبير مشجعي النادي الاوليمبي . وانا لو خلعت هدومي وبانت عظامي وضلوعي وجلدي وشغتي فستطمع في العبد لله ليس الوحوش الكاسرة ولكن الوحوش الضعيفة . ستهاجمني السحالي والضفادع وقد تهاجمني الفئران أيضا ، فأنا بالنسبة لهؤلاء جميعا فرصة العمر ليحرزوا نصرا على ضعف البني آدم يتغنى به شعراء السحالي والضفادع من هنا والى يوم أن تقوم القيامة !! أنا داخل تروسي ودروعي أصبح بقيمتي ، وقد ينطلي الزور على الحيوان البرىء فيظنني واحدا من فصيلة طرزان ولكن على سبيل العينة ! وأنا وكل الناس الطيبين من أبناء جيلي لا أظن أنهم تلقوا معلوماتهم عن أفريقيا الا بين جدران سينما مترو ، عمك طرزان ممشوق القوام كنخلة ، بارز العضلات كخوابير مصلحة المجاري ، وشعر صدره يصلح باروكة لمذيعة في التليفزيون العربي . وعيناه تضربان شرارا ، وقبضته تقتل أسدا ، وشيتا وراءه خدامة مطيعة !! والافريكي طويل وهايف ، عريان كما ولدته أمه ، غبي كحمار الوحش ، جبان كما سعلوكي ، وتعابين جبارة تسرح في الليل البهيم ولكن مطوة طرزان لها بالمرصاد ، وفهود غدارة تشمشم حول الخيمة ولكن قبضة طرزان تطرحها أرضا ، وجحافل من بشر أفريكيا تهجم عليه ولكنه بصرخة واحدة يبدد الجحافل والقوافل ويقفز من شجرة الى شجرة ويغطس في البحيرة ليظهر فوق قمة جبل مهجور

هذه أفريكيا سينما مترو ، وأنا طرزانها ، ومن باب التواضع .. ترزانها ، ينقصني الان مخرج وكاميرا لنكسب

ملايين الجنيهات وأصبح نجمة ولا استر وليامز !

ورغم انى طفت بعدد كبير من بلاد أفريكيا من قبـــل ، الا أن محاضرات سينما مترو لم تخـــرج من دماغى • أنا مثلا مسحت الشاطىء الشمالى الافريقى كله • أخذتهـــا بسلام الله من طنجة الى مليلة الى تلمسان الى الجـزائر الى تونس الى طرابلس الى الاسكندرية ، وتوغلت داخل أفريكيا الى الخرطوم • ولكن خبراء أفريكيا الكبار أكدوا لى جميعا أن أفريكيا العربية غير أفريكيا الســوداء ، وأن علمـــاء الافريكولوجيا يقسمون أفريكيا الى قسمين ، أفريكيـــا الشاطىء الشـــمالى وأفريكيا ما وراء الصـــحراء • وأن السينما الامريكية لم تسجل الا نقطة فى بحر ، ولم تظهر الا قليلا من كثير •• وقالوا اذهب الى هناك وسترى العجب العجاب ، سترى مناظر لا يمكن تســـجيلها بالكاميرا ، ورجالا كالمردة لا تستطيع أن تفرق بين الواحـــــد منهم والشيطان ، وسترى الطفل الرضيع يلعب وسط الغـــابة ليس بدمية ولكن بأسد ، واذا قدر لك أن تنجو من أحراش وغابات أفريكيـــا فعليـــك واجب ثقيـــل ، هو أن تروى للاجيال القادمة القصة الحقيقية للقـــارة التى عاشت ، أغلب الزمان فى ظلام ••

هذه أيها الناس هى المصادر الحقيقية والمنابع الاصلية التى نهلت عنها كل معرفتى بأفريكيا ، بالاضافة الى تجربة شخصية حدثت لى أيام الحرب ، وكان فى مصر عساكر من كل الملل وجنود من جميع الاجناس • ولكن الجنس الغالب كان جنس الافريكان • وأشهد أنهم كانوا أشد الجنـــود شراسة وأشدهم ضراوة ، وأكثرهم استعدادا للعـــراك والخناق ، وكانوا يسرحون فى حوارى الجيزة فى مجموعات كأنها القبائل ، مفلسين ليس معهم شىء ، ســـكارى من السبرتو ، يغنون غناء كأنه البكاء ، يبيعون للنـــاس أى

شيء وكل شيء مقابل زجاجة طافيا ، وحتى الطافيا لم يكن يحصلون عليها ، فقد كان الناس يغشون الطافيا فيضعون فيها مية طرشي وأشياء أخرى لا داعي لذكرها حتى لايتقيأ الافريكي الذي شربها وهو الان على بعد مئات من الاميال !!

ولقد صادقت منهم عساكر ، وصاحبت منهم أومباشية ، ورأيت عددا منهم في رتبـــة الشاويشية ‥ ولكن الشيء الذي لفت نظري حقا هو أنه لم يكن من بين الافريكان ضباط

ومن زجاج الطائرة المعلقة في العـــلالي كما سـفينة جاجارين تذكرت أسماء كل العساكر الافريكان أصحابي، الذين عرفتهم خلال الحـــرب وأكلت معهم عيش وملح ، وتصافحنا أحيانا بالايدي وأحيانا بالمطاوي ، وهبرت من بعضهم نقودا ، وخطفت من بعضهم برانيـط الجيش ‥ ماير ، وكاتاكش ووليم ، وأدونجي ، وكولونجي وساكي ، وعشرات غيرهم كثـيرون ! وكان بحـر الرمال الواسـع الشاسع لا يزال يترامى تحت جناح الطائرة بلا برور ‥ لا شيء في الافق الا شمس الشموسة وصهد يكتم الانفاس وحر قاتل يشوي الناس كما تشـــوي النار كيزان الذرة الخضراء على شـــارع الكورنيش ! ولمحت وسط الصحراء نقطة خضراء على بعد سحيق كأنها في قارة أخرى جديدة ‧ وانطلق صوت ناعم في الطائرة يعلن وصولنا الى باماكو عاصمة مالي ‥ البلد الذي شهد أغرب وأعجب تجارة في التاريخ ‥ تجارة الرقيق ! اسم البلد نفسه كان ساحل العبيد ، كان في البلد يوما ما سوق دائم ليس للطمـــاطم والكوسة والبطيخ ولكن للبني آدم ، يجرونه في الحبـال ويسوقونه بالكرباج ويعرضونه للبيع في المزاد !! حكايات كثيرة سيأتي ذكرها في قادم الكلام ! ‥ المهم أننا الان في باماكو ، نحن الان في أفريكيا السوداء ، أفريكيا طرزان والقردة شيتا ، أفريكيا ما وراء الصحراء ‥

# السعلوكى فى بلاد الافريكى



انفتح باب الطائرة الروسى الضخمة على أرض مطار باماكو وكأنما انفتحت بوابة جهنم .. أعوذ بالله من هذا الشرد اللعين الذى يقصف الاعمار قبل أوانها ويسوى الطفل كهلا كما تسوى النار المشعللة قطع اللحم وتدهنها بلون الفحم ! الحر هنا فى باماكو حر له وزن وله كثافة .. حر محترم احترام كابتن كورة أحرز هدفا فى البرازيل ، حر له حيثية وله كيان وله وضع اجتماعى ممتاز حر - أعوذ بالله - تستطيع لو أردت أن تقبض عليه بيدك ، وأن تربى منه مجموعة فى عشة فوق السطوح .. ولو أنا فى بلد مثل باماكو لشيدت مصنعا عظيما لتعبئة الحر فى أزايز وبيعها لناس لندن وباريز فهذا الحر الذى هنا حر من لون جديد ، وأنا على طول ما لفيت وعلى طول ما نطيت لم أشهد حرا كهذا ، لا حر أسوان ولا حر الحديدة ولا حر الخرطوم ولا حر قنا الذى قال فيها حفنى ناصف وقنا عذاب النار !! لو أن حفنى ناصف ذهب الى باماكو لاعتذر لقنا ولعاش فى قنا باعتبارها قطعة من بلاد بره ! هذه باماكو اذن ، حاضرة عربية قديمة عظيمة ، وصل اليها والتاريخ لا يزال طفلا يرضع أولاد محمد رسول الله فأقاموا فيها أمارة ونشروا فيها حضارة ، وكان ملكها العظيم منسى موسى ملك مالى

هو الذى هرش مخ أوروبا ولوى عنقها نحو أفريكيا وجعل الدول الكبرى كلها تتلمظ على الضحية التى لا يسيل من عروقها دم ولكن ذهبا وتوابل ومعادن على قفا من يشسيل .. فلقد كان الاوروبى وهو فى قمة مجـــده ، أيام عصر النهضة ، عبيطا بريالة ، جاهلا كغفير نقطة جنزور ، أميا لا يعرف الفرق بين أفريكيا وأمريكيا .. وكانوا يعتقـدون أن الفلفل الاسود والفلفل الاحمر والمستكة والحبهان تأتى من الجنة ، وكان نهر النيل اسمه نهر الجنـــة ، وكانوا يظنون أن التوابل تتساقط من شجر طويل ينمو على حرف النهرويحملها التيارمعه الى القاهرة حيث يصطادها الناس المتسكعين على شاطىءالجيزة بالسنارة وبالشبكة ..ولم‌يكن مماليك مصر فى ثراء ..«مماليك» أوروبا ولكنهم‌كانوا أحذق من نشال وأنصح من العفاريت الزرق ، وهم الذين بدعوا هذه الروايات وروجوها على بتوع أوروبا أولاد الهبلة لكى يضربوا نطاقا من الغموض حول القـــارة والتجارة ، حتى لا يأخذ الاوروبيون عساكرهم ومدافعهم ويقتحموا أفريكيا فيلهفوا خيراتها وينهبوا كنوزها وتخرج مصر من المولـد بلا حمص ، وكانت وقتئذ تعيش على ما تحصله مصلحة الجمارك من أموال ! المهم ، كان ياما كان ولا يحلى الـكلام الا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام ، أن هذا الملك الكبير الكريم منسى موسى جاء الى القاهرة فى طريقه الى الحـــج ، ومعه حاشية ، ومعه قافلة ، ومعه ذهب أصفر رنان ، ومعه فلفل أسود يكفى لعمل حلة سلطة يوميا لمدة عشرة أجيال .. وخطف بريق الذهب أبصار بعض التجـــار الاجانب لعلهم كانوا بقالين من اليونان ، فعندما ذهبوا الى الشاطىء الاوروبى فبركوا القصة فاذا بها ملك أســـود يرتدى زيا فضفاضا ، أصفر فى أصفر ، عليـه تاج من الذهب ، وفى قدميه حذاء من الذهب ، وحول وسطه حزام من الذهب ،

وفى يده سيف من الذهب ، يشرب فى كأس من الذهب ، ويأكل فى سلطانية من الذهب ، فاذا تكلم أو تنفس لايخرج من صدره هواء وانما عروق من الذهب الخـــالص ! تلك كانت البداية ، ويا داهية دقى على الذى حصل للقـــــارة الغلبانة أفريكيا بعد ســـنوات من ذيوع هذه الرواية .. هجمت السفن الاوروباوى كالكلاب المسعورة على الشاطىء الافريكى تهبر توابل ومعادن ، ثم لم تلبث أن تركت هذه الاشياء جانبا وراحت تهبر رجالا يبيعونهم فى السوق كما تباع الكوسة والباميا الخضرا فى ســـوق العتبـة ! وبلغ ما خطفوه مائة مليون رجـــل أفريكى لو ظلوا فى أماكنهم لصنعوا من أفريكيا جنة الله فى أرضه .. ولكن حـــكاية الرقيق وتجارة الرقيق لم يحن وقتها بعد ، وسيأتى الكلام عنها بالتفصيل فى قادم الفصول ..

المهم أننى نزلت باماكو والدنيا أشـــــد حرارة من نار جهنم ، والهواء مات منذ عشرة قرون .. والشمس ليست فى السماء ، ولكن السماء كلها شمس وكلها محـرقة .. لا طير يرف فى الفضاء لان أى طـــير يقل عقله ويطـير ولو على ارتفاع قدم لهـــــوى على الارض مشـــــويا باذن الله .. ولو ولد مصرى حـــدق مفتـــوح العين كبابجي من محلات الشيمى يسافر الى هناك ويفتح محـل كباب وطيور مشوية لاصبح بنكيرا فى خلال عام ، فـــلن يحتاج الى فحم ولا فرن ولا مروحة يهوى بها على النار .. يكفيه اذا طلب الزبون حماما أن يطلق الحمام فى الجو .. وسيسقط الحمام بعد لحظة مشويا فى طبق من الفخار . ها هى معلومات سينما مترو تتحقق فى باماكو ، النـــاس هنا طوال كنخل الحوامدية ، أرشـــق من خشب الزان ، أسود من منجم فحم ! ولكن الملامح حلوة ، العيون مشروطة، الانف مدببة كسن القلم الرصاص .. الشفايف مبطرخة .

والست هنا تكشف عن رأسها ، والرجل يخفى وجهه بلثام ! هؤلاء هم أبناء الطوارق ·· عرب صحراء أفريكيا الكبرى ، أشجع وأجدع رجال على ظهر الارض · الذين حاربوا استعمار أوروبا ببسالة وبهباله ·· ودخلوا على المدافع بمطاوى واقتحموا الحصون بسكاكين وأدوات مطبخ ايديال !!

واللثام ضرورى وواجب فى الصحراء · لان الصحراء غدارة ، وفيها تلال تتحرك كالثعابين السامة ، ورياح تردم الناس أحياء ، وأعادى ما أكثرهم فى الفلاة ! والمدينه نظيفة وجميلة ولكنها ليست تماما أفريكية ، أعظم وصف لها أنها مدينة صحراوية ، ولكن على بعد بعيد منها تمبكتو ، أجمل وأكمل بلد فى الصحراء الافريكية ، حلم السادة تجار أوروبا فى العصر القديم ، ولكنهم أبدا لم يستطيعوا دخولها ، وحلم السادة مخرجى هوليود فى العصر الحديث ، وأفلاما عنها أنتجوا ، وروايات حولها نسجوا ، وخرافات من جوها صنعوا ، وكسبت هوليود ملايين الدولارات من تمبكتو ولم يستطع تجار أوروبا الاقدمون أن يكسبوا منها فلسا ، الاستعمار الجديد هزم الاستعمار القديم وبالكاميرات دخلوا تمبكتو وبالمدافع لم يستطيعوا دخولها! باماكو الجبارة وتمبكتو العزيزة ومالى وأفريكيا وكلمات عربية يهمس بها رجل فى أذنى ·· وكان أول لقاء بيننا ولكنه سيمتد ، وسيكون الرجل اياه رفيق رحلتى الى داخل أفريكيا ·· رجل يرتدى جلبابا وعقالا ومعه مسبحة من حبات الزيتون ، رجل عربى يقول الشعر ·· وهو من بلاد الرجل دايما فيها ثرى ودايما أمثل ودايما له لحية ودايما يرتدى الحرير الهندى ودايما معه سيارة كاديلاك ودايما معه فلوس فى البنك ·· ولكن لان الطيور على أشكالها تقع ، فقد كان العربى الوحيد الذى وقع فى قرعتى مجاهدا يحلم

بالاشتراكية ·· مكافح هربان من بلاده فى طريقـــه الى مؤتمر آسيا وافريكيا · غلبان أغلب من عبد حبشى ، مفلس ولا مسجون خارج من تأبيدة ، مصلح اجتماعى ولا أبو ذر الغفارى ، ثائر تكاد أعماقه تحترق ولا الحـــريقة المشعللة فى جو باماكو ! والعربية هنا مفهومة ومستعملة، وواحد من أبناء محمد يركع ويسجد فى الطريق ووجهـــه نحو القبلة · ولكن الرجل العربى خلع ملابسه وارتدى الملابس الاوروبية منعا للاحراج ·· فبلاده لها سمعة سيئة فى أفريكيا ·· فقصور السادة فى بلاده مليئة بالعبيد · والعبيد عندهم اسمهم التكارنة ·· والســـاحل الافريكى الغربى اسمه ساحل التكرون ·· وهؤلاء التكارنة لهـــم أقارب هنا ، وأعزاء على البعد لا يزالون فى شـــوق مقبم ! ومن أجل مائة قصر فاخر هناك ينسج الاستعمار قصصا حول العرب فى أفريكيا ·· وطول الليل والرجل العربى يثرثر على ودنه ، ومع أننا فى الليل وفى الهواء الطلق الا أننا كنا وكأننا لم نكن فى الخلاء فلم يكن ثمة هواء على الاطلاق ! وعسكرى أسود كأنه قطعة من الليـــل يتمشى أفرنجى على بعد خطوات منا ! والاوتوبيسات تجـــرى على الطريق أمامنا كما أوتوبيسات الخرطوم ·· أوتوبيسات من باب الدلع ·· عربيات كانت صناديق شاى فى الماضى البعيد ، ثم ظهر لها موتور كمـــا تظهر الدمامل فى جسم الانسان ·· والعربية من دول تقوم من محطة القيام وبعد كيلومتر واحد تشحط وتنقطع أنفاســـها وتموت ويتولى الركاب زقها حتى محطة الوصـــول ·· وهى وســـائل مواصلات باعتبار أن الانسان هو الذى يقـــوم بتوصيلها حتى لا تتوه فى الطريق ·· كارثة كبرى أنه بعد عشرات ومئات السنين من الاستعمار لا يجد الافريكى الطيب شيئا يركبـــه ·· والمدينة كلها نائمة وميتـــة بعد التاسـعة !

ولان الدنيا حر فقد كان السيد الخواجا يجد حيـــاته فى منزله ٠٠ فى حدائق كما حدائق الجنة ، وتكييف هــوا وحمامات سباحة ، ولان الاختلاط بالافريكان عيب ، فقـد كان الاوروبى يغلق بابه ويبتعد ! وكان على الافريكى أن يجد حياته فى المدينة تحت أى ظروف ، وكانت ظــروف معيشته دائما منحطة ، ولكنها عال ما دامت تحفظ عليــه حياته ليعاود العمل فى مزارع ومنـــاجم السادة البيض ! وفى الفجر انتهى الحر فى أمان الله ٠٠ وحمـــدت خفى الالطاف الذى نجانا مما نخاف ٠٠ غير أننى اكتشفت بعد فترة أن الذى أخاف كان لا يزال موجودا بخير ٠٠ الحر لم ينته ولكن أنا الذى انتهيت ٠٠ ســـاح عقـــلى فأصبح كالشـــيكولاته ٠٠ ووقعت ليس فى غيبـــوبة ولكن فى ديخوخة ٠٠ من الدوخة والعياذ بالله !! وقمت أتوكأ على أحمد صديقى الذى كان يظن أنه هو الذى يتوكأ على ! وعلى طول الطريق من المدينة الى المطار يلوح لنا ناس باماكو فى ود بالغ ٠٠ ولاح شبح ابتسامة على شفتى ٠٠ تذكـــرت المورى آبدو عسكرى مالى الطيب الذى صاحبناه وأحببناه ذات يوم من ايام الحرب الثـانية ٠٠ ورغم مرور أكثر من عشرين عاما على صداقتنا بالمورى ابدو ٠٠ الا أن وجهـــه الطيب السمح لم انساه ٠٠ ولقد صادقنا نحن شلة الجيزة لانه كان يشكو الوحدة،وصادقناه لاننا كنا نشكو الافلاس ٠٠ وبعد ستة أيام من الصداقة المتينة والكلام فى مســتقبل أفريكيا قررنا أن نهبره ٠ وذات مســاء طلب منـــا خمرا فطلب زعيم الشلة منه خمسين قرشا ٠٠ وكان فى نيتنـــا والله أعلم أن نشترى له زجاجة خمر مغشـــوشة بعشرة قروش ونلهف أربعين قرشا ٠٠ ولكن الرجـل الطيب ابن الناس المورى آبدو عسكرى مالى الطيب توقف فى ميدان الجيزة فجأة ، وقال اذهبوا أنتم بسلام ، اشتروا الخمرة

المعتقة وسأنتظر أنا هنا .. وكانت مفاجأة غريبة لم نتعود مثلها في صفقاتنا الماضية .. كان العسكرى الافريكى يعكم الواحـــد منا في قفاه فلا يتـــركه حتى يقبض على زجاجة الخمرة المغشوشة .. ولقد حدث مرة أن عسكرى أفريكى من دار السلام عكم العبد لله من قفاه حتى بعد أن استلم الخمرة .. وأصر على ألا يتركنا الا بعد أن يأخذ نقوده !

المهم أننا تركنـــا الموري آبدو واقفا في ميـــدان الجيـــزة وانصرفنا .. وبالطبع لست في حاجة الى أن أقول لكم أن أحدا منا لم يعد ! ولم يكن هذا هو الغريب في قصتنا مع عسكرى مالى الطيب المورى آبدو ولكن الذى سأحكيه الآن هو الشيء الغريب ! بعد أيام التقى المورى ابدو بواحد من الشلة يتمشى افرنجى على شارع الترماى . ووقع قلب أخينا في بطنه ونشف دمه وطقطق شعر راســـه من شدة الخوف .. ولكن المورى آبدو سأله في ود شـــديد عن « الاصدقاء » . ولماذا لم يعودوا تلك الليلة ! واخترع صاحبنا قصة ترشحه للتأليف في مسرح ساعة لقلبك ، قال ان أولياء أمورنا قبضوا علينا فى نفس اللحظة التى كنـــا نشترى فيها الخمرة ، وأنهم ساقونا امامهم الى البيـــوت مصفدين في الاغلال ولا رقيق اشتراهم خواجا من ساحل أفريكيا .. قصة مضحكة حقا ولكن المورى آبدو اســـتمع اليها ولم يضحك .. ولو اننى قصصت ذات القصة على ولدى اكرم الآن فلربما هزر معى هزارا شديد البواخة عديم الاحترام ! ولكن المورى آبدو أبدى شديد أسفه لما حدث لنا بسبب انه أراد أن يشرب كاسا في ليلة شتاء ! وتأسف صديقنا أيضا لاننا لم نرد له الخمسين قرشا في حينه وسحبه من أيده الى قهوة كنا نجلس عليها ولها اكثر من باب . ولعل هذه الميزة ــ اكثر من باب ــ هى التى

وشجعتها لنا دون قهاوى الناس للجلوس ... فلقد كنا نعيش فى ذعر دائم من عساكر الافريكان .. وكأننا أرانب صحراوية عليها أن تجد بابا للفرار اذا حانت ساعة العراك والخناق ! ووقف العسكرى المورى آبدو على الرصيف ، ودخل صاحبنا الينا ، فلما أبصرنا المورى آبدو واقفا يتطلع الينا تجمد الدم فى عروقنا فقد خطر لنا أنه جاء للانتقام ! ولكن عندما حكى لنا الصديق القصة خطرت لنا فكرة أخرى نهبر بها مبلغا يكفينا شر التهويب ليلتنا على كامب الافريكان ! وبعد لحظة ذهب الصديق الى المورى آبدو وطلب منه خمسين قرش أخرى لأننا لا نملك الا جنيها صحيحا ولا توجد فكة فى أى مكان ، وهكذا أخرج المورى آبدو الخمسين قرشا ببساطة ، وهكذا أيضا لهفها صديقنا ببساطة ودخل القهوة ، وهكذا أيضا خرجنا جميعا من الباب الخلفى ببساطة ، وتركنا المورى آبدو واقفا مكانه على الرصيف ينتظر .. ولعله لا يزال واقفا مكانه حتى الآن !!

نسيت أن أقول لكم ان المورى آبدو معناها المريد عبده ! حكاية قديمة تذكرتها وأنا فى طريقى من باماكو المدينة الى باماكو المطار .. والناس الطيبون يلوحون لنا بأيديهم لا لشىء الا لأننا غرباء ومن بلد بعيد ! زيارة خاطفة لمالى ولكن عميقة ! والرجل الذى لا أنساه شيخ فى السبعين شديد الباس ولا سيد نصير ، نظره على قده ولا الحكم صبحى نصير ، نحيف كما عامود النور ، سريع الخطوة ولا اكسبريس الصعيد ، كان قادما الى باماكو من رحلة طويلة فى الصحراء ، ومهنته دليل قوافل ، يتنقل بين ليبيا والجزائر والمغرب وموريتانيا ، واذا كان هو عنتر فالصحراء عبلته ، وهو أحيانا يقضى سنوات طويلة لا تقع

عيناه الا على اللون الاصفر .. الرمل وسادته والزلط .. نهر المياه الذى يعب منه فى أيام القيظ الاغبر ! عاصر الصحراء فى فترة غليان .. وشاهد فلول جيش الامير عبد الكريم الخطابى وهى تهيم على وجهها فى الصحراء ، وعساكر اسبانيا الذين طاردوهم مطروحين على الرمال الساخنة كالفسيخ البورى ! وهو دائما أثناء غزواته السلمية يرى فى الصحراء رحلات مريبة ، ست خوجاية حلوة ورجالة بيض بيض كالثلج الذى ينبت على قمم جبل اشانتى يضربون فى الصحراء الوسيعة .. وهو أحيانا يرى بعضهم فى رحلة العودة ، وان شئت الدقة يرى آثار بعضهم مجرد عظام نخرة وحولها زجاجات بيرة فارغة وعلب طعام محفوظة وشنط فيها ملابس قذرة !!

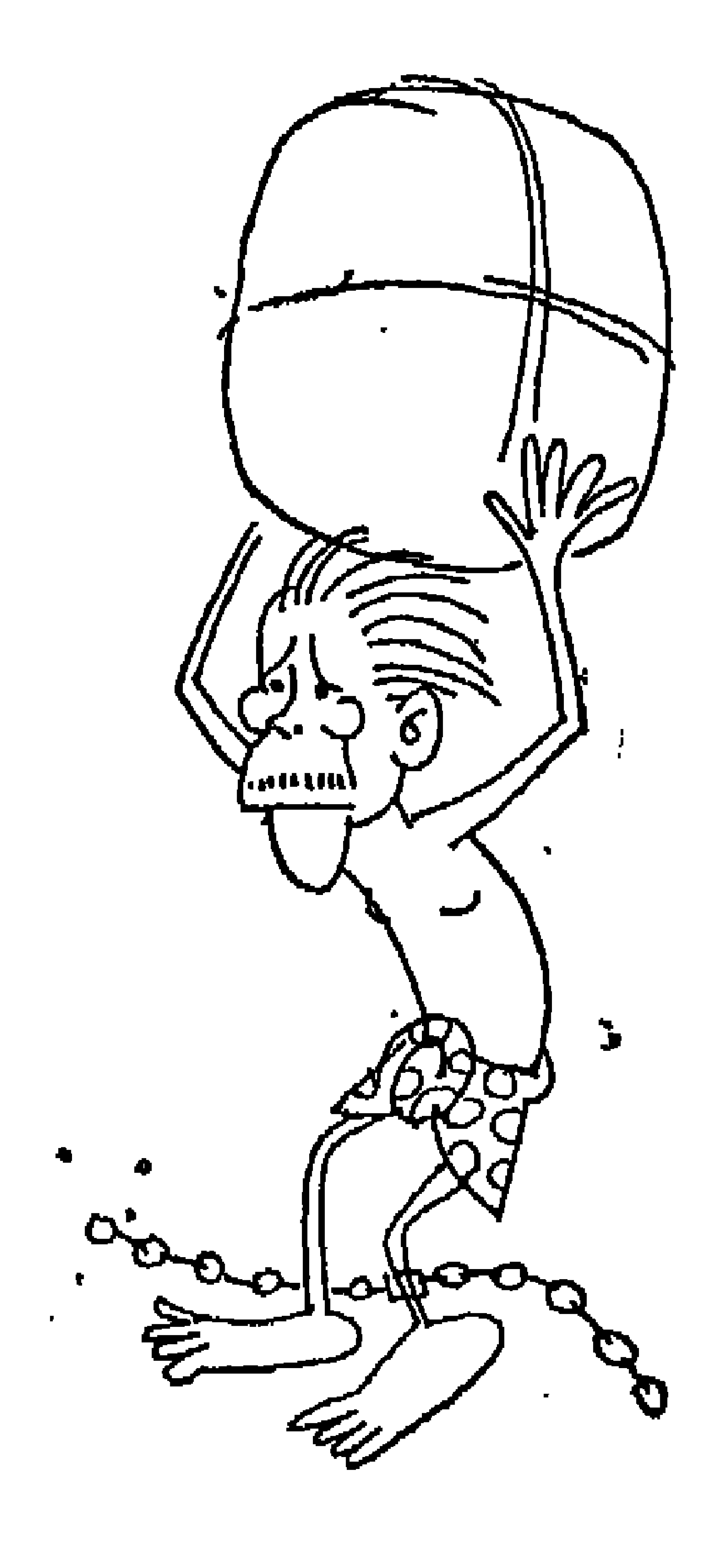
وسيدة أخرى من مالى كانت تعيش منذ عشرة أعوام فى النيجر .. التقت على الحدود هناك بمكافح جزائرى فى جيش الثورة . جريح كان يعانى من رصاصة اخترقت كتفه . وهى تتكلم فرنساوى والولد أيضا لبلب ! وتفاهما وتحابا وطارا معا الى تطوان فى المغرب وعقدا قرانهما فى قصر فخيم عظيم على تلال تطوان الحلوة . وكان القصر يملكه رجل جزائرى ثرى يعيش حياة مرفهة وله سمعة كالطبل فى كل المغرب !

ولكنها اكتشفت بعد يوم واحد أن القصر وصاحبه خدعة ، وانه مخبأ ومستشفى لجيش الثورة ! وبعد شهر ودعت الزوج على حدود وجدة . وذهب الى جبال تلمسان ولكنه لم يعد أبدا

وحتى بعد الاستقلال دخلت الجزائر وبحثت كالمجنونة فى كل شبر ولكنها لم تجد شيئا . فعادت الى بلادها ومعها صورة للشهيد الذى مات فى معركة بزوغ أفريكيا ! البنت

اشهد انها فى لون الشاى المغلى ، طعمة كما قطعة الخروب الهندى ملامحها أوروبية وعيناها فى خضار برسيم بلدنا .
سألتنا فى صوت ولا صوت الكمنجة :
ــ من مصر ؟
ــ نعم ..
ــ زرتها مائة مرة
ــ اعجبتك ؟
ــ لم أرها ولا مرة ..
قطعة الخروب الهنــدى .. ناوسا واسمها بالعــربى ناعسة ، تعمل مضيفة فى شركة طيران أفريكية . وهى زارت مطار مصر مائة مرة ولكنها لم تر مصر ولا مرة . رأتها من الجو بيوت كعلب الكبريت ! ..
وشوارع كابر الخياطة وحقول كالسجاجيد العجمى !!
الجو هو الآخر صحراء ، ليس فيه معالم وليس فيه مناظر ، وأى صلة وثيقة بدليل القوافل ومضيفة الطيران ؟
والطيارة الروسى الضخمة لا تزال رابضة على أرض مطار باماكو فى انتظارنا ، كأنها قدرنا يتبعنا . وكيف نهرب من أقدارنا وهى حكم علينا ؟
والطيارة الروسى تنطلق بنا فى الجو كوحش مجنون هارب من قفصه . وأنا نائم التهم أرزا مع الملائكة فقد أصبحت قريبا منهم . المسافة بين الطائرة وبين السماء فركة كعب وفى الحالتين معا سواء حلقت فى العلالى أم هوت بنا على جذور أعناقنا ! والصــــديق العــربى مصر اصرارا عنيدا على أن يسمعنى شعرا فى الثورة ! والى غانا .. الى قلب أفريكيا حيث نقضى شهرا طويلا جميلا ! ولسوف نحكى قصصا وحواديت وأساطير وتواريخ ما أجملها

# عبيد ليفربول.. أكثر سوادًا..



لا يمكن مهما قلت ومهما رغبت ان اصف لكم أفريكيا .. ولا شيء يمكن ان يطلعك على افريكيا أبدا ، لا الكتابة ولا الافلام ولا التصاوير وانما شيء واحد فقط هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك ، هو أن تأخذ ذيلك فى اسنانك وتجرى على أفريكيا !!

فهو منظر لو فاتك ــ يا عبد الله ــ رؤيته فانت لم يكتب لك المرور على دنيا الناس ! فلا أوروبا بجمالها ولا آسيا بأسرارها تستطيع أن تقف الى جانب أفريكيا فى معرض القارات !

ستجد هناك جمالا فشر جمال أوروبا ، وألفازا تصبح الى جانبها أسرار آسيا مجرد فوازير ونكت بايخه ! وناس افريكيا ما أحلاهم وما أطيبهم وما أبسط واجمل حياتهم !

ولكم تمنيت أن أفرش حصيرة أفريكانى حلوة ، وما احلى الحصير الأفريكى وما أغناه ، تمنيت أن أفرش حصيرة أفريكى على الساحل واتسلطح على ظهرى لا أهش ولا أنش ، اذا عطشت أمد ايدى وأكسر جوزة هند فى حجم البطيخة المجيدى الحلوة ، اشرب واتكرع واتبغدد واذا جعت فلا أمد ايدى ولا حاجة ، أنتظر فقط حتى يسقط من على الشجرة قفص منجة الفونس فى حلاوة جاتوه اخونا جروبى ، التهم القفص واتبهنس ! فاذا أردت

ان أغسل يدى فالسماء كفيلة بكل شيء . ستمطر حتما اذا كنا فيالصيف ، واذاكنا في الشتاء فلسوف تمطرأيضا

هذا اذن هو ساحل غانا الذى لا أستطيع وصفه . الساحل الساحر الذى اكتشفه يوما ما ولد برتغالى صايع كان يتمخطر فى عرض البحر بمركب جربانه ولكن عليهـا مدافع جبارة ، وفوق المدافع علم فى حجم ملاية السرير مرسوم عليه صليب مسنون ومدبب فى كل ناحيـة من نواحيه الاربعة كأن كل حافة فيه حربة !!

ولكن قبل مجىء هذا الولد البرتغالى الصايع ، مـرت من قبل مراكب أخرى جبارة ولكن بعيدا عن الساحل ، تخترق بحر الظلمات فى طريقها الى عالم مجهول ومسعور لم يصل اليه كائن حى من قبل . كانت سفن البرتغـال تجرب حظها تحاول الوصول الى أرض الكنوز فى الهند . كانت البرتغال وقتئذ بلدا فتية مفترية ، لديها مراكب كما السواريخ الآن فى روسيا . وعلى المراكب مدافع تطلق النار فتبيد الفلابا المنكسرين الذين يهجمون على الأسود بسكينة بصل ومطوة مصدية !

وكان لديها بحارة ولا الشياطين الحمر ، عليهم شقاوة ولا العفاريت الزرق ، طموحين اغتنوا واغنوا بلادهم ، مغامرين مات نصفهم فى رحلات الكشف ، ومات النصف الآخر فى رحلات اللهف والخطف !

وعندما جاء الولد البرتغالى الصـايع بمركبته كان شاطىء غانا هادئا وديعا كما قطة .. أشجار جوز الهنـد ملفوفة كما بنات حلوين فى ملابات حرير سودة . واشجار الأناناس تتمخطر مع الريح كأنها أعلام ملك الغابة نشرها على الساحل فى يوم عيد .. وولد افريكى طيب يتسكـع عند الشاطىء يصطاد سمكة بحرية ، ويقطف جوزة هند

بخشبة زان أطول من قلع المركب . وربما كان هناك قرد يصرخ وكلب يعوى ونسر جبار يحلق فى السماء السابعة بحثا عن ميت فخيم يحط عليه ويأكله !

المهم ان الولد البرتغالى الصايع دخـل شاطىء أكرا وطوى قلوعه والقى مراسيه وطقطق مدفعين من عنـده تحية للشاطىء المجهول . ولكن المدفع ـ يا للهـول على رأى يوسف وهبى ـ جعل النسر يحلق فى العلالى والقرد يشطح نحو الغابة ، والولد الافريكى الطيب يسدد حربته التعبانة نحو المركب وينطلق يجرى فى داخل أكرا ، وقد تأكد لديه أن القيامة قامت ، وأن المدافع هى جرس انذار لتستعد الناس وتتهيأ ! ولم تكن القيامة قد قامت ولا أى حاجة ، وربما انتهى الأمر بالولد الافريكى الطيب الى الجنون أو المـوت .. لا يهم ، فالمهم عندنا هـو الولد البرتغالى الصايع الذى رسا على ساحل أكرا ذات صباح جميل منذ خمسة قرون ، عاش الولد على الشـاطىء أياما ثم عاد ، ولكنه حمل معه فى رحلة العودة ثمارا وفواكه وحفنة تراب من أكرا وأحلاما واسعة بالسيطرة على هذه الارض . وبعد شهور عاد من جديدفى عمارة بحريةشديدة الهول ، ومعه مرسوم من ملك البرتغـال بأن يكون كل ساحل غانا تابعا لأملاكه . ولم لا وقد صار ملك البرتغال ملك زمانه وأوانه ووحيد عصره ! الاسطول المصرى العظيم تحطم مع أسطول البندقية فى معركة بحرية ضد أسطول البرتغال . وعندما استقر حطام آخر سفينة مصرية فى قاع البحر كان ملك البرتغال قد أصبح هو الحاكم بأمره ، وأصبحت كل الكرة الأرضية ملك يديه . لولا دولة أخرى تجاوره على الخريطة وتزاحمه فى البحر هى أسبانيا ، وهى قصة خلاف مؤسفـة مكسفة ـ من الكسوف ـ جعلت

البابا شخصيا يتدخل فى الامر ، فيحكم بأن نصف الدنيا جنوب خط عرض كذا تابع لملك البرتغال ، ونصفها الآخر شمال الخط اياه تابع لملك أسبانيا ، ومن ذلك اليوم الأغبر بدأت اغرب وأعجب عملية نهب عرفها التاريخ . لم يلبث ساحل غانا أن سقط فى يد شركة الهند الشرقية . ولكن ذلك اليوم لم يكن قد حان بعد . عندما وفدت عمارة الولد البرتغالى الصايع على شاطىء أكرا هدفها التجارة وهداية

الناس السود الى طريق الرب !! ولذلك جاءت العماره البحرية .وعليها مدافع ، ومع المدافع حفنة من رجال الكهنوت ! واستقرت البعثة عند الشاطىء فى صمت وفى هدوء . لا تتكلم مع أحد ولا يتكلم معها اى أحد . بدأ عهد التجارة الصامتة . البيع والشراء يتم على طريقة شارلى شابلن فى أفلامه القديمة ! العيال البرتغال يضعون خرزا احمر وأصفر ومطاوى مسنونة وسيوف تلمع . .ويأتى الافريكى فيلهف ما تركه العيال البرتغال

ويترك مكانه ذهبا وتوابل وأشياء أخرى يسيل لها اللعاب . وقضت البعثة شهورا أقامت خلالها على الشاطىء قلعة منيعة لتصبح مركزا للتجارة فى قادم الأعوام . ولكن حدث فى اليوم الأخير حادث هايف سيكون له تأثير عميق على القارة الغلبانة . وسيقلب الحياة فيها وفى العالم لعدة قرون . جاء ولد أسود أفريكى غلباوى الى الساحل . وتقدم نحو العيال البرتغال يتفرج عليهم ويضحك من الأعماق . وكان الآباء الطيبون يصلون فى خشوع عميق وتراتيلهم تتصاعد الى أبينا الذى فى السماوات!

وظنهم الولد الافريكى يرقصون ويمرحون ، فوقف على مرمى حجر منهم يغنى ويكركع . وخطر لولد برتغالى خاطر شرير ، فتقدم من الولد الافريكى وقدم له كأسا من

منقوع البراطيش ، وشربه الولد الافريكى وانبسط جدا . كانت اول مرة تذوق فيها خمرا وستكون الأخيرة ! راح يرقص ويتنطط كأنه قرد جن فى الغـــابة ، ثم سقط على الارض بعد ذلك ليحمله البرتغال معهم على السفينة الى لشبونة . حادث هايف كما قلت ، سيحاكم الولد البرتغالى البحار بسببه ، فالملك يريد ذهبا وتوابل ولكنه ليس فى حاجة الى مثل هذا العبث الشيطانى الذى أقدم عليــه هذا الولد البحار ! غير أن رجلا برتغاليا نابه أزرق ، عجوز كما سيدنا نوح ، شرير ولا شيطان ، مهدود الحيــل ولا شيال فى محطة الجيزة . شـــاهد الولد الافريكى فى الميناء ، وكانت نظرة مهببة جرت المصائب والبلاوى على الجنس الافريكى كله . اندهش الرجل غاية الاندهاش لهذا التكوين الجسمــانى الفذ ، الولد الافريكى منفــوخ العضلات كمنا كلاى ، عريض الصدر كفتوة باب الوزير . شديد الباس كضبع . وتحسس الرجل الخبير عضـــلاته وعظامه ، وخطف ذيله فى أسنـــانه ورمـــح الى قصر ملك البرتغال . فلو أن المراكب عادت من افريكيا بأعداد وفيرة من هذا الصنف الممتاز من الرجال لغلت المزارع ضعف ما تغله الآن . ولسارت السفن ضعف سرعتها التى تسيرها الان ، ولتغيرت الحياة فى أوروبا وفى المستعمرات . فقد كانت أمريكا قد اكتشفت منذ لحظات ، وأمريكا الجنوبية تم اكتشـافها من زمان . وظلت على حالها برارى شاسعة يسكنها البعوض والهوام . والبرتغالى الذى عاد وذهب الى هناك مات بعد أسبوع واحد من شدة النكد والاجهاد ! ماذا لو ذهب أهل افريكيا الاقوياء الاصحاء لتعمير هذه البلاد ؟ ! وفعلا ، أخذت المراكب تجرى بأقصى سرعة نحو الساحل الغربى لأفريكيا ، لا ترغب الآن فى ذهب ولا فلفل أسود ولا حبهان . هذه تجارة قديمة لم يعد فيها خير .

التجارة الجديدة أكسب وأسهل . ومن هنا قامت تجارة الرجال . وكانت أكرا أول مركز للتجارة الجديدة ، ولم تلبث مراكز كثيرة أن قامت على طول الساحل . وبدأت عملية صيد الرجال بالشبكة وأحيانا بالرصاص . مئات الألوف يجرجروهم كل يوم فى حبال وسلاسل . والكرابيج تلسع وجوههم وتلسع ظهورهم ، والذى يسقط منهم يموت مكانه ، التجارة لا تعرف الرحمة . وهؤلاء ليسوا ناس ولكنهم مجرد آلات بشرية ! ومات مئات الألوف ولكن التجارة لم تتوقف . حتى أن الطريق من خماسى داخل غانا الى أكرا كانت معالمه من عظام الانسان ! ويحشر ناس أفريكيا عند الساحل فى عنابر كعنابر الخيل المعدة

للتصدير . ويأتى فى الصباح اب طيب يحمل كتاب الله وصليبه ، فيرش الجميع بالماء المقدس . وما دام العدد وفيرا فمن المضحك طبعا أن يستخدم الأب الطيب زجاجة أو قنينة . وبما أن الحكاية كلها تجارة وتهليب ، فقد كان الأب الطيب يعمد اخوانه الجدد فى الدين بماء يرشه عليهم من براميل أعدت خصيصا على ظهر السفينة . وبعد دقائق تنتهى عملية الرش المقدس ، ويصبح الافريكان الغلابا مسيحيين طيبين ! مسموح لهم بدخول ملكوت الله!

تصوروا ، الناس البنى آدمين أولاد الاصول تحولوا الى سلعة ، يضربونه على صدره وعلى ظهره ويزغزغوه ليكشفوا عن أسنانه ، ويأخذون عينة من شعر رأسه ثم يعرضونه فى السوق للبيع . ولأن العبيد كانوا بترول تلك

الأيام . فقد دخل السوق أكثر من تاجر ثم أكثر من دولة . وحتى لا تتوه البضاعة فى زحمة الشغل ، كان كل تاجر يختم بضاعته بختمه . تحول الناس الافريكان ـ يا حول الله ـ الى أزايز ويسكى . عبيد هيج ، وعبيد ديوارس ،

وعبيد جوني ووكر ، أصبحوا مثل السجاير ـ ياولداه ـ كيلوباترة وهوليوود وبلمونت وأصبحت هناك أصناف ممتازة تختفي فورا من السوق ويبحث عنها الناس في الموانيء والسواحل بعود كبريت !! .وأصبح للبني آدم الطيب ابن الأصول بورصة وتسعيرة ، وعندما أصبح للسوق تسعيرة دخل الغش في السوق . تجار خواجات فهلوية ليس عندهم دين ولا ذمة راحوا يغشون البضاعة

معذورين ، لأن شركات الاحتكار الكبرى لم تدع للتجار الصيع أمثالي مجالا لأكل العيش ! كانت أعظم ماركة هي ليفربول ، شركة انجليزية عظيمة تملك ألف سفينة تمرح بين الشاطيء الافريكي والشاطيء الاوروبي لاتون ولا تهدأ . .وكانت تبيع أعظم الاصناف . وكان ختم ليفربول على كتف العبيد جواز مرور ليختفي الصنف فورا ليعاود

بيعه في السوق السوداء ، وبما أن حكومات أوروبا في ذلك الحين كانت عادلة وكانت ضد التجار الجشعين ، فقد كان تجار السوق السوداء يضطرون الى اخفاء البضاعة في سراديب تحت الارض وفي كهوف في الجبال ثم لجأوا بعد ذلك للمقابر يدفنون البضاعة وهي حية ، ثم يخرجونها حته بعد حته . وكانت « حتت » كثيرة تموت أثناء عملية التهريب والبيع الا أن الذنب كان يقع على عاتق الحكومات المتشددة الحنبلية التي تريد البيع بالقسط والميزان !

أما التجار الصيع أمثالي فقد نزلوا شاطيء أفريكيا يلقطون رزقهم في الخفاء . لم يكن معهم مراكب ولكن قوارب صيد قذرة ومكشوفة ورديئة غاية ونهاية في القذارة وسوء الحال ! ولما كانت وسائلهم محدودة فقد كانوا يخطفون الاطفال والمرضى والشيوخ المسنين . وبالقوارب ينقلونهم الى الشاطيء الآخر ، ثم يحقنون

الجميع حقنا يستمر مفعولها أسبوعا . تجعل من الصبى المريض هصورا كالاسد ، وجهه مزنجر من الصحة الحديد ، عيناه مفنجلتان كما الصقر فى الفضا .. بضاعة مغشوشة

كان الشارى الخشنى يدفع فلوسه ويجر العبد خلفه ، وبعد يوم واحد يعود الى الساحل مرة أخرى ومعه جثة العبد اياه يطلب فلوسه ! ولما كانت الحكومة عادلة فقد كانت تتدخل لمصلحة التاجر ، ما دام البيع والشراء قد تم بالرضا والمهاودة وكل شىء فى العملية سار بما يرضى الله !

ولذلك ظهرت اعلانات ضخمة على الشواطىء فى أوروبا وفيما وراء البحار فى أمريكا تعلن عن البضاعة الجيدة وتحذر من البضاعة المغشوشة . ولابد أن هذه الاعلانات كانت بالفسفور وكانت على ألوان . وعبيد لويد هم الأصل . وعبيد ليفربول أكثر سوادا . وخذ عبيد بومبال واشكر الرب المتعال !!

وكما ينضب بئر البترول فجأة فلا يعود يبز قطرة جاز ، كانت القرى الافريكية تنضب ، والمدن الافريكية تخلو من أهلها ، ثم خلت مناطق شاسعة تماما ولم يعد فيها شىء . ساحل غانا وغينيا وساحل العاج وليبيريا كنسها التجار من أهلها ، حتى الكلاب نفسها هجرتها لان أحدا غيرها لم يعد هناك ! وانسعر أهل أوروبا فراحوا يتوغلون فى الداخل كلما خلت منطقة من السكان . وكان ملك البرتغال شيخ مشايخ تجار الرقيق يصدر تعليماته الى تجاره الذاهبين الى هناك .. برغم أن الهدف الرئيسى هو خدمة الله والكنيسة ، فلا بد أن تعود السفن محملة بالعبيد والعاج ..

ولكن هذا الهدف الرئيسى الذى هو خدمة الله والكنيسة امر يدعو الى الضحك بلا شك ، اذا علمت

ان عدد المسيحيين الذين اهتدوا الى طريق الرب فى غانة خلال قرن كامل من الزمان بلغـــوا الف افريكى ! اما المبشرين انفسهم ورجال الـكنيسـة فقد خلعوا رداء الرب وتركوا كتابه فى نفس اللحظة التي وضعوا فيهـا اقدامهم على الساحل الافريكى ، واشتغلوا جميعـا فى استغلال الارض والبحث عن الذهب ، والبعض الآخر كان اكثر صراحة فاشتغل فى تجارة العبيد !! ويا كبدى المقروح على افريكيا الغلبانه ، خطفوا منها عددا لا احد على ظهر الارض يعرفه ، ولـكن عدد الذين وصلوا الى الشاطىء الآخر وبيعوا فعـــلا وســـجلوا فى الدفاتر والحسابات بلغ مائة مليون عبد ، وفى دنيـــا التجارة « الشحنة لا تصل دائما سليمة » وما دامت هـــذه الشحنة المهببة ناس اولاد بنى آدم فقد كانت الخسارة فيهم اثناء الطريق افدح ! وما دام مائة مليون وصلوا فلا بد ان مائة مليون آخرين ماتوا فى المحيطات اثنـــاء الرحلة المشئومة ! وهكذا تمت اغرب واعجب تجارة فى تاريخ البشرية ، وذهب أولاد أفريكيـــا العظـام لينشروا الحياة فى اوروبا وامريكا وجزر الهند الغربية ، واغتنى من وراء التجارة شخصيات لامعة ومحترمة ومشهورة الملـكة اليزابيث كانت اعظم التـــجار واغناهم ، وكان ملك البرتغال ينافسها وكذلك ملك اســـبانيا ، وكل حضرات اللوردات والبـــارونات والماركيـــزات فى دول اوروبا كلها بلا استثناء هم احفاد تجار البنى آدم ! فقد بلغ هؤلاء التجار وضعا اجتماعيا ممتازا بفضل الذهب الذى سال بين ايديهم ، جعل الالقاب الرفيعة وقفـا عليهم مدى خمسة قرون من الزمان !

قصص مضحكة مبكية ستجد بعض آثارها منقوشا على جدران اول قلعة اقيمت للتجـــارة المشئومة على

شاطىء أكرا ! وفى قلعة ونيبيبا ثانى مركز للرقيـــق فى افريكيا ستجد دماء البضاعة متناثرا على الحيطان وعلى الارض ، والى يومنا هذا لا يجرؤ أفريكى من ونيبيبـــا على الاقتراب من القلعة

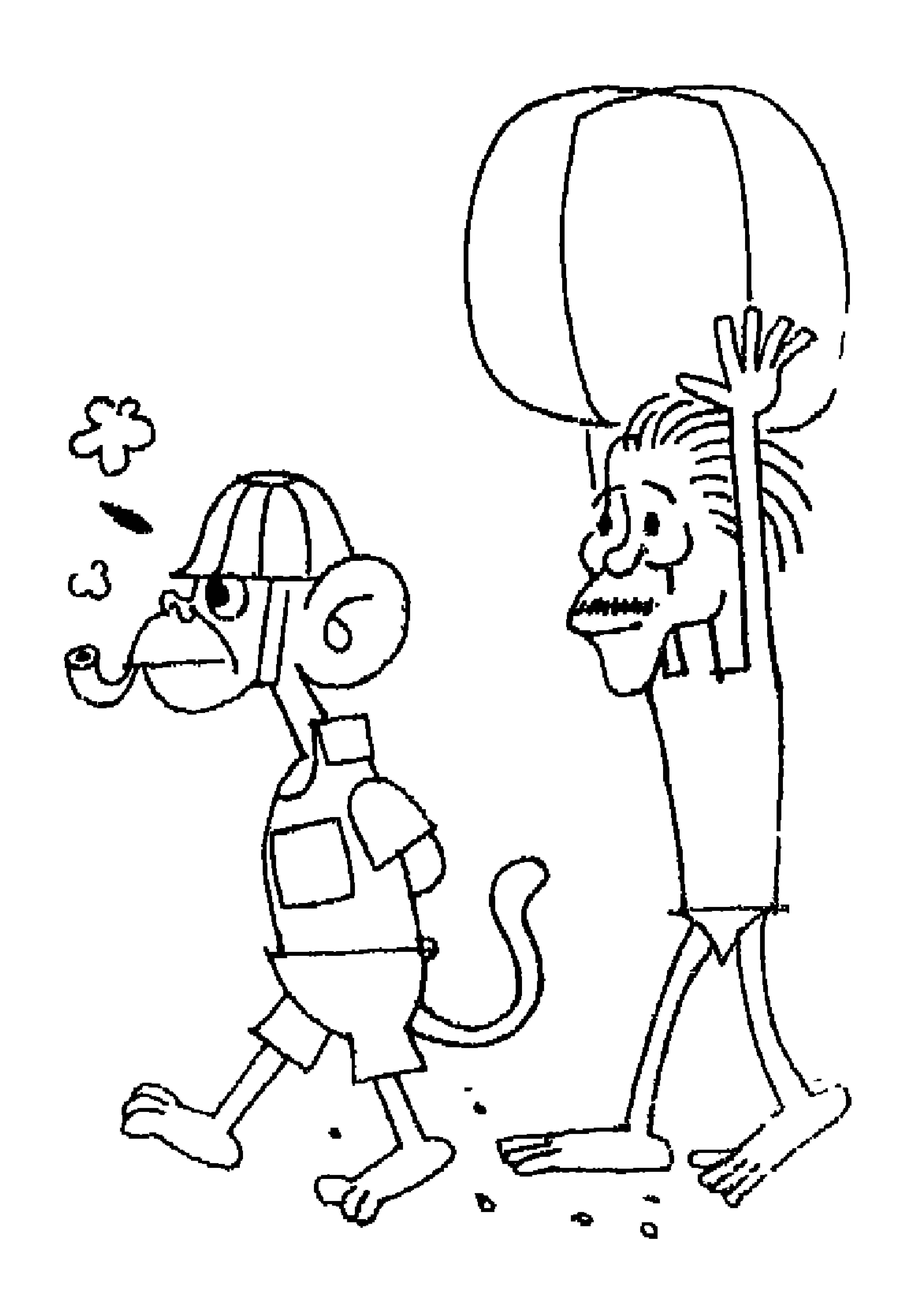
الاســاطير تقول ان الناس تسمع صراخا ينبعث من داخلها فى الليل ، وان الاشباح تحوم حولها فى الظـلام ترغب فى الانتقام ، وياويل الرجـــل الابيض اذا هوب نحوها عندما تفطس الشمس فى المحيط الاطلسى !

تلك هى القصة الدامية من طقطق لسلامو عليكو ومع ذلك قلبوها اولاد الدايخة الخواجات فأصبح العرب فى كتب التاريخ هم تجـــار الرقـــيق ، هم الذين بدعوها وروجوها ، والاوروباوى المسكين دخل السوق مشتريا ليس الا ! والاوروباوى يقول هذا القول وله العــذر ، ولــكن ما عذر السادة العرب حين يقولون أيضا مثــل هــذا الــكلام وفى كتب مفروض انها علمية وجامعية .. ويا مهلبية يا .. !!! تحت يدى كتب عربية تدين العرب وحدهم دون غيرهم بتجارة الرقيق، حتى الدولة العربية العظيمة التى قامت فى الـكونغو ، وفى منطقة كاســاى وكاتنجا ، دولة حميــد الرجيبى او تيبو تيبو ، آخر قلعة وطنية سقطت فى افريقيا بعد ان ظلت تكافح وتقاوم عشرات السنين ! وبسقوطها انفتح باب الـكونغو أمام استعمار البلجيك . ومع ذلك فليس حميد الرجيبى فى نظر العلماء العرب الا تاجر رقيق اختلف مع البلجيك . فضربوه وطردوه من البلاد لينشروا العدالة والحضارة فى حوض الـكونغو العظيم !

ما علينا .. أنا فقط عرضت الصورة البشعة لتـــكون على علم بالذى حدث فى افريكيا . فالذى حدث لم يكن خيرا طبعا ، ولــكنه أيضا لم يكن شرا كله ، فها هى

افريكيا بعد طول انتظار ، وانا اتسنكح على شاطئهـــا بجلباب حرير سكروته وشبشب زنوبة .. أكاد أنخيـــل فى عقلى من شدة اللذة ، واكاد أشق هدومى من شدة الانشكاع ! الارض حمراء كما البطـــيخ الشيليان .. والزرع أخضر خضار البلوفر المطبوع فى مكن بلاده . والعشب هنا ينمو بأمر ربى ، والشجر كما مهـــندس عبقرى جمعه وبعثره فى غاية من الجمال ، وماء المحيط أزرق كما عيون الحليـــوة ، والـكلاب كما الذئاب ، والحمار مخطط كما البيجاما الـكستور الفالية ! .. والفراخ بعضها بلدى وبعضها يتمخطر كالملـكة فى ليـلة افتتاح ! كأنها نعامة صغيرة ، كأنها ست غندورة تتمشى افرنجى فى شارع الشـــانزلزيه ! والطيور التى فى الجو ليست غربان اعوذ بالله ، الطيور هنا نسور ، والنسر فارد جناحه كما لورد عايق يتحنجل فى شوارع لندن . وصقور ، الله عليها ، والصقر يعلى ويعلى وله همـــات يلف فى الـكون ولا يلقى وليف عدله ، يموت من الجوع ولا ينزل على رمات !! والعصــــافير هنا كناريا ، والغربان بغبغانات . وشـــجر الشـــوارع مانجه وجوز هنـــد واناناس ! والسما هنا صافية كقلب المؤمن ، والطبيعة فشر سويسرا وفشر هولندا ! وانا ماشى على الشاطىء أزحف بالشبشب زنوبة .. جلبابى الســـكروتة يهفهف رغم انه لا يوجد هواء ، كأننى تاجر رقيق مفلس جربان غشاش يخشى التوغل فى الداخل ، والصديق العربى من خلفى يضع قصيدة فى وصف الطبيعة ! ورجل آخر انضم الى قافلتى ، ابيض كما الاوروباوى فى زمانه ، ملظلظ ولا واحد خواجا جاء يتكسب فى افريكيا ، عادل شريف .. صحفى وبطل تنس ورحالة بحكم عمله فى المؤتمر الاسيوى الافريكى ، قافلةكفرانةغلبانة ستواصل رحلتها رغم كل شيء على شاطىء غانا ..

.. والجد عنة انهزمت ياولداه



ها هى افريكيا بعد طول انتظار ، وها هو الشعب الافريكى بعد غيبة اطول ! ستجد هنا قشرة على وجه الشعب تركها الاستعمار ولـكنها قشرة رقيقة ارق من ورق السجاير ، ولـكن لا تحاول ان تنزعها ، الافريكى نفسـه سينزعها لك بعد قليل ، وعندئذ ستعرف الافريكى على حقيقته

طيب اطيب من الطشطوشى ، فنان ولا جمال كامل ، شهم ولا ابن بلد مصرى اصيل يرمى جتته فى النـار من اجلك ، ويخدمك لايرجو ثمنا ، ويبكى اذا شـاهد ميتا فى الطريق ويرقص اذا ترامى الى سمعه نغم يحمله الريح من بعيد

وصحيح انه يتكلم الانجليزية ولـكن بطريقته ويرتدى الملابس الافرنجية ولـكن على هواه .. البنطلون شورت والقميص مدلدل فوق البنطلون وبرنيطة خوص آخر مزاج ، وبايب يتدلى من الفم ، ولـكن هـذا الزى فقط لشغل المـكاتب ، وللمهابرة طول النهـار ، فاذا جاء الليل ، ويا حلاوة الليل فى افريكيا ، خلع الافريكى زيه المزيف وارتدى زيه التمام ، بنطلون شـورت تمام ، وصندل تمام وحزام مزركش ثمين ولا حزام الشيخ مصطفى اسماعيل ، حزام يخفى كتفا واحدا والـكتف

الثانى مكشوف يشبه تمام التمام زى المرحوم غاندى
مع فارق واحد ليس فى الحرام ولكن فى الجسم ،
جسم الافريكى كما أسد مربرب فى غابة عامرة بالفزلان
كتف الواحد من دول ولا كتف تمساح النيل مرعى
حماد والراجل من دول - اللهم صل ع النبى - طول
النخلة ، العرض عرضين كما قماش المحلة .. العيون
تضرب شرار وتضرب رصاص .. الرقبة كما رقبة
تمثال نهضة مصر.. الاكف غليظة وسميكة كما شاويش
فى سجن مصر ! الرجل الافريكى هو طرزان الحقيقى ،
ولكن على طيب ، يبدو ان الاقوياء دائما طيبون ،
والاشرار فقط هم الضعفاء ، ضعفاء الاجسام أو
النفوس ، والنتيجة دائما واحدة ! الافريكى هو طرزان
الحقيقى وابن لندن الشامخة يبدو معه ليس شيتا ،
ولكنه نسناس ، قلبوا الآية اولاد الهرمة ، جعلوا
طرزان هو الابيض والافريكى هو العدمان الصدمان صاحب
المائة علة وعلة ! كذابون وغشاشون اولاد الهرمة ، انا
اتحداهم جميعا اذا لم يكن الواحد من الافريكى يفصل
من الاوروباوى عشرة ! كيف استطاع بتوع أوروبا
الصفر العدمانين الدبلانين ان يهزموا عمالقة افريكيا ؟
حكمة الله ان بتوع اوروبا عندما هزموا الافريكان هزموا
الجدعنة فى نفس اللحظة ، قبل هذه العاركة المهببة كانت
الجدعنة لها قواعد ولها أصول الراجل يدخل للراجل
بالباط ، الساعد بالساعد ، المشط بالمشط ، القلب
بالقلب ، الراس بالراس ، كان العراك والخناق
بالمكشوف وعلى عينك يا تاجر ، وكان الراجل الجدع
دائما يغلب ودائما ينتصر ، ولكن العلم الله يجازيه
قلب الموازين وشقلب حال الدنيا ! لم تعد الغلبة للراجل
الجدع ولكن للراجل المتعلم ، وكان بتوع افريكيا

جدعان وبتوع اوروبا متعلمين ، وعندما دارت المعركة كان النصر للمتعلمين والهزيمة من نصيب الجدعان ، وماذا يفعل راجل جدع طويل وعريض امام راجل آخر مش جدع ولا مؤاخذة ومعه مسدس فى حجم الكف ويقتل ميه والف ، ولكن ستر الله ان الموازين لم تنقلب الى النهاية ، فالذى حدث بعدذلك نستطيع أن نتصوره ، فعندما انتقل المسدس من يد الراجل الاصفر الدبلان العدمان المتعلم ، الى يد الراجل الإسمر المتعافى المليان المتعلم ، دارت الدوائر على الاصفر العدمان فترك افريكيا وهرب كما ارنب جربان مسلوخ لا يصلح حتى للدبح على ملوخية !

انا رأيت راجل افريكى فى قرية على بعد كام كيلو من اكرا ، راجل تمام طوله مترين ، وعرض صدره كعرض وسطك ، وكتفه كرأس أبو الهول ، ولابس حرام تمام ، ومعاه فلوس تمام ، وداخل حفلة فيها كام ولد عدمان هفتان اوروباوى بيرقص ! الافريكى الهمام الصنديد كما عنترة العبد جلس يتفرج ، ويشرب تمام آخر تمام ، لم يهتز ولم يتحرك ، وولد هفتان ابيض من كام كاس ترنح وتدروخ ، ونهض ثم جلس ، ثم جلس ثم نهض ، ثم نهض ثم طرش ! منظر مش تمام ، ثم تشاجر ورفع كرسى خزران امتن من كرسى الظايط ، والاوروباوى الذى كان معه خاف فهرب ، ولكن الولد الدايخ رفع الكرسى ولم يتحمله فسقط الكرسى وهو معه على راس الافريكى التمام .. وهتفت فى اعماقى مسرورا كنسناس على الشجرة ، يا مساء الجمال ، ستصهلل القعدة وتحلى ، الراجل الافريكى التمام سيرقع الواد الاوروباوى علقه سخنه وستتفرج ، وعلى الافريكى التمام مهمة الانتقام من الاوروباوى الاصفر

العدمان لعشرة اجيال من العذاب ! ولـكن الافريكى التمام ركن الـكرسى على جنب ، وساعد الاوروباوى على النهوض وابتسم للناس الجالسين كجنتلمان وشرب كأسا من الويسكى وسكت فى امان الله ! ولـكن الولد الاوروباوى العدمان الصدمان اخذته الجلالة اكثر .. نهض من جديد واتجه نحو الافريكى التمام يضربه ، حكمة الله انه ساعة القضا يعمى البصر .. لو انا من الولد الاوروباوى وهذا الرجل الافريكى التمـــام عليه فلوس للعبـــد لله لصهينت ، لو انا ماشى فى الطريق ولزقنى هذا الافريكى على قفاى لابتسمت ، لو انا صاحب هذا الافريكى التمام لعملت له ألف حساب ، الهزار معاه بحساب ، والظرف معاه بحساب ، لانه لو جاء يوم وتحاسبت معاه بالتمام ، لـكان أهون منه يوم الحساب ! !

المهم ، الولد الاوروباوى اندفع يترنح نحو الافريكى التمام ، ورفع يده الممصوصة كفرع مكرونة اسباكيتى ، وكانت رفعة مهيبة ، ضربه الراجـــل الافريكى التمام بمشط رجله فطرحه خارج الحفلة ، ما رأيك دام فضلك كل العيال الاوروباويين نهضوا كخيل السبـــاق وهات يا رمح فى انحـــاء المـكان ، انا نفسى خفت ان يظننى الافريكى التمام أوروباوى من أســـبانيا أو بالميت خالص من جزيرة مالطة .. تعرف عملت ايه ؟ فشخت بقى كأننى اسماعيل يس ، لـكى أبدو مبسوطا ومسرورا وآخر مزاج ، ولـكى يظننى الافريكى التمام مولود على هذا الحبور والانبساط ، ولـكن انا نفسى كنت غلطان غاية الغلطان ، لان الرجل الافريكى الطيب لم يكن يريد أى شر بأى أحد ! نهض كما ملك فى حفل تتويج ورقص ، وحيا الجميع واعتذر للناس اجمعين ولم يكن فى حاجة

الى ان يعتذر !

من أين تأتى الصحة الحديد ولا سباع الغاب للرجال الافريكان ؟ من أين ؟ مع ان الاشاعات الهوليودى تحلف وتقسم وتؤكد ان الافريكى غلبان ولا بتاع يانصيب ، فقير ولا هندى ، مريض ولا نزيل فى القصر العينى ، انا يا ايها الناس دخلت قرية افريكى وسط الاحراش مع راجل افريكى طيب اسمه « اصارى » يعرف خمس كلمات عربى ، ازيك ، وبقشيش ، ويا سـلام ، ومع السلامة ، ومش ممكن ! الراجل اصارى الطيب كان عسكرى جيش فى بلدنا أيام الحرب لعله واحد من الذين لهفت منهم برنيطة او عجرته كام زلطة على أم رأسه تحت نفق الهرم .. كان هو منـذ خمسة وعشرين عاما افريكى صايع وكنت انا افريكى أصيع ! وعندما نشبت حرب هتلر وموسولينى كان الاخ اصارى فى العشرين من عمره ، جثه ولا حنفى محمود بتاع كابرى ، قوى كضبع شبعان فى غابات موشى ، ولم يكن له فى الحرب — على رأى مدرس العربى — جمل ولا ناقة .. ولا حتى حمار ! ومع ذلك عكمه الانجليز مع عشرين الف غانى شباب مثله وربطوهم فى الحبـال ، واخـذوهم الى الشـاطىء ، وفرزوهم وفنطوهم ولبسـوهم عساكر والحقوهم بجيش الحلفاء ! تجارة الرقيق اشتغلت تانى على ودنه ولـكن على نمط آخر ! زمان كانوا يخطفون الافريكان للشغل وفى القرن العشرين خطفوهم للحرب ، وزمان باعوهم للتـجارة ، وفى القرن العشرين باعوهم للموت ! وانخطف من أفريكيـا زمن الحـرب العالميـة الثانية خمسة مليون راجل عاد منهم للوطن عدة الاف لا تزيد عن مائة الف .. يمكن ! والباقون ماتوا فى الرمال وفى الادغال وأهلكهم البرد فى أوروبا وأكلتهم السحالىفى

احراش آسيا . . . ولا حمد ولا جميل ولا حول ولا قوة الا بالله ! الاخ العزيز اصاري كان شابا كالوردة عندما أقلعت به سفينة بضاعة جربانة فى أمسية صيف من ميناء اكرا الى الشرق الاوسط ، كانت معركة العلمين شغالة ، والخواجات الانجليز مات نصفهم من صهد الصحراء ومات النصف الآخر من صهد الالمان ! العساكر الانجليز مثل التين البرشومى خرعين ومهمطين ، وكان لابد من رجالة مثل اصارى ليصكوا الالمان صكا عنيفا ! ودخلت الباخرة ذات مساء ميناء الاسكندرية وعليها شحنة عساكر ، وحلقت فوقها طيارة ألمانى ناصحة هبدت المركب طوربيد ونسفتها وطيرت العساكر الافريكى اشلاء ، ولكن اصارى وعشرات آخرين استطاعوا الافلات من جحيم الطوربيد وسبحوا حتى الشاطىء ، واقام اياما فى مستشفى عسكرى ثم سحبوه الى كوم حمادة فى البحيرة ، وكان هناك كامب افريكى للتدريب وبعد اسابيع قليلة سحبوه من جديد الى الصحراء ، ومعركة العلمين كانت شغالة ، عجنة سودة خرج منها اصارى حيا ، وخرج فيها الالمان من العلمين ، ولكن اصارى لم يتركهم ، زحف خلفهم حتى تونس وعبر البحر الى ايطاليا وقطع اوروبا كلها حتى دخل برلين ! وعندما احتفلوا بالهدنة فى برلين عزفوا اناشيد كل الدول المشتركة فى النصر الا نشيد اصارى ، لم تكن غانا على الخريطة ، ولم يكن اصارى الا مجرد افريكى زنجى ، يخدم فى البيوت او يخدم فى الحرب ويأخذ فى النهاية حسنة ويتوكل على العزيز الجبار ! وتوكل عمنا اصارى الى مصر ثم نقلوه الى كامب فى الجيزة ليشم الهواء ويتمنجه ! ولكن اصارى كان يحب كوم حمادة ، تركها صحيح ولكنه ترك قلبه هناك ، وهو مسلم من اشانتى

وتزوج مسلمة من عرب البحيرة ، وانجب منها ولدا ،
ولكنهم خطفوه مرة اخرى ذات مساء ليشحنوه فى
مركب بضاعة ليعودوا به الى ارض الوطن ، وفكر اصارى
عميقا والمركب واقفة على رصيف اسكندرية ، هل يترك
الزوجة والطفل فى كوم حمادة ويرحل الى اكرا ؟ ام
يترك الاهل والخلان فى اكرا ويبقى مع الزوجة والطفل
فى كوم حمادة ؟ اصارى رغم التفكير العميق لم يستطع
ان يحسم الامر فى النهاية ، تحركت المركب وغادرت
الرصيف والميناء وبحر الاسكندرية وهو لايزال يفكر ..
وعندما وصل الى مضيق جبل طارق والمركب طالعة
على المحيط الاطلنطى استقر على راى : لا مانع يرى
الاهل والخلان فى اكرا ثم سيعود ليعيش مع الزوجة
والطفل فى مصر ! وعندما شاهد اصارى شاطىء غانة
بعد طول غياب بكى ولا معددة فى ميتم ! وانا قتيل المحبة
ياجدعان لكين الوطن غالى ، لفيت ما خليت بلاد الناس

لكين الوطن غالى على رأى يوسف شتا مؤلف ومطرب
شعبى ! اصارى عاد الى بلاده وكانت عودته احسن ،
لو ان كل الافريكان الذين خرجوا أيام الحرب استقروا
فى الخارج لاحتاجت افريكيا الى حرب عالمية اخرى لكى
تتحرر ، هؤلاء العيال الشجعان ، عساكر افريكيا الذين
انسلخوا فى فرن الحرب ستقوم على اكتافهم اعنف
واشرف حرب لتحرير القارة ! الافريكى الذى كان
محبوسا كالفأر فى بلده لا يعرف استراليا من ايطاليا ،
لف ودار وشاف بلاد الله وخلق الله وحارب وانتصر على
رجل اوروباوى آخر ، أبيض وملظلظ ، المانى صحيح
ولكنه زى الانجليزى والفرنساوى والبلجيكى واحسن ،
على الاقل الالمانى هزم الدول جميعا والافريكى هزمه ..
بين الحطام والاشلاء والجثث المتناثرة اكتشف الافريكى

الطيب نفسه . وها هم عدة الوف من الرجال ابناء افريكيا العظيمة عادوا الى الوطن الام مدربين مسلحين مقاتلين شافوا الهول وخاضوا حرب الادغال والصحراء والجبال وتعلموا الكفت نفسه ، خبرة ما اروعها ستحتاجها افريكيا فى قادم الايام لتتحرر ، وهؤلاء الرجال البواسل سيكونون قادة جيوش نكروما واحمد تورى ولومومبا وكينياتا ودكتور باندا ، ولكن هذا حديث اخر يحتاج الى شرح طويل ، وستعلمون عندئذ كم كانت الحرب شرا وخيرا ، نقمة ونعمة ، حركة وبركة ! المهم الراجل اصارى عسكرى الحرب السابق اخذنى بالحضن فأنا من بلد الحبايب ، وسحبنى من ايدى وفرجنى على غانة ، من ونيبيا على شاطىء البحر فى الجنوب ، الى اكسومبوعلىشاطىء البحر فى الشمال، ومن اكرا الى خماسى فى الداخل حيث الاشانتى والكاكاو وغابات الوحوش الكواسر ! وفى لفة من دول سحبنى من ايدى على قرية افريكى داخل غابة وعندما وقع بصرى على القرية كدت أبكى ، انا طالب من الله ولا يكتر على الله ان تصبح القرية فى بلدى مثل القرية الافريكى.. تذكرت قريتنا قناطر القرنين منوفية ، ومعدية جدى الشيخ معوض ، وشجرة الجميز التى عند بيت ستى عديلة ، وبيت الراجل خميس المخوخ بتاع الترمس ، ومكنة طحين سوارس أفندى ، والبيوت من الطين مدهونة ومن روث الجاموس مدهوكة ، ورائحة تفم القلب وتسد النفس وقرف ازلى وعيال مرضانين هزلانين قزع أكثرهم عمى ، يتمنى الواحد منهم أن يهرب من القرية الى مصر أم الدنيا ليأكل عيش سخن وفول مدمس وطعمية ، احلام لا تتحقق للاكثرية العظمىمنهم ، فيبقى فى القرية ملوما محسورا وعندما يبلغ الاربعين

يصبح هضيما عضيما يعنى عضم !! وتراه فتقول له يا جدى ، ويموت فى الخامسة والاربعين ويكذب عيك فيقول لك انه راى هوجة عرابى وموكب افندينا اسماعيل والبنت السنيوره ملكة فرنسا !!

القرية الافريكى ياهوه وسط الاحراش فى منطقة مفتوحة ، البيوت اكواخ تصميم المهندس الافريكى العبقرى الذى تلقى العلم فى ادغال افريكيا ، علمته الطبيعة والهمته الحق فلم يشيد بيوتا كعلب السلمون ولم يصنع قرية كمستشفى ام المصريين ! البيوت على حسب الجو ، والبناء ليس مجرد طوبة على طوبة ، ولا مونة وزلط واسمنت ، ولكن البناء قطعة من النفس ان فسدت القطعة فسد الاصل ، والبناء تاريخك واصلك وانت تأخذ من المبنى وتعطيه ، وكل بلد ولها سلو كما تقول أمى ، وسلو افريكيا هو الاكواخ .. ولكن المهندس الاوروباوى يريد ان يخرب النفس الافريكى ، فى المدن اقام لهم مبانى ولا هيلتون ، أدوار بعضها فوق بعض كأنها سراير بحارة فى مركب جاز ! ولكن الافريكى الاصيل فى الغابة رفض ان يتأورب ! الكوخ قطعة من الفن الرفيع ، تدخله فى عز الحر فتشعر انك على ساحل الريفيرا ، وتدخله فى عز البرد فتشعر انك فى افريكيا ، وتدخله ساعة المطر فلا تسمع الا عزف الماء على سقف الكوخ لان المهندس الافريكى العبقرى صمم الكوخ حسب الجو ، جدران الكوخ من الليف ، وعمدانه من شجر جوز الهند ، وسقفه من الخرزان البامبو ، مقوس حتى ينزلق المطر عليه والفرش من جلد الحيوان وفى أيام الصيف الحارة لا ينام الافريكى فيه ، يفرش جلد غزال ناعم يجلب الطراوة اللازمة وينام فى ساحة القرية ، الكل ينام هناك ، وفى ليالى الشتاء يفرش الافريكى جلد

قهد او جلد نمر وينام داخل الكوخ ويتقلب ! وبين الكوخ والكوخ عشرة أمتار وهو معرض للشمس والهوا من كل جانب ، والقرية كلها دائرية وحدائقية يعنى كلها حدائق . والعيال كما اولاد الدبة ، عرايا كما ولدتهم امهاتهم ، سمان كما البط المزغط ، لطاف كما النجوم الزاهرة ! اذا جاعوا فالموز على قفا من يشيل ، الموزة كما الفقوسة فى بلدنا ، والمانجة على الشجر حايرة تطلب الاكال ! وجوز الهند يأكل ويشرب ويحمد البارى المتعال والعيل اللى فى اللفة يستطيع أن يصطاد ارنب ، والواد الصبى يصطاد غزالا ، والواد الفتى يصطاد جاموسة يذبحها ويسلخها ويأكل فيها كما ابونا الغول !

الصحة اذن عال وبمب والحمد لله ، والطعام وفير وكثير وكله دسم وزفر على رأى ستى .. والطبيعة مفتوحة ، والوزة قبل النوم مدبوحة على رأى عمنا الكبير بيرم التونسى !

فى هذه القرية انا رأيت العجب ، بنت بيضة كما الحليب ، مخنصرة ولا السنيورة الحلوة ، شعرها اصفر ولكن مجعد ! شفايفها سنمينة وبضة ، عيونها كما عيون الغزالة الحلوة ! والبنت معها سيارة ، ولها كوخ، وعندها ضيعة ولكنها مع ذلك صايعة وضايعة ، مزجورة مهجورة من الافريكان انها بذرة فاسدة تركها راجل اوروباوى تزوج من سيدة افريكية تزوجها وماتت ومات هو الآخر بعد الاستقلال ، ولكن البنت البيضة فضلت الحياة فى القرية ، معها ستها تمام كستنا الغولة ، وهى وستها تعيش فى كوخ واحد ، البنت كانت فى اسكتلندا مع ستها الاخرى ، ستها الاخرى تعيش فى جلاسجو ، بيضة كما الشمع ، مربربة كرغيف عيش قمح روسى ، عيونها زرقاء كما المحيط ، ولكن البنت

الافريكية حنت الى الارض التى قفزت من بطن امهـــا عليها فعادت الى افريكيا ، عادت لا هى افريكيه ولا هى اسكتلندية ولـكن بزرميت وخليط وحاجـــة لا تسر انجليزى عدو ولا افريكي حبيب

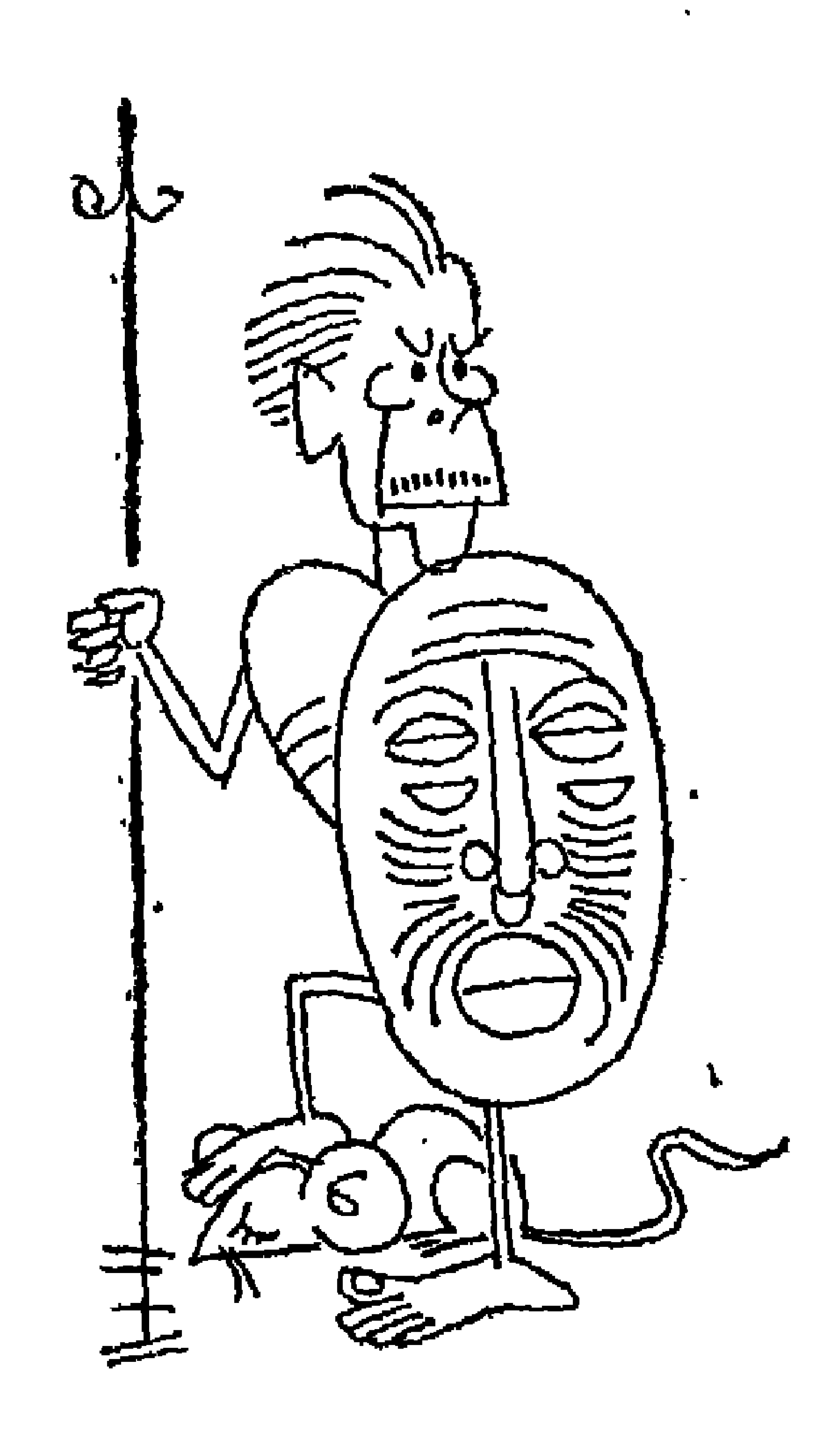
والبنت لها مشـــكلة ، المرأة فى افريكيـــا محترمة ومقدسة ، هى اصل القبيلة وهي أصل الحياة ، والواد يرث خاله ولا يرث أباه ، والمرأة تخرج للعمل والرجل يجلس مجعبز فى الغابة ، واذا كان الاقتصاد هو محـرك التاريخ عند ماركس فالمرأة هى محركة التاريخ فى بلاد الافريكان !

المرأة هى الغاية وهى النهاية وهى البداية وهىالمصير ! ولكن بنت افريكيا الخليط محتقرة ومهانة .. انها تشعر بأنها أقل من امرأة ... بأنها رجل . وهى تريد أن تكون امرأة . العيال الافريكان يشتهونها ولكن لا يتزوجونها . ولأنهم أخذوا منها موقف عدائى فقد أخذت هى الاخرى نفس الموقف . وما داموا يشتهونها فستمنع نفســـــها عليهم ، ولكن ـ بنت المجنونة ـ ستمنح نفسها لـــكل الرجال الآخرين .. وبشرط ان يكون رجـلا أبيض . وعندما هبطت القرية ذات عصرية طرية كانت البنت هناك تحت شجرة جوز هند تشرب بيرتها وأحزانها .. وفى النسـيم العليل بكتواشتكت وفضفضت بالكثير . ازاحت عن نفسها الاحزان وألقتها فوق رأسى . أنا الحزين ابن الحزينة أصبحت مخزن للاحزان ! بعد خمس سنوات من الوحدة اصبحت « ميوريال » مومس ولكن بالمزاج ! وهى الآن تنتقل من كوخ رجل أبيض الى كوخ رجل أبيض فى وضح النهار . فاذا عز الرجل الابيض ، انتقلت ميوريال من كوخ رجل أسود الى كوخ رجل اسود ولكن فى الظلام ! عيشة مهببة ومغبرة ولكن هكذا كتب على

ميوريال أن تدفع الدين الـــذى لقيته افريكيا على يد اقارب نصفها الابيض وعندما حان وقت الرحيـــل من القرية الافريكى الحلوة خرجت ميوريال تودعنا مزهوة فنحن على أية حال بيض وان كنا فى بياض عجين الردة ! وعند باب القرية الافريكى أمسكت البنت بجلبـــابى السكروتة تكاد تمنعنى من الخروج ، البنت المسكينة تحلم كأنها ممثلة فى فيلم من انتاج هوليود ! وعنـــدما سحبت هراديبى منها ووليت فرارا من وجههـــا وقفت على تل قريب تلوح لنا فى جنون كأنها بقايا مركب غرقانة فى جزيرة ونحن فى مركب انقاذ تمخر البحر من بعيد !

ميوريال المسكينة ، يا بنت أوربا القـــاتلة ويا بنت أفريكيا الضحية ، الله يتولانا جميعا برحمته والله معها ومعنا واياكم ..

# أمــيرة .. ولــكن فى المنــام ..



اذا كان الانسان حيوانا ناطقا ، ففى بلاد الافريكان الانسان حيوان راقص •• الرقص هناك على « البهلى » وعلى عينك يا تاجر واللى مايتفرج يشوف . الراديو يرقص كثيرا ويتكلم قليلا ، والأخبار هناك على فترات بعيدة والكلام بحساب . وتمثيلية واحدة فقط فى اليوم ثم الموسيقى الراقصة على ودنه ، وحتى التمثيلية الواحدة بطلها راقص وغلبان وصدمان وواقع فى حب رقاصة ، وليس الانسان وحده هو الذى يرقص ، كل شىء هناك يرقص حتى الشجر والبيوت . فعندما تهب الريح من المحيط الأطلسى على الساحل تتراقص أشجار جوز الهند الجميلة الرشيقة فتبدو وكأنها بنت حلوة شعرها منكوش! وبيوت الساحل كلها أكواخ ، وهى الأخرى ترقص عندما تهب الريح فيخيل اليك أن ساحل غانا كله حاضر فى حفلة راقصة ليس لها مثيل . وفى الليل يتحول ساحل غانا كله الى فرقة موسيقية تصدر ألحانا غاية فى الغرابة وغاية فى الارعاب . ملايين من الضفادع وكل ضفدعة وضفدع فى حجم القطة . وهات يا شخر ويا نخر وبصوت أعوذ بالرحمن الرحيم !

ولكن الغريب أنها متناسقة يضمها اطار من الهارمونى ؛ وتسمع قطعا موسيقية غاية فى الحلاوة والجمال وكأنها

الفرقة الضفدعية بقيادة أحمد فؤاد ضفدع !

كنت فى شارع مرة أسأل عن مكان ،واتجهت الى شاب مهيب المنظر كأنه ضابط فى جيش هانيبال ، له لحية ولا لحية ثائر من كوبا ، محترم ولا البابا بيوس . وعندما بدأ يجيب على سؤالى ، انبعثت الموسيقى فجأة من جهاز راديو قريب فأهملنى وأهمل سؤالى ونزل رقص ياميت ندامة كأنه جعان جوع الابل لم يذق رقصا منذ عام .

وفى وينيبا أجمل وأحلى قرية على الشاطىء الغربى لأفريكيا رأيت عمالا فى عز الحر ، عرايا كأنهم على بلاج ، والشغـــل داير ،والرقص داير فى نفس الوقت ، ورئيس العمال ماسك لهم الواحدة ، والدق على الحجر متناسق متجانس يعزف نغما غاية فى الحلاوة والهداوة والجمال . رئيس العمال ــ كما عرفت ــ ليس أحسنهم عملا ولكن أحسنهم رقصا ، وهم بدونه لا يعملون .. .والصوت كما صوت الصعايدة الجدعان أبناء بلدى ، أتمنى على الله أن تسافر الى أفريكيا بعثة فنون شعبية وستكشف العجب العجاب . ذات صباح جميل استيقظت من نومى على أصوات هادرة صادرة من قلب الغابة . كان اليوم يوم عيد فى وينيبا . وفى هذا العيد يعود الافريكى الى طبيعته . يخلع ملابسه ويرتدى ملابس الأجـــداد ،. وستبـرى فى المهرجان نفس المناظر التى تصورها هوليود على أنهــا أفريكيا اليوم .. الوجوه المخططة بأبيض وأحمر ، والعظم الذى على المنخار ، والريش المدكوك فى الشعر ، والملابس جلد غزال وجلد حمار ، والحراب عليها جماجم وعليها جثث طيور ! مناظر هوليود الكذابة ليست الا ذكرى يحتفل بها الافريكيون مرة كل عام . المهم أننى استيقظت ذات صباح جميل على أصوات هادرة صـــادرة من قلب

الغابة ، وانخلع قلبى وأسرعت دقاته لما سمعت . أقسم لكم وأحلف بكل كتاب أن الصوت شدنى الى القاهرة والى الجامع الأزهر صباح يوم العيد الكبير ، نفس التراتيل . نفس الأنغام ، كلكم لابد تعرفونها ، وكلكم لابد تحفظونها « الله أكبر كبيرا ، والحمد لله بكرة وأصيلا ، لا اله الا الله ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . . الكلام طبعا مختلف ، والمعنى طبعا يختلف ، ولكن النغم واحد ، والصوت يتردد فى أرجاء الغابة ، ورجع الصوت يرتعش فى جو القرية . كما تنداح مياه بحيرة سقط فيها حجر كبير ! أغرب شىء على هذه الأرض أن البشر لايختلفون كثيرا ، كلهم من آدم وآدم من تراب ، الاختلافات بسيطة ويسيرة وغير ذات وزن كبير . ولكن بعض البشر استغل الفرصة فلهف امتيازات بسبب هذه الفروق . البعض خطفوا السود وباعوهم فى المزاد ، وخطفوهم وصدروهم لوش المدفع فى الحرب ، وخطفوهم وأخذوهم الى بلادهم ، ليصبح البيض سادة والسود كما جرابيع الصحراء ! أى فرق بين الأسود والأبيض الا كما الفرق بين المرور على الشمال فى انجلترا وعلى اليمين فى مصر ؟ هكذا سألت العبد لله البنت القمحية الشقية مارسيل فى حفل راقص كبير فى اكرا . وأنت لا تلتقى بالشعب الافريكى ولا تعرفه الا فى حفلة رقص . والرقص هناك ليس حفلة ولكنه شىء مقدس ، ولأنه شىء مقدس فله قواعد وله أصول وله مواعيد كما الصلاة ، لا تتأخر دقيقة ولا تتقدم لحظات ! يوم السبت بعد المغرب تتوقف الحياة كلها ليبدأ الرقص ، والذى لا يرقص فى غانا كالذى لا يصوم فى رمضان فى مصر . قد يوجد من لا يحسن الرقص ولكنه لا يجرؤ على الاعتراف .. حتى السؤال نفسه اذا وجهته الى انسان

منهم فهو عيب لا يليــق ! وتذكرة الدخول الى المرقص بجنيه أخضر مقرقش كما السميط الطازة .. هذا اذا كان الراقص وحده ، أما اذا كان الراقص معه بنت تزقض فالدخول بنصف الأجــر .. ذلك أن المجتمــع الافريكى مجتمع متحضر فشر مجتمعات أوروبا ، ولا تستطيع أبدا أن تجد شلة رجالة بشوارب مع بعض ، أو شلة نسوان بكعوب عالية مع بعض . الرجل والمرأة جنبا الى جنب ، فى الغابة ، وفى المصنع ، وفى المكتب ، وفى الرقص

والبنت مارسيل أفريكية صميمة ، بنت بلد ومثقفة ، وحلوة كما حبة مانجه عويس ، لونها كما لون ثمر الدوم ، جسمها كما الأستك ، شعرها أكرت صحيح ولكن مرفوع الى اعلا ، آخر موضة وآخر مزاج . ظلت ترقص مطهومة لمدة ساعة ، لو حصان سبق يجريها لطب ميت من شدة الرهقان . والبنت مارسيل اللهم صلى ع النبى صحيحة البدن كما مهرة مرتاحة وشبعانة فى يوم مهرجان ! ومع ذلك فحياتها كانت أشقى من حياة العبد لله . أبوها مات وهى على عتبة المدرسة الثانوية ، وأمها هى الاخرى آثرت الرحيل الى دار البقاء بعد زوجها بثلاثة أعوام

واحتارت مارسيل واحتار دليلها ، ثم خرجت من المدرسة الى الشارع ، وسرحت فى أكرا بموز مشوى ، وحكمة الله أن الموز هناك ينشوى كما نشوى الذرة على شارع الكورنيش ! وكانت غانا تغلى كلها وقتئذ وتشتعل بالنار . الثورة تشمل الغابات والجبـــال والوديان ، ومارسيل تسرح وراء الرغيف وتطفح الكوتة من أجــل لقمة العيش . ولكن الشقاء لم يمنع مارسيل من الانتظام فى صفوف الثورة ، ولم تمنع الثورة مارسيل من العودة الى المدرسة

هكذا أصبحت مارسيل ثائرة وتاجرة وتلميذة .. ولكن مارسيل استطاعت أن تصنع كل هذا ، وأن تجمع بين التجارة والثورة والمدرسة فى آن واحد . ثم قدر لها فجأة أن ترتاح ، مات خالها وكان على شيء من اليسار . وبالنقود القليلة التى ورثتها أصبحت مارسيل صاحبة دكان فى « الكنجزاوى » وتفرغت للمدرسة وتركت الدكان لشقيق كان يصغرها بأعوام . وتخرجت مارسيل فى الجامعة ، وسافرت الى انجلترا وتخرجت فى جامعة لندن وعادت لتملأ الحياة ضجيجا وعجيجا وأملا بغير حدود . البنت القمحية الشقية مارسيل الجميلة لم تتزوج بعد .. مع أن الرجالة فى افريكيا على قفا من يشيل ! وأى رجل هذا الذى يرفض أن يشيل مارسيل على أم راسه ؟ ولكن لسبب غريب مارسيل لا تريد أن تتزوج . كانت دائما تخشى الزواج ، لان الزواج يعقبه عيال ، وقد يجيء الموت ، وعندئذ ياميت ندامة على العيال وعلى اللى خلفهم !

هكذا حدث لمارسيل فى سالف الايام ، وهى تدرك طعم الشقاء وتعرف مذاق الضياع ، ولذلك فهى لا تريد أن تطعمه لمخلوقات فى علم الغيب . وهى تعتقد أن وجودهم دائما فى الغيب خير لهم وأبقى ! على أية حال ، وعلى كل حال ، مارسيل الشقية القمحية التى تعمل فى النهار وترقص فى الليل ، وجه حلو من وجوه أفريكيا ، وجه صلب رغم التقاطيع الجميلة ، وقلب شجاع رغم الرقة والحنان ، لهطة بسبوسة ما أحلاها وما أعرض وأعمق حياتها ! ولكن ما أبعد الفرق بين مارسيل وكمفورت ، وكمفورت كلمة فى القاموس الانجليزى معناها المريحة . التقيت بالست المريحة اياها فى حفلة رقص . جالسة على الكرسى رجل على رجل ومعنزة كما شيخ غفر متعين

حديثا ! .. وجهها بزرميط ، لا هو أفريكي ولا هو جريكي ولا هو أى شىء . عيون أشهد وأختم وأبصم انها ولا عيون البقر . عيون تضرب شرار وتضرب رصاص ، عيون آمرة كاسرة ولا عيون ملك مجنون على قبيلة آخر تعب ! ومناخير زى الكوز ولكن فيها شىء . وشفايف .. لا ، ليست شفايف ولكن شفاتير ، وكل شفتورة وشفتورة كما العيش الشمسى بتاع زمان ! وشعر كما شوك نابت شيطانى فى رأس صلعاء ! وجسم .. سبحان العاطى الخــــلاق ، مفصنص ، معضل ، مدكوك ، موزون . آخر ظبط وآخر تمام

والبنت كمفورت ترطن بالانجليزى وبطريقة بتوع لندن تمام . وملابسها ليست على ما يرام ، ملابس تكشف أكثر مما تخفى ، والبنت نفسها لا تعــرف الفرق بين التحرر والانحلال . البنت جاهلة وقوية ، وعينها غليضة كما كانت تقول ستى فى سالف الزمان ! وعند الرقص رقصت ولا فراشة ، ودكت الارض ولا حصان ، وداخ الذى رقص معها ولم يصبها أى شىء من الدوخان !

البنت جالسة مشمأنطة قرفانة تحتاج الى غلق لمون بنزهير ، أو غلق حامض على رأى اخوانا فى لبنان !

البنت أمها أميرة ـ هكذا قالت ـ وهى بالتالى أميرة ، ولكن التطور الكاسح الماسح فى افريكيا اليوم بطط تحت رجليه كل الكلام الفارغ الذى كان محترما ومقدسا أيام زمان ! وأكم أمراء كانوا فى أفريكيا زمان ، أكم ملوك كانوا فى الايام الخوالى ، كل واحد كان صايع وضايع كابس على أنفاس قبيلة داخل الغابة وعامل أمير ! كل صعلوك مهتوك راكب على أعناق حفنة من الناس وعامل ملك الملـوك ! البنت لا تزال تعيش فى الماضى ، ولذلك فهى تحتقر افريكيا من أعماقها . هى ليست أفريكية الا

بالمولد ، ولكنها تعيش فى لندن من زمان . سألتها فى أى مكان فى لندن كانت تعيش ؟ لم تستطع أن تجيب على السؤال ، فزاغت وقالت .. فى اسكتلندا . والعبد لله لم يذهب الى اسكتلندا ولذلك صدقت العناوين التى ذكرتها . كذابة هى قطعا ومهروشة الدماغ وأميرة .. ولكن فى المنام ! وهى نجمة مشهورة فى اسكتلندا ، الصحف تنشر صورها وتنشر أخبارها ، ويتردد اسمها فى الراديو فى نشرات الاخبار ، وهى تعمل فنانة فى بلاد الانجليز ، وأكرا لا تعجبها لأنها قرية ، وأفريكيا ليست على مزاجها ، والفن كله والعالم كله والنعيم كله يا قلبى .. فى بلاد الانجليز !!

سألتنى عن مصر باستعلاء ، هل فيها تماسيح ؟ هل تعيشون فىالصحراء ؟ وتحسست ـ لا مؤاخذة ـ مداسى لينوب عنى فى الجواب !

راقبت البنت المعنزة كثيرا وفى كل مرة كان يزداد ايمانى بأن صواميل مخها مفكوكة ومسامير عقلها محلولة، وكل أبراج التفكير فى رأسها ذهبت مع الريح ! سألت مارسيل عن كمفورت فكشفت لى عن سرها . البنت اياها صايعة بنت صايعة ولكنها بالنسبة لبنات افريكيا حلوة بلا جدال ! اشتغلت فى أكرا خدامة عند واحد اسكتلندى مهروش الدماغ ، عوج رأسها فعوجت مشيتها . أصبحت معنزة كما الغراب . وعندما دقت طبول الثورة فى افريكيا سحبها الاسكتلندى معه الى هناك . وأن تكون البنت خدامة فى أكرا شىء معقول ، ولكن فى اسكتلندا يصبح الامر ... يا حفيظ ! وتعرفت البنت المهروشة الى ولد من جاميكا كما الواد بتاع كريستين كيلر .. معه مطوة مفتوحة على الدوام ، وعنده ملهى ليلى فى بدروم تحت الارض ، تجتمع فيه كل مساء

عصابة من الصيع والانطاع ! وسحب الولد الجاميكاوى البنت من بيت اسيادها الى الملهى الليلى وهات يا رقص كل مساء • ومضى عام وتصورت البنت نفسها رقاعـــة ولا جوزفين بيكر فى زمانها ! اخذت تتمرد وتتمرد ثم هجرت الملهى واسكتلندا كلها وذهبت الى لندن تبحث عن عمل فى حى سوهو الشهير ! ورحب الجميع بها كخدامة ولكن ليس كرقاصة • ولما انقفلت جميع الســـكك فى وشها ، هجرت لندن وعادت الى أكرا تبحث عن مكانة تحت الشمس وليس عن مكان ! مؤهلاتها كلها نظرة ازدراء لكل ما هو أفريكى ، ولسان معووج يرطن كما انجليزى مولود فى برمنجهام ، مشمأنطة ومعنزة وجاهلة أجهل من حمار • فلما فشلت فى أكرا اخترعت حـــكاية الاميرة ، وراحت تتردد كل مساء على المراقص تبحث عن واحـد غشيم مستعد لتصديق كل شىء •• من أول سمو الاميرة الى الفنانة الكبيرة صاحبة الصيت الذائع عبر البحار ! وهى فى كل ليلة تجد رجلا يصدقها أثناء الظلام ، وفى شمس النهار يكتشف انها أكذب من مسيلمة ، وتكتشف هى أنه أمكر من ثعلب غيطان المنوفية ، وهكذا تمضى الحياة فى أكرا ، الليل كله فى المراقص ، والنهار بطوله فى الفراش ، ولقد كانت كمفورت فى البداية امرأة صايعة فأصبحت امرأة دايرة ، وستظل تدور حتى تسقط من فرط الاعياء !

كمفورت الصايعـــة الدايرة ليست وجهـــا من وجوه أفريكيا ولكنها جزء من قفاها ! والبنت كمفورت ليست حالة شاذة فى افريكيا ، ولكنها مخلفات الحكم الاجنبى هناك . مضى الاستعمار خارج افريكيا وترك بصماته على وجه الحياة . انا شفت بنت اسمها أودرى عاشت فعلا

فى لندن ١٧ سنة . هل تعرف العيال الصيع بتوع زمان فى مصر ؟ أبناء الناس المتريشين المليانين الـــذين كانوا يسافرون كل عام للاستشفاء والعلاج . والذى يذهب الواحد فيهم شهر واحد الى فرنسا فيعود ببرنيطة وبايب وصوت مسلوخ كما صرصار يصوصو فى الظلام ؟! هل تعرف أثرياء الحرب ، الذين استولوا على غنـــائم من الجيش الانجليزى أكثر مائة مرة من الغنائم التى استولى عليها الالمان ؟ هل تذكر تجار الخردة والكارتة والازايز الفاضية ومتعهدى اللحوم والبيض والعيش للمعسكرات؟ أنا أعرف واحدا منهم كان يسكن فى حارتنا ، وهى حارة متواضعة الناس فيها اذا ارادوا شم الهوا طلعوا فوق السطوح لانه ليس فيها بلكونات ! هذا الرجل القلبان مثل حالى عندما نشبت الحرب اشتغل متعهد كارتة ، وبالعربى الفصيح اشتغل متعهد زبالة فى المعسكرات . بعد سنوات أصبح الواد ابن حارتنا راجل غنى تمام ، خلع الجلابية والشبشب وارتدى بدلة وقميص حـرير وكرافتة انجليزى آخر طراز . حكاية الرجل هينة ولكن حكاية مراته هى الحكاية اللى عليها القصد والنية ، مراته ام ملاية لف وشبشب زحافى ، وقمطة على الجبين ، وكام عيل مسلوع معلول ماسكين فى طرف الملاية حتى لا تهرب الأم منهم وتزوغ . المراة اياها خلعت هذا كله ، واشترت فستان موضة ، ودهكت وشها جير ، ودهنت شفايفها احمر قوطة ، وكانت تدخل حارتنـــا تقول للستات أنا مستأسفة بدلا من عواف ! ولم يكن أحد فى الحارة يدرى لماذا هى مستأسفة ، ولماذا تدهن نفسها بكل هذه الالوان حتى كأنها أراجوز يتفرج عليه العيال !

السبت ام ابراهيم هذه ، هى الخالق الناطق الست اودرى الافريكية التى التقيت معها ذات مساء فى بيت

أنيق على الساحل الغربى فى افريكيا . الست اودرى عاشت ١٧ عاما فى لندن صحيح ، جرسونة فى محل أكل وشرب على رأى شندى فنان بلدنا ، وفى لندن التقت برجل افريكى طيب كان يطلب العلم هناك . احبت أودرى فى الرجل علمه ، واحب الرجل الطيب فى أودرى طريقة اعدادها للطعام . وتزوجا وعادا الى أفريكيا . الرجل مثقف فعلا وطيب فعلا وابن حلال مصفى ، والست أودرى لا تريد أن تنسى الـ ١٧ عاما فى لندن .. شكلها لا يفترق كثيرا عن شكل العبد لله ، أقصـــد اننى أحلى وأجمل . ومع ذلك فالبنطلون مجزق على العظام ، وجهها ـ استغفر الله ـ كصفيحة قديمة مطبقة من كل ناحية ، ومع ذلك فالبلوزة تكاد تكشف ليس عن أكتافها ولكن عن بطنها ، والست أودرى عندها عربية وهى تسوق ، مرتب زوجها الطيب ضائع على البنزين والويسكى والبناطيل .

ولأن زوجها واقع فى دباديبها حتى صلعته فقد آثر أن يستلف . والسلف تلف والرد خسارة . وهات يا سلف حتى صار أشهر سليف فى بلاد الافريكان ، ولما انسدت أمامه سبل السلف تحول من سليف الى نصاب .. كتب شيكات بلا رصيد ، وباع أرضا وهمية ، واتسعت اعماله أكثر فأصبح يصدر لتجار فى الخارج بضاعة فى الخيال ، وانكشف الرجل الطيب فى النهاية ودخل الســجن . وقضى فى السجن شهورا طويلة ثم خرج ليجد كل شىء على ما يرام . البيت مفتوح وعامر ، وحساب النـور مدفوع ، والسيارة أصبحت أكبر وبنزينها أصبح أكثر ، شىء واحد تغير فى البيت ، لم تعد الست حرمه وحدها أصبح لديها عدد من الصديقات على كل لون ، وعليهم عدد آخر من الاصـدقاء من كل ملة ! وغطرش الزوج وضهين ، فالاكل والحمد لله موجـود ، فراخ فى جمجم

العجل البتلو ، وحمـــام كما النسور ، والويســكي بالصـندوق ، والفلوس كما القمح فى موسم الحصـاد .
وهكذا تحول الرجل الطيب الى رجل طيع . ولقد تعرفت على أودري بالصدفة ، وكانت نظرة فابتسام فسلام فرغى أزلى ، فهى أيضا حريفة كلام وزكريا الحجاوى بالنسبة لها مجرد مبتدىء ناشىء يستحق الجـلد على ظهره !
والبنت قبيحة وسليطة ولسانها كما الكرباج . كنا على ساحل المحيط هربا من لهاليب النار . المحيط نفســه حران وعرقان ، وحكمة الله ان كل النساء على الشاطىء عواجيز نكاريش وأوحش من العبد لله ويقرفوا الكلب الجربان ! هؤلاء هم نساء الطبقة الهاى لايف وهى الطبقة التى اغتنت وتريشت بعون الاستعمار ، تحويش العمر كله نازلين فيه بعزقة على البطـالة والراحة وشـاطىء المحيط . الست أودرى رغم الوحاشة والعظام النخرة كانت تبدو جميلة وسط هذه الباقة من البقر الهولندى السمان ! ولكن أكون كذوبا ابن كذوبون لو قلت لكم ان كل النساء كانوا فى حجم سيد قشطة ، وحشين كمـا شيتا فى أفلام طرزان . فجأة هبت علينا حسناء كما الحربة المسنونة ، جسمها مشدود كما الغربال ، المايوه فى حجم منديل الايد ، وكل شىء ظاهر وواضح وعلى عينك يا غلبان ! سبحان الله ، جسم الست فن ولا فن الالحان . الست كما قطعة موسيقية من وضع شتراوس والست الطعمة تدرك انها طعمة فتمشى تتقصع كمـــا التختروان ، ليس على الجلد كله خدشة ولا هبشة ولا لطشة . كأنها مصنوعة من باركيه أسود غاية فى النعومة واللمعان . كأنها عربية انسيابية مضروبة بدوكو اسود شغل بلده آخر طلاوة وحلاوة وجمال .. قطعة لحم فقط أعلا الذراع مكان التطعيم بارزة قليلا فى الجلد كله ..

ولكنها ليست منهوشة ولكنها مختومة فقط ، كأنها فخدة بتلو خارجة من السلخانة وعليها ختم الدكتور ، ورأت أودرى الخبيرة اننى انظر وادقق وأكاد أخترق بنظراتى التى كالرصاص حتى الجلد والعظام ! ودعتنى السيدة أودرى الى البيت ولبيت عملا بالقول المأثور : اذا دعيتم فاستجيبوا ، ودخل علينا شحط جبلى سلم وجلس والست أودرى لا تكف عن الكلام المكشوف ، وبعد ساعة من الهزار قدمتنى للشحط الجبلى ، وقدمت الشحط البلدى للعبد الفلبان ، ووقع قلبى فى ركبى . فالشحط اياه جوز الست أودرى وسبعها المغوار . وهتفت فى أعماقى يا خفى الالطاف نجنا مما نخاف ، فلو ان هذا الشحط البلدى اياه لهفنى زغدا ولو على سبيل الهزار فحتما سيكون قبرى هناك ! والست أودرى الله يخيبها لم تسكت ولم تكف عن الكلام اياه ، العكس هو الذى حدث ، تمادت وتبجحت ، والبنت والحق أقول مثقفة

من منبع خاص . عندها مكتبة صحيح ، وفيها كتب صحيح ، ولكنها كلها من مدرسة رجوع الشيخ الى صباه ، وكتب الثقافة الرفيعة قوى من صنف جيمس بوند وأجاثا كريستى ، وكل حكاياتها تدور وتلف حول الفيس بريسلى والخنافس ، وهى دائما تستشهد بلندن، ولندن يرد ذكرها على لسانها بسرعة مائة مرة فى الدقيقة . الجو هنا فظيع ، ولكن .. أوه .. ما أجمل جو لندن ، وأنا آسفة لان الشاى ليس جيدا كما ترى ، كم أتوق الى رشفة شاى فى أحد مقاهى شلسى ، وهذه الكراسى غير مريحة .. كم هى مريحة كراسى لندن .. وليلة أعتم من ليالى الحرب هى التى سهرت فيها مع أودرى . متكلفة ولا كلبة يزيد ، متعجرفة ولا تركى فلسان ، كذابة ولا راديو اسرائيل ، طماعة ولا يهودى فى البندقية ..

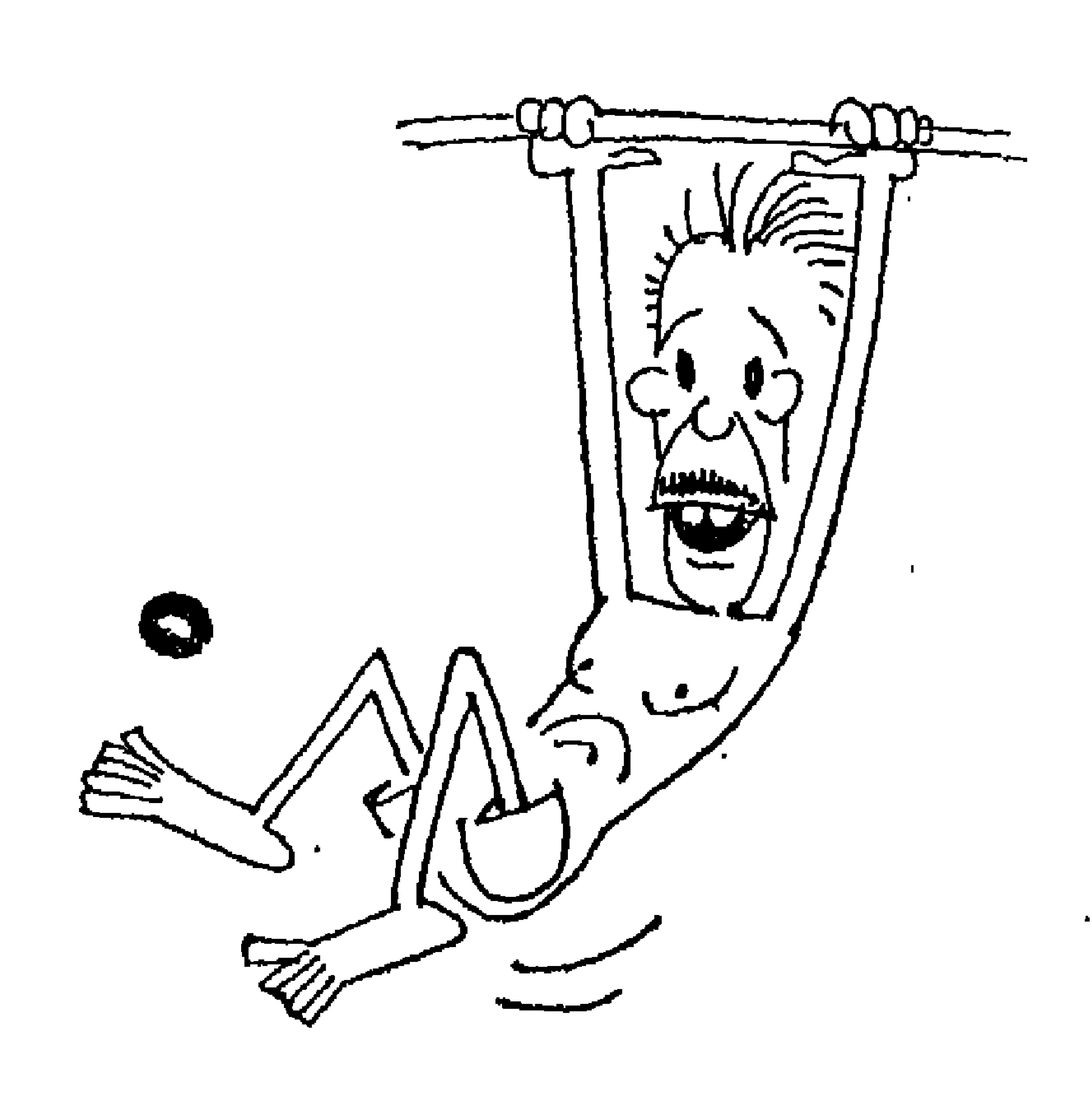
والقيت نظرة على الحاضرين فاذا بهم جميعا قرفانين آخر قرف واغلبهم نام واستراح . فلما رأيت النوم فى الناس فاشيا ، تناومت حتى قيل انى نائم ، وعندما استأذنت فى الخروج ، أسرعت تلهث ورائى ببلوزتها المكشوفة وبنطلونها المحزق .. وكتمت فى صدرى ضحكة فقد كانت شديدة الشبه بالبنات اللواتى يأكلن نارا فى شوارع القاهرة . ولو ربنا رزقنى بواحدة من نوع أودرى لسرحت بها فى الشوارع ، أنا ألعب الهيلاهوب وهى تأكل نارا وسنجمع عندئذ ثروة لا بأس بها . لو نطوف الحوارى أنا والست أودرى بمنظرها وبنطلونها تدعو العيال الى الفرجة على فيلم طعنة فى الظلام تأليف وتخريج وتفريغ عبد الرحمن شريف فلا بد اننا سنتعشى وننام حامدين شاكرين الله ! الست أودرى كانت تلهث ورائى لغرض ، ولم يكن الغرض غير شريف لا سمح الله ، ولكن لغرض شريف خالص ، سألتنى الست أودرى .. هل أجد معك عملة صعبة ؟ قلت .. الحمد لله .. ولا سهلة !.. وفشخت بفها فبدت كسحلية تضحك ، وقالت .. مش معقول ، سائح مثلك ليس معه نقود ! قلت لها سيدتى ، أنا لست سائح .. أنا واقع وحكايتى تشيب الطفل الرضيع .. قالت .. احكيلى أرجوك ، انا أهوى الحكايات الغريبة ، عادة تعلمتها منذ كنت فى لندن . انت لا تعرف كم أنا أعشق لندن ، عندما رأيت لندن أول مرة احسست اننى أعرفها من قبل ، راودنى اعتقاد بأننى ولدت فيها من قبل ثم مت ، ثم بعثت بعد ذلك فى افريكيا . صدقنى .. أنا اكره افريكيا ، ولكن عذائى الوحيد اننى اعيش على أمل أن نهاجر من هنا الى لندن فى يوم قريب !

الست اودرى الناشفة الحاشفة نموذج مضحك ستجده كثيرا فى افريكيا ، حيث كانت السيادة والقيادة

يوما ما للرجل الابيض المظلظ كما الفطير . كان القانون السائد ان الرجل الافريكى لا يصلح للحكم ، الرجل الافريكى للشغل والابيض للادارة والامارة والسلطان العظيم ، وناس ياما صدقوا أسطورة الرجل الابيض ، ويوم الاستقلال فقد ناس ياما عقولهم . هل هذا صحيح؟ هل انتهت دولة الرجل الابيض ؟ ولكنهم عاشوا على أمل أن كل شيء سينهار وسيعود كل شيء الى ما كان عليه .. فلما مضت سنوات وسنوات وكل شيء ينمو ويزداد فى الاتجاه الجديد ، انهار هؤلاء تماما ، بعضهم انتحر ، وبعضهم انهطر فى عقله فصار مثل اودرى المفقمة المبقمة .. لا تملك الا أن تهذى بكلام فارغ كتير ..

ولأننا فى أفريكيا ، ولان الصراع لايزال على ودنه بين القديم والجديد ، والحرب شغالة بين التحفظ والتحرر فسنجد على سطح الحياة ، نماذج حقيرة ونماذج عظيمة .. نماذج حقيرة تركها الخواجات ، نتاج سنوات الذل الطويلة ، ونماذج عظيمة دفع بها الشعب على السطوح ، نتاج سنوات الثورة العامرة بالكفاح . ويا صلاة الزين على النماذج التى سنعرضها عليكم باذن واحد احد قهار

# الفنان والعبيط والشيخ على.. فى أفريكيا



سيكون كل شيء على ما يرام باذن الله ، فنحن على شاطيء أفريكيا ، والدار أمان ، ونحن أفريكان على أية حال ، أجدادنا كانوا هنا ، وبعض الناس الذين سنلقاهم فى الطريق ، كانوا عندنا ، العسكرى الافريكى اصارى ، وسى محمد ، ولا أعرف له اسما آخر ، ولكنه افريكى كان يعيش فى شبرا ، وخريج الكلية الحربية فى مصر ، ومتزوج مصرية تعيش معه على شاطيء وينيبا وفى حديقة دارها الآن تجارب على زراعة الملوخية ..

وفى بيت سى محمد تشرب شاى آخر السطه وتأكل لمون مخلل بعصفر آخر مزاج ، وعيش مشقق مفقع ملدن ـ بتشديد الدال ـ ويسألك سى محمد عن دوران شبرا ، وقهوة جنة شبرا ومخزن الترماى ، والراجل بتاع لحمة الراس الذى فى عابدين ، ثم يطلب منك فى النهاية سيجارة بلمونت بفلة . السيجارة البلمونت كأنها ماء النيل ، من يشربها مرة لا بد أن يطلبها مرة أخرى !

وسى محمد مصرى مصرى المزاج والغرام والقعدة ، وياحلاوة على المصرى النزيه ليس له مثيل على ظهر الكرة الارضية والنزاهة فى قاموس أولاد البلد لها معنى آخر غير الذى فى قاموس الفاروزوبادى ..

يقول أولاد البلد الطيبين الحدقين الألاجة .. فلان

نزيه فى أكله .. ونزيه فى لبسه ، ونزيه فى عيشته ، النزاهة هنا تعنى مستوى . فاذا كنت حضرتك نزيه فى اكلك ، فمعنى هذا ان مأكولك فى الفراخ والحمـــــام والطواجن على كل لون ..

والمصرى الاصيل اذا كان نزيها بهذا المعنى افترى ..

المصرى الاصيل بطبعه يحب الحيـــاة ، فاذا راقت دماغه أصبحت الحياة لعبته ..

اقسم لكم بدينى أننى تعرفت فى أفريكيا على واحد اسمه الشيخ مهدى ، الناس هناك يطلقون عليه الشيخ نمرة ، وهو مثل سى محمد واحد من هذا الصنف النزيه الذى حدثتكم عليه . القميص حرير يهفهف ، والبنطلون صيفى ومظبوط فشر تفصيل ايطاليا ، والراجل نفسه سمين ومرتاح ولذائذى ودائما نائم على روحه . ولأنه لذائذى فهو ينام النهار بطوله ويسهر الليل كله ، وهو مزاجاتلى له فى كل مجال باع . وهو فى أى مجال وردة ، وهو ممسوس لانه عاش فى مصر عشرين عاما طويلة . عاشها فى سيدى عبد الدايم فى عابدين ، وكان الشيخ على محمود هو مثله الاعلى والاسمى ، وعاش الشيخ مهدى حياته كلها يسرح خلف الشيخ على ويسحبه آخر الليل الى بيته . وفى البداية راح يقلد طريقته فى التـــــلاوة وطريقته فى الانشاد ، ثم راح يقلد حركاته واشاراته ، وحتى الكحة اللعينة التى كانت تلازمه فى أخريات أيامه ، أصابت عدواها عمنا الشيخ مهدى . السعال يخرج من صدر الشيخ مهدى بنفس الطريقة التى كان يخرج بها من صدر الشيخ على محمود رغم ان الشيخ على محمود كان مريضا وهو فى السبعين . والشيخ مهدى لا يزال فى الخمسين من عمره ..

وعاش الشيخ مهـــــدى فى مصر يدخن .. ويشرب

زوتوس وله ألف صديق وله فى كل ليلة قعدة ، وفى تلك القعدات كان الشيخ مهدى يعبد ليالى الشيخ على محمود اذا أغمضت عينيك وسمعته خيل اليه انك تسمع الشيخ على الله يرحم أيامه ..

والشيخ علي محمود لم يكن مقرئا فقط ، كان مقرئا وفنانا وموسيقيا ، ومحمد عبد الوهاب تعلم الكثير من أسرار الصنعة على يديه ، والشيخ زكريا أحمد كان واحدا من بطانته ، وعشرات من أهل الفن والمزيكة شربوا من نبع الشيخ على وارتووا من بحره ..

ولكن الفنان الناصح ابن الناصحة هو الذى يتأثر بأستاذه بقدر ، والفنان العبيط هو الذى يتأثر بأستاذه الى درجة القتل ، يظل متأثرا بأستاذه حتى يموت . ويعيش حياته كلها فى ظله ، يتحرك فى دائرته ويتكلم بطريقته ، ثم ينتهى آخر الامر الى مجرد شبح يتحرك خلف الاستاذ العظيم ..

الشيخ مهدى فنان من النوع الاخير ، فنان وعبيط ، ذاب كله فى الشيخ على وضاع فيه ، فلما مات الشيخ على أصبح الشيخ مهدى مجرد بصمة لأستاذه ، الحديث كله عن الشيخ على ، والكلام كله حول الشيخ على ، والشيخ على الميت يحكم الشيخ مهدى الحى ويوجه خطواته ، وياميت نجف على الليالى الحلوة التى سهرناها مع الشيخ مهدى على شاطىء النهر فى أفريكيا نسمع تواشيح الشيخ على وتقاسيم الشيخ على ونوادر الشيخ على . والنهر كله تماسيح تتلعبط ، ووحوش تتلمظ ، والشيخ مهدى غائب عن النهر وعن التماسيح وعن الوحوش وعن الوجود كله ، سيرة الشيخ على عنده ولا سيرة الحب عند سميعة أم كلثوم ! ..

أنا أحببت الشيخ مهدى وعشقته ، والرجل لا ينسى

الشيخ على لانه لا ينسى مصر ، ويدفع نصف عمره ويعود شهرا الى مراتع الصبا فى سيدى عبد الدايم ومعروف وشارع كلوت بك وعشش الترجمان ! وهو يكون أكثر الناس سعادة كلما عكم واحد مصرى سميع مثل حالى ونزل فيه كلام وغناء حتى يدركه الصباح . وهو اذا انسجم قوى ، وانشكع قوى ، يبكى كطفل . وأحيانا من شدة اللذة يلطم على خديه . وأحيانا ينهض واقفا فجأة يصرخ كأنه ضبع لئيم فى الغابة . شعرت خلال الايام التى قضيتها معه أن الارض ضاعت من تحت رجليه ، وانه هو نفسه ضايع يلف حول نفسه ، حتى الهواء الذى يشمه غريب على رئتيه ، فقد تعودت أن تتنفس من تراب وغبار المقطم !

وبكيت وأنا أودعه . الرجل الافريكى الطيب عم مهدى الذى كل أصدقائه الان عابرو سكة وأبناء سبيل ، والذى ما تكاد علاقته تبدأ بهؤلاء الاصدقاء حتى تنتهى ، والذى ما يكاد يهدأ نفسا حتى يهب مذعورا يبحث عن صديق أو على الاقل يبحث عن رجل يقبل أن يعيره أذنا !

وعن طريق الشيخ مهدى تعرفت الى رجل خواجا غريب الشكل والمنظر . خواجا مقدد مكرمش كأنه سلحفة فى حديقة الحيوان . سيقانه تطل من البنطلون الشورت كأنها أصابع رجل مريض بسل العظام . مروهق وأصفر رغم انه من بلاد البيض الامارة . محنى الظهر كأنه يبحث عن شىء فقده على أرض افريكيا . سكران طول النهار يقريع فى بيرة وطول الليل غرقان لشوشته فى الكونياك لا يكاد يفيق لحظة ، ربما لانه يريد أن ينسى فلقد كان الرجل سيدا يوما ما ، وكان عظيما وكبيرا وصاحب مال واقطاعى صاحب عزوة ! وكانت له مواهب شتى ، وكانت أبرز مواهبه انه رجل ابيض ..

وعندما عادت افريكيا الى أهلها وأصبحت مصائرها فى أيدى أبنائها ، أصاب الذهول الرجل الابيض المكرمش، وانقلبت الست زوجته ميتة من الخضة ، وهاجرت احدى بناته مع رجل أبيض ملظلظ الى بلاد بره ، وسرحت البنت التانية على روديسيا . وبقى الرجل الابيض مكانه، يشرب لينسى ، وهو ليس له أصدقاء فكلهم ماتوا من زمان ، صايع ليس له مهنة ، ضايع ليس له سلطة . مجرد حطام شهرته تدوى كالرعد ولكن فى البارات والحانات والملاهى الليلية . وعندما تغلق كل هذه الاماكن أبوابها ، تستطيع أن تلقاه على أى رصيف ، فهو من جماعة المراصفة ، أبناء الرصيف ! وعلى أى رصيف يجلس الخواجا الغلبان حتى الصباح يعب من زجاجة تحت رجليه ويغفو ، فالحياة لم تعد تطاق فى افريكيا لهذا الصنف من البيض . وهو لا يستطيع أن يقاوم ولا يجرؤ على الحركة ، وكل ما يستطيعه هو أن يدمر نفسه ، وأشهد انه نجح فى مهمته خير نجاح !

خواجا آخر تعرفت عليه عن طريق الشيخ مهدى ، خواجا ومعه بندقية ، فهو صياد كان يأتى فى الايام الخوالى الى افريكيا فى رحلة صيد ، وكان يأتى لورد ابن لوردية ، الدولارات معه بالكوم ، والجنيهات الاسترلينى معه بالويبة ، والبنادق معه جاهزة ، والاصدقاء على قفا من يشيل . وكان يستأجر بغالا ويستأجر رجالا ، ويدخل الغابة يصطاد . ويغيب داخل الغابة شهرا وشهرين وثلاثة شهور ، ويعود ومعه صيد يذهب به الى بلاده يعلقه على جدران البيت ، يتفرج عليه الضيوف ، ويتفرج عليه العيال ، ثم تمضى عدة سنوات قبل أن يأخذ عزاله ويأخذ فلوسه ويعود الى افريكيا . ولكن الحياة تدهورت بالخواجا الصياد ،

وراح هو الاخر يتدحرج حتى وصل الى الحديدة . لم يعد معه فلوس ولا شيكات سياحية . حتى البنادق باعها فى السوق ، ولكن الغابة كانت تملأ عليه خياله والصيد يسرى فى دمه ، وسرعان ما هجر أوروبا كلها وطار الى افريكيا يصطاد منها ويسترزق ! وهو الان دليل محترف ، يذهب مع البيض المتريشين داخل الغابة ، يدلهم على الطريق ، ويصطاد معهم ، ويخرج من المولد بحسنة . واحيانا يفتحها الله عليه فيصطاد صيداً سمينا لحسابه ، ويكون معه جماعة متريشين ، فيهبر من الصيد ويهبر من الجماعة ويكرمه المولى الذى لا ينسى عبيده حتى ولو كانوا من البيض !

والصيد كما فهمت من الخواجا ، ليس بندقية وغابة وشوية وحوش وهات يا ضرب نار ع الفاضي وع المليان ! الصيد حياة وتجارة وتنظيم قبل كل شيء !

وانت لكى تصطاد « فيل » مثلا تحتاج الى خمسمائة جنيه . ستأخذ معك عشرة رجال افريكان . ومؤونة تكفيهم ، وستأخذ معك بنادق وذخيرة تكفى لشهر من الزمان . وستدخل الغابة وانت وحظك . لان الحيوان الذى اسمه الفيل ، ليس كالسجاير التى اسمها الفيل . اذا طلبتها من عند الدخاخنى ناولك العلبة على طول . أما الحيوان الفيل فيحتاج الى صبر ولا صبر عمنا أيوب . لان الحيوان الفيل ليس موجودا على الدوام . قد تصادفه وقد لا تعثر عليه ! واذا عثرت عليه فلا بد من خطة لكى تحصره فى مكان ، بحيث تضمن حياتك اذا أطلقت عليه النار وخابت الطلقة ، لانه يا ويلك من الفيل اذا أطلقت عليه البارود ثم عاش . الغابة ستصبح سداح مداح تحت رجليه . وكل رجل ورجل ولا جذع شجرة جميز . وهو ملك الغابة بلا منازع صحيح ان

اللقب للاسد . ولكن من الذى خلعـــه عليه ؟ ليست الحيوانات قطعا هى التى فعلت هذا ، ولكنه البنى آدم الذى يريد ان ينظم الكون كله على هواه . ويوزع المناصب والالقاب حتى فى عالم الحيوان . ولكن أصغر ثعلب فى الغابة لا يصدق هذا الافتراء الذى من صنع البنى آدم ، فأى ثعلب فى الغابة يعلم تمام العلم أن الفيل هو الملك المهاب وليس الاسد الكسلان الجـــربان العواطلى الذى ينام طول الليل ، ويتثاءب طول النهار ! وزئير الاسد المرعب المخيف لا يخيف أحدا الا الانسان ، وهذا الزئير فى حقيقته ليس الا تثاؤب الاسد الوخمان . ولكن الفيل اذا اتغاظ فياداهية دقى على الصياد وعلى أى واحد معاه ! والنشان لازم يكون مضبوط وخمســـــة وعشرين قيراط والرصاصة فى جلد الفيل لا تؤثر عليه وربما ترتد وتصيب الصياد ، الضرب لا بد أن يكون فى المليان . ومليان الفيل فى الاذن ، وفى الفم المفتوح ، وتحت الذيل، وفى العين . فان خابت فأمك ــ ولا مؤاخذة ــ داعيـــة عليك ..

الخواجا بتلر الصياد عندما دخل الغابة أول مرة كان شابا ومعجبانيا وقويا ومفترى آخـــر افترا وحاسس بنفسه .. ويا أرض ما عليكى الا العبد لله !

وتصور الخواجا بتلر فى الغابة وهو على هذا النحو من السذاجة والهيافة وشاهد فيلا يرعى فى أمان الله . وعمر البندقية ونشن واندبت الرصاصة فى جلد الفيل . وهاج الفيل ورمح نحو الخواجا ، واقتلع فى طريقه كل الاشجار، ورمح كل الناس الافريكان الذين كانوا مع الخواجا لانهم مدربون يعلمون كيف يكون الحال اذا هاج عمنا الفيل . وهو نادرا ما يهيج ، ولكن آه من هوجة الطيب الصبور !

واحتاس أخونا بتلر ورمح بأقصى سرعة ، تاه فى الغابة

أياما حتى وجدوه مغمى عليه يكاد النمل أن يحمله الى بيته ! وتوبة من دى النوبة ، وراس اخونا بتلر والف جزمة قديمة لا يهوب نحو الفيل حتى ولا فى حديقة الحيوان ! وعدة سنوات بعد ذلك واخونا بتلر لايصطاد الا الحمام واليمام والغراب النوحى الوديع ! ولكنه بعد ذلك تعلم وتدرب واستطاع فى النهاية أن يصطاد الفيل . وباع عاج الفيل بخمسمائة جنيه وباع لحمه بمائة أهيف. والناس فى الغابة يأكلون لحم الفيل ، والخواجا بتلر أكل منه هو الآخر ، ويقسم بكل كتاب أن لحمه ألذ من لحم الثور ! والاسد المرعب المخيف يلقاك فى الغابة فيهز ذيله ويهز عنقفته ويجلس بالساعات أمامك لا يهش ولا ينش ، مسكين عمنا الاسد نظره على قده ، لولا العيب لسار فى الغابة يتوكأ على عكاز . ولو حيوان حدق فتح معمل نظارات طبية فى الغابة لكان عمنا الاسد هو أحسن زبون لديه ! والنمر لا يهاجم الانسان الا اذا فقد عقله . فى عالم الحيوان أيضا ناس عقلاء والعقل زينة ، وناس آخر جنان !

والحيوان المجنون معذور ، يأكل ولا يشعر بشبع ، ويفتك بالانسان لمجرد أنه شىء يتحرك . ويهاجم كل من يلقاه حتى الفيل ! مع أنه لو كان يتمتع بعقله لأفسح الطريق للفيل وضرب تعظيم سلام !

والحيوان المجنون ليس خطرا على ابن آدم وحده ، ولكنه خطر حتى على الحيوان ، ولذلك تهب كل الغابة ضده . وكل من يلقاه يهبشه ويلطشه حتى يجيب أجله!

وفيما عدا الحيوان المجنون أنت تستطيع أن تعيش فى الغابة عدة أعوام بلا بندقية ، نام وانت مرتاح الضمير فى الغابة واحذر فقط الزواحف والضبع . الثعبان معذور لانه مذعور كل حركاته واشاراته تؤكد أنه خواف

خوف الابل ، مذعور ذعر أبو فصـــاد . وهو يتمشى أفرنجى فى الغابة يلدغ كل من يلقاه ويموت فى النهـاية بسبب ذعره . والضبع جبان وحقير ومن أصل واطى ، وابن ناس غير طيبين وغير كويسين ، وتربية جحور وسخة وغابات قرعة . ولذلك فهـــو لا يأكل الا واحـد نائم ومتسلطن ، أو جيفة تركها على الطريق حيوان غندور ابن ناس طيبين ! بعد الضبع والثعبان ، الغـابة أمان مثل بيت حضرتكم . تستطيع أن تنام فيها وتتفندر ، تستطيع أن تضرب فيها بلطة وأنت آخر رواقة وآخـر مزاج !

والخواجا بتلر يعرف الغابة كما يعرف بيتهم ، وعن أسرار الغابة يســتطيع أن يؤلف عشرة كتب وعشرة أفلام ! وهو من شدة هيامه وغرامه يعيش فى الغـــابة ومتزوج منها . ست أفريكانى حلوة كما وحيد القرن ، قوية وعفية وغبية أيضا . لانها تحب الراجل الخواجا وتسأل عليه كلما خرج للصيد فى الغابة ، تخشى عليـــه الفتنة من مرات الاسد وأنثى الغزال !!

السيدة الافريكية مرات الراجل الخواجا سيدة من باب المجـاملة ، وهى خير شاهد على نظرية التطور ، كانت بنى آدام فى الماضى وأصبحت حيـوانا وستصبح شيئا آخر اذا امتد بها العمر فى قادم الازمان !

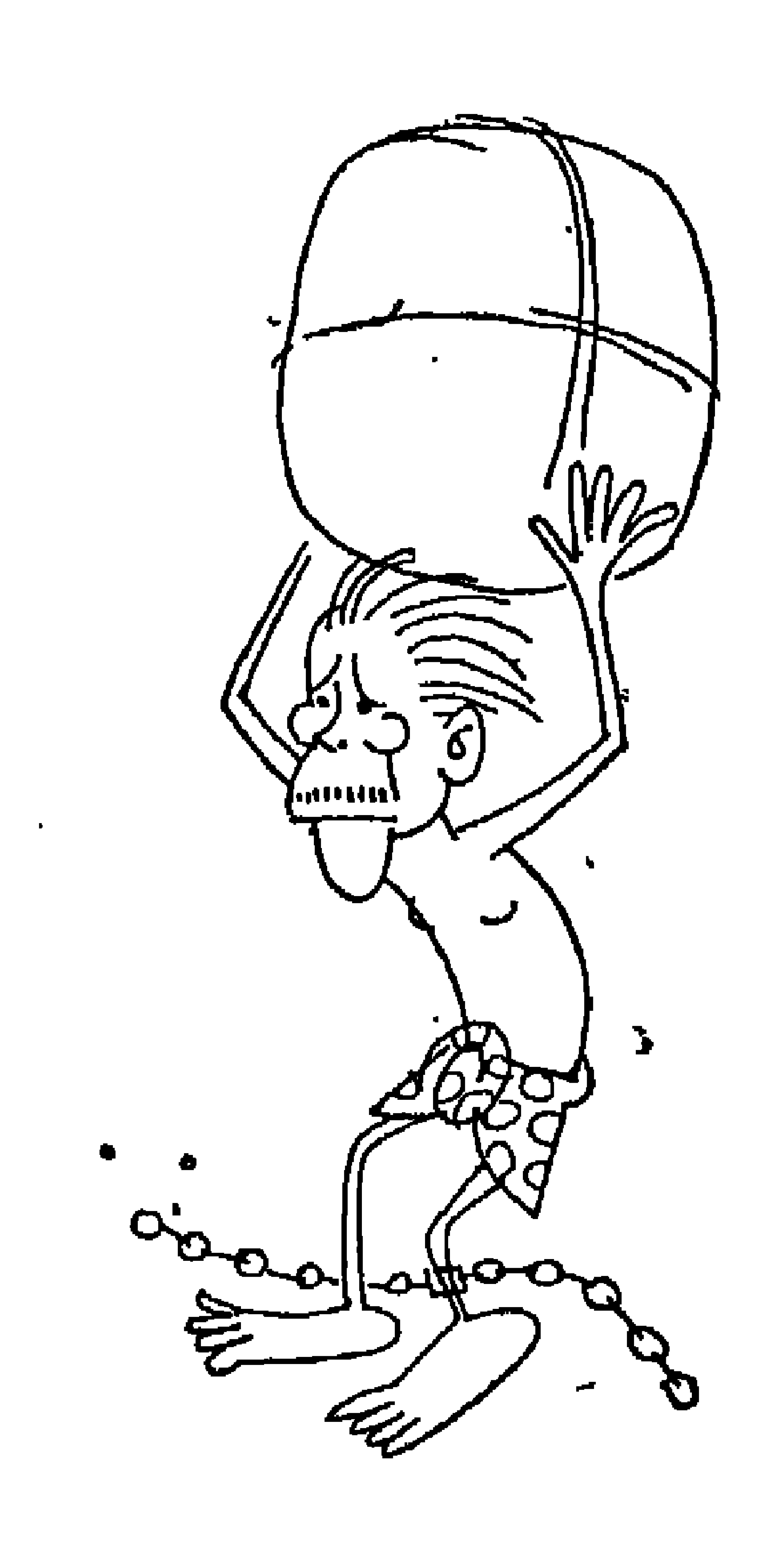
والخواجا الصياد تزوجها بعد أن تدمرت حيـــاته وافلست خـزائنه وهربت مراته مع خواجا آخر بنكير يقضى الليل على موائد القمار ، ويقضى النهار فى بارات لندن الانيقة ! تزوجها لأنه لم يكن أمامه سوى طريقتين اما أن ينتحر واما أن يتزوج الست اياها . ولما كانت بلوته تقيلة ، ومصيبته شديدة فقد آثر أن يتزوج الستاياها لكى يتعذب ويتحرق على نار جهنم ! ومع ذلك ... ما

أغرب الحياة . بعد شهور تعود الراجـل الخواجا على المرأة الغلبانة وتبعها كأنه صياد وهى فريسة ، أصبحت المرأة اياها هى كل حياته وكل دنياه صـــــدقنى أنا لم أكتشف نفسى ، ولم أعرف نفسى الا بعد أن ضمنى معها كوخ واحد . نحن فى الحياة لا نعـرف ما هو الاحسن وما هو الأسوأ الا بعد فوات الاوان ، هكذا صاح الراجل الخواجا الصياد الغلبان الذى آثر البيت فى الغابة فرارا من مدينة لندن .. لندن أكثر وحشة من الغابة وأكثر وحشية . الناس هناك تأكل بعضها بدون مناســبة ، والحيوانات هنا لا يأكل بعضها بعضا اذا شبعت ! وأنت تستطيع أن تنام فى الغابة آمنا ومطمئنا الا من الضبع والثعبان ، والناس هناك كلهم ضباع وثعابين اذا أغمضت عينيك لحظة أكلوك أكل عزيز مقتدر .. وياقوة الله على الست مراته ، لا تعى شيئا ولا تدرك شيئا ، ومعهـــا مقشة ليست للغابة ولكن للحيوان الغادر الكاسر الذى هو جوزها ..

وعندما نادت عليه نهض يجرى كأنه مسجون لحظة التمام والست اياها كأنها مأمور الليمان واقف على البعد يتفرج !

والله على الخواجا ، عندما استدار نحو الغابة واختفى داخلها والست بالمقشة تتبعه كظله ، صعب على ، ولكن صعبت على نفسى أكثر ، فقد كان العبد لله فى طريقه الى الغابة الأكثر وحشة وأكثر وحشية .. كنت فى طريقى الى أوروبا . ولكن قبل ذلك ما أحلى القعدات والسهرات التى شهدناها فى أفريكيا ..

# ياجيش النمل .. مليون سلامة



سنظل نتمشكح على شاطيء أفريكيــــا وبالشبشب زنوبة والجلباب ، وقدم فى الميه وقدم فى الرمال وعرقنا مرقنا وانظارنا على الارض نتفرج على ألف صــنف من الزواحف والحشرات ، وفراشات فى الجو ما أحــلاها وما أغباها ، اشكال على ألوان أحمر وأصـــفر وأخضر وأبيض وأسود ، فراشة حلوة ومثل كل حلوة غبية ، فى النار تلقح جثتها ، فى نسيج العنكبوت تعك نفسها ، فى شباك الخنفسة تقع وقعة مهببة .. وخنافس أفريكيا كخنافس لندن ، خنافس قوية وعنيفة ومجعلصة ! كل خنفسة وخنفس كالوطواط ، بليدة لا تتحرك ، ماكــرة لا تتكلم ، منبوذة تحفر لنفســــــها فى الرمل ، تتحفز وتتربص ، لدعتهــــا وقرافة الامام الليثى ، فان كنت محظوظا فقرافة البساتين ! وسحالى مثل التماسيح ، لطيفة لا تعض ولا تلدع ، غلبانة تلف طول النهار بحثــا عن لقمة وعن حتة سكر ! جميلة تصلح للزينة وتصلح للعيال ! ولكن هوليود النصابة ربحت على قفا السحلية عدة ملايين من الجنيهــات أنتجت فيلما اسمه ليـــــل الاجونا ، والسحلية بالانجليزى اســـمها الاجـونا ، وأنا أخشى الآن ان يعجب الاسم أخونا محمــد أمين فيفتح محلا فى شارع الهرم اسمه ملهى الاجـونا ، لأن أسماء

الاعاجم تخطف عقول الناس ، وتخطف ابصارهم ، حتى أن واحـد أفندى منهم فتح سـينما وسماها سينما الهمبرا ، وهى كلمة عربية معناها الحمراء ولكنها اعجبت أخونا الافندى فهبر الاسم الاسبانى باعتباره أشـيك واحسن لانه من بلاد الخواجات .. المهم ، ان هوليود النصابة اخترعت قصة السحلية ، متوحشة زعمـوا وجبارة افترضوا ومفترسة صوروا وتهبر لحوم الناس سثيروا .. يعنى عملوا سيناريو ! وفيلم كامل متكامل عن السحلية وليل السحلية وكسبوا مكاسب ولا الرمالى بتاع العيش أيام الحرب العالمية !

ولكن أعجب شيء واغرب شيء على شاطىء أفريكيـا هو بيت النمل . كل بيت فى حجم صخرة من صخور الهرم الاكبر ، بيوت شامخة وانوفهـا عالية ، عوالم ساحرة وسحرية ، وكل ما فيها غامض وسرى ، حتى البناء نفسه سر لا يعرف سره الا مهندس النمـلة ! وأعاصير أفريكيا العاتية تقتلع الاشجار ، تنفخ البيوت ، الا بيت النمل .. وامطار أفريكيا السيارة تهدم الشجر، تهدم القرى ، الا بيوت النمل ! والبيوت من شوية رمل ومادة لزجة أمتن من الاسمنت واصلب من الحجـر الصوان . والنمل نفسه أبيض وطويل ورشيق ونشيط وشغال ، وعلى ودنه ! مجتمع النمل فى أرقى درجة من التنظيم والعدل. طوابير رايحة جايه وفى خطوط مرسومة وكأنها أوتوبيسات مؤسسة النقل ، وكل نمـلة شايلة شيء ، فرع شجرة ، ضفدعة ميته ، حتة لحمه ، حتة دبشة ، ريشة عصفور ، بذرة منجة ، المهم لا يوجـد عواطلى ولا واحد كسلان ! الشغل على ودنه ، والنشاط على ودنه ، لا خناقة ولا حادثة ، ولا واحد فاتح جعورته، ولا واحد ماسك شكوى وداير يلف على النمل الشغال.

لابد للنمل لغة وموسيقى وحياة داخل القلعة المنيعة !
عمنا الانسان المغرور ولا غرور أبو فصاد يخترع أدوات وآلات لاكتشاف القمر والمريخ ولو أحسن لاخترع آلات لاكتشاف النمل ! وآه من النمل الشغال لو وقعت فى رجليه .. باعتبار ان النمل ليس له أيدى ولن تقع الا اذا وقعت فى حالة ضعف عندئذ سيتولى النمل الاجهاز عليك .. وأى حيوان فى الغابة يسقط جريحا يعانى سكرات الموت بعد معركة رهيبة ، سيخرج له النمل ويشطب عليه . حتى الفيل العظيم سينتهى بعد ساعة زمان ولن يبقى منه الا عظمه ، والنمل فيما يبدو كان آدم بتاعه جزار .. وله طريقته فى التقطيع والتفصيص والسلخ فشر بشكار فى المدبح ! ولو كتفت أسد هايج على شجرة وغرقته عسل نحل لاكله النمل فى ربع ساعة العسل والاسد أيضا .. بطنها مفتوحة وبقها مفتوح ، وخشب تأكل ، سكر تأكل .. لحم تاكل ، وأى شىء وكل شىء تأكل فلا يمرى عليها ولا يظهر! تتحول المأكولات الى اعصاب وعضلات وفيتامينات ولذلك فالنمل هو اكثر المأكولات فى العالم فائدة لمن يأكل ! وبعض القبائل فى افريكيا تشوى النمل على النار وتأكله بالهناء والشفا ! والعيال تحشو به جيوبها وتقزقزه ساعة العصارى على ضفاف الانهار !

وشاطىء أفريكيا كله مزدحم ببيوت النمل . بين كل بيت نمل وبيت نمل ستجد بيت نمل ثالث . وملايين تسكن البيت الواحد ، ولولا حكمة الواحد القهار لسيطر النمل على العالم . وحكمة الواحد القهار أيضا أن البنى آدم يستفيد من النمل ويتعلم ، القائد أفونتى راجل تمام ومن قادة حرب التحرير فى أفريكيا ! كان عسكرى جيش انجليزي أيام الحرب .. خطفوه من ساحل غانا

وحلوه الى الشرق الاوسط ، وتكررت له نفس القصة التى حدثت مع كل العساكر الافريكان .. عبر البحر الى أوروبا ، وخاض فى الدم حتى اخترق اطلال برلين وداس على حطام دار المستشارية ! ثم رحل الى الشرق الاقصى ليحارب ضد اليابان وتاه مرة فى أدغال بورما وعاد الى الحياة بمعجزة . اكتشف فجأة انه فىمستنقع يفوص فيه حتى المصارين . وبعد قتال عنيف ضد الطبيعة استطاع أن يخرج من المستنقع الذى كان فيه ! ولكن ليكتشف شيئا آخر !.. أن الغلبان السيء الحظ أفونتى فى منطقة مستنقعات تمتد مائة ميل وربما اكثر ! سجن كبير قضبانه من الماء الآسن ، وجدرانه من الحشرات والتماسيح ولو نجا أفونتى من الماء سيلهفه تمساح ولو نجا من التمساح ستلدغه عقربة ، ولو نجا من العقربة ستهبره ناموسة فى نافوخه وينتهى الاجل المحتوم ، وآثر أفونتى العاقل أن يموت مكانه ، وتجرى جرى الوحوش وغير عمرك ماتحوش ، وأعمارنا بيد السماء يا نهر البنفسج على رأى زكريا الحجاوى ، أو يا مستنقعات البنفسج لسان حال أفونتى الغلبان ! وعشرة أيام وعمنا افونتى وحده فى بحر المستنقعات ، رشاش يطقطق منه فى الليل كام رصاصة لتفر التماسيح من حوله ! ولكنه استيقظ ذات صباح ليجد انه وارم كالفقمة وشه أزرق محبب كأنه باذنجان مخلل معصور عليه لمون ! وراسه توش كالباجور وسخنه كالفرن تستطيع أن تضع فوقها حلة وتطبخ عليها آخر طبيخ مسبك ! وأدرك عمنا أفونتى انه يموت ، وأن تموت فقط فليس فى الامر شيء . ولكن أن تدرك أنك تموت فهنا المصيبة الكبرى ! والاعدام صعب لهذا السبب ، لان المحكوم عليه يعلم قبل الموت بربع ساعة انه سيموت . وعمنا أفونتى حالته أصعب

لانه يعلم أنه سيموت ولكن عذابه سيطول ، لان عمره قد يمتد أكثر من أسبوع ! ونام عمنا أفونتي وتمدد ، ومرة يستيقظ ومرة يغفو ، ودائما يخطرف ويخرف وحالته أصبحت نيله ، ولو يقدر .. لشال مدفعه على كتفه وصرخ فى الغابة ، عشا الفلابا عليكي يامستنقعات ، وحسنه قليلة تمنع بلاوى كتيره يا تماسيح ! ولكن الود لم يكن وده ، والعين بصيره والقوة قليلة ، والموت بدأ يزحف ولكن ببطء .. وعندما أبصر الضبع يحوم على البعد أدرك ان النهاية قربت ، لان الضبع الخسيس يشم رائحة الموت على بعد ألف ميل .. وأغفى عمنا أفونتي ولكن ليستيقظ فجأة على صوت كالرعد . وظن أنه مات منذ ملايين السنين وأن القيامة قامت وأنه مدعو للمثول بين يدى الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها . ولكنه اكتشف بعد لحظات ان الصوت أحدثته طيارة هيلوكوبتر امريكانى سقطت من الجو على المستنقع وأربعة ضباط سقطوا معها التهمت التماسيح واحدا منهم والثلاثة الباقون زحفوا حتى أصبحوا بجوار أفونتي المريض .. ولان الطيارة أمريكانى والضباط أمريكانى ، ولان يابخت من كان النقيب خاله ، فقد اهتمت القيادة بالامر ، سماء بورما الملبدة بالفيوم انتشرت فيها الطيارات كالنمل ، وفى العصر اكتشفوا مكان الطيارة وحطت طيارة أخرى هليوكوبتر وسليمة وعال العال .. وطارت ومعها الضباط الثلاثة والغلبان أفونتي . ومن بورما الى بلاده فقد انتهت اليابان وانتهت الحرب ..

هاهو أفونتي السعيد الحظ يعود الى بلاده بعد ست سنوات قضاها فى البرارى والصحارى والمدن المخربة على ضفة المحيط وهو قد راى الموت اكثر من مرة حتى ألفه ، وعاشر عزرائيل حتى صادقه ، ودخل مصيبة

وخرج من مصيبة حتى لكأن المصائب تحولت الى معالم على الطريق

وها هو أفونتى السعيد الحظ يعود الى بلاده بعد ست سنوات وقد أصبحت التجربة عنده والخبرة لديه، وبأكثر من لسان يرطن ، وبأكثر من وسيلة يفكر ولقد أجاد الحرب المنظمة فى أوروبا ، وأجاد حرب العصابات فى آسيا ورأى بأم عينه عساكر الانجليز تفر كالغربان فى الصحراء ، وتستسلم كالابقار فى أوروبا . لماذا اذن العسكرى الانجليزى شامخ بأنفه فى أفريكيا ؟ رافع رأسه على الافريكان ؟ يتكلم من طرطوفة لسانه مع الزنوج ؟ لماذا يتصرف ويتحرك هنا كأنه رسول كأنه اله !

ووصل افونتى الى جواب على السؤال ، العسكرى الانجليزى مسلح والافريكى أعزل وان وجد السلاح لا يستطيع استخدامه . ولكن هاهو الوقت قد حان للانتقام من سنوات الذل والقهر وأفريكيا تشفى بالالوف من الذين كانوا عساكر فى الحرب وكلهم مدربون وكلهم خبراء ، وكلهم اللهم صلى ع النبى على استعداد للبذل والفداء ومن عشرة رجال قام تنظيم أفونتى العظيم ، فصيلة النمل ، وبعد شهور ستصبح الفصيلة فصائل ، وستتحول الفصائل الى جيش .. وسيصبح الاسم المختار لجيش أفونتى .. جيش النمل . ومن هنا لانبدأ كما خالد محمد خالد ، ولكن من هنا نعود الى حكاية النمل فعلى شاطىء أفريكيا حيث عاش أفونتى صباه ، كان يجلس بالساعات يراقب جيش النمل وهو يتحرك جحافل تخرج وجحافل تعود ، سرايا تتحرك ، وسرايا تراقب، وسرايا تهاجم ، وسرايا تحمل الغنائم والاسلاب! كل يتحرك بخطة وكل يتحرك بميعاد ، والقيادة واحدة، والاراء نهائية ، والطاعة واجبة والارزاق للمجموع

وهكذا بدأ جيش النمل البشري يتحرك ضد الاستعمار في أفريكيا وعندما انطلقت الرصاصات الاولى جرب الانجليز ان يطفئوا النار المشتعلة ولكنهم فشلوا ! وعندئذ استعانوا بجيش نيجيريا المستعمرة وقتئذ ، ليقتل الافريكي أفريكيا مثله وليطبقوا مبدأ الامريكان في آسيا أسيوى ضد أسيوى ، ولكن الافريكان أفسدوا اللعبة عليهم ، وفي أول صدام انضم الافريكي النيجيري الى الافريكي الغاني .. وهات يا ضرب ويا عزق في الوحش الابيض الذى يمص دم الفريقين ، واحتاس الانجليز حوسة حشاش وقع في كبسة ، ولم تنته الحوسة الا بالجلاء . وهكذا بدأ أفونتي العظيم ولم يكن الاخير ، في كل بلد في أفريكيا ظهر أفونتي آخر ومن جيش الرجال البواسل الذين ضربوا الالمان في العلمين وضربوهم في روما وضربوهم في باريس وضربوهم في برلين ، من هؤلاء الرجال قام جيش تحرير أفريكيا ليضرب هؤلاء الذين ضربوا أفريكيا ضربة العمر وكسروا عمودها الفقرى وكتموا على أنفاسها ألوف السنين ! وأفونتي لا يزال حيا يرزق ، شابا لا يزال ، قويا سيظل وجهه مستديرا ، وكتفه عريض ، ورقبته مثل رقبة خضر التوني بتاع الحديد . كان يتكلم ببراءة ويتكلم ببساطة ويحكي ذكريات الكفاح المرير وكأنه يروى قصة فيلم شاهده ، ويضحك أفونتي عميقا كلما تذكر حرب العشرة أعوام فعندما بدأ الصدام بين العسكرى الافريكي والعسكرى الانجليزى كان منظر الاخير مضحكا شديد الاضحاك . العسكرى الانجليزى خرع ممهمط كالتين البرشومى . مروهق كورق أشجار الموز . الفراشة تخيفه والسحلية تجعل قلبه يطب في رجليه ، وطابور من النمل يجعله يصرخ في الغابة كما طفل أمه تخيفه بالبعبع المكار !

ذات مساء حاصر جماعة من جنود الجوريللا الانجليز فى الغابة . وعساكر الجوريللا معجبانية آخر طراز ، على المعاصم أساور جلد ، وعلى البرانيط فروع شــجر ، وحول الخصور سكاكين مســنونة ومطاوى حامية ، والجزم حداوى وفيها مســاميروبزوز ولا فريق ريال مدريد . ومع كل واحد سلاح أبيض وســلاح أسود ونظارات معظمة وجهــاز لاسلكى مفتوح على القيــادة باستمرار . والاسم نفسه حاجة تخيل وحاجة تخبل .. الجوريللا ، ولابد أن الجوريللا تقاتل بالاسنان وبالاظافر وبالاقدام وبالشناكل والمقصات ! ولكن عمنا أفونتى كان يعلم أن الاسم لامشير والفعل لطوبة ، وكان يعلم أنهم لا جوريللا ولا أى حاجة ، ولكنهم عساكر جرابوللى . وزحف عمنا أفونتى بعساكره فى شكل حدوة حصــان ووقف طول الليل حول عساكر الجوريللا يصدر أصواتا مفزعة ، مرة كصوت الاسد ، ومرة كصوت الثعبان . ولكن عمنــا أفونتى خابت أماله ، فقــد ظل عساكر الجوريللا فى أماكنهم أكثر ثباتا من الاول ، فلا حركة ولا حتى همس وعندما انبثق الصبح اكتشف عمنا أفونتى أن العســاكر الجوريللا خلعوا خوذاتهم وملابســهم وأسلحتهم وعلقوها كما خيال المآتة وهربوا فى الليــل من شدة الخوف ! وعلى بعد ميل واحد من هــذا الديكور كله ، كان خمسة عساكر انجليز بالفانلة واللبــاس ، مشتحين كالفسيخ ، مشندلين كما السمك الميت ، ولم يكن فى جسم واحد منهم مطوة ، ولم يتخدش واحد منهم بدبوس ، ولم تخر من واحد منهم نقطة دم ! ماتوا جميعا بالسكتةاللهم احفظنا ، مع انهم جميعا جوريللا، وجميعهم يا صلاة الزين شباب كالورد ! تجربة أفريكيا أن العساكر الخواجات المحتلين لا يخرجون بالمفاوضــة ولا يرحلون

بالمذكرات . وبدلا من تبادل الوثائق لابد من تبـادل الطلقات ، وبدلا من ضرب تعظيم سـلام لابد من ضرب الرصاص وبالرصاص دخل العساكر الخواجات أفريكيـا وبالرصاص رحلوا !

رجل واحد من كل الرجال الافريكان أبنـاء الحرب العالمية يترحم عليه أفونتى ويقرأ على روحه السلام . الرجل من جنوب أفريكيا واسمه فوندا عسكرى تمـام وصل فى الحرب الى أعلى رتبة وصل اليها أفريكى أسود خلال الحرب .. صاجن ميجور .. وبالبلدى مساعد ، وبلفة والدى حضرة الصول ولانه أفريكى أسود وصول فقد كان المرحوم فوندا يحكم أورطة أكلتها الحرب ومات أغلبهم فى معارك أوروبا ، وآخرهم سقط شهيدا وقلب برلين على مرمى مدفعه ، وعاد عمنـا فوندا الكبير الى جوهانزبرج. وفى جوهانزبرج السود ينكشون فى الصحارى بالاظافر وبالاسنان بحثا عن الذهب الاصـفر الرنان ، وخواجا سمين كالثور يلهف هذا الاصفر ويبيعه لتجـار الجواهر فى لندن ونيويورك وباريس ! والاسود يأخـذ حسنة ويعيش فى كهف ، والابيض الملظلظ له يخت عند الشاطىء وغرفة محجوزة فى الرفييرا ، وخزائن سرية فى جنيف ، وقصور فى الكبتون ، ورحمة ربنـا واسعة على الابيض الملظلظ واضيق من عين الصرصـار على الاسود أبو جلد محروق . وكان الصول فوندا واحدا من هؤلاء الرجال فى منجم ذهب فى صحارى جوهانزبرج . وذات يوم أخذ عمال المنجم وكأنهم كانوا عساكر فى الحـرب واختفى داخل الصحراء . وبدأت أول معركة تحـرير بالسلاح فى جنوب أفريكيا ولكن الرجـل الابيض عالج الموضوع بدهاء وبخسة .. أقام ستارا من الكتمان حول فوندا ورجاله لا خبر ينشر ولا بلاغ حكومة يذاع ولمـا

كانت الشركة فى حاجة الى دعاية ، وفوندا محتاج الى أن يصل عبر البحار الى العالم البرانى . فقد لجـــأ الى صحافة الغرب لتوفد رسولا يخترق الصحارى ليكتب قصة الرجال المائة والحرب التحريرية . وعلمت حكومة الرجل الابيض بالامر . وذات صباح وصلت الى مقـر قيادة فوندا فى الصحراء بنت متحمسة متكلمة ومعهـا كاميرا وآلات تسجيل وكافة شيء وبعد شهر طويل مـع فوندا ورجاله عادت الى كيبتون الى ادارة الامن العـام فى حكومة الرجل الابيض ، البنت الشيطانة المتحركة لم تكن صحفية ولكنها كانت مستوظفة فى مكتب الامن التابع للرجل الابيض . وكان سهلا بعد ذلك أن تبـــاد حركة فوندا . المواقع معروفة ، ونوع السلاح معروف ، وعدد الرجال معروف ، وكل شيء وأى شيء كان مكشـــوف وعلى عينك يا مخبر وحلقت الطائرات عشر مرات على مدافع فوندا ومسحتهم جميعا . لو عاش فوندا فلربما تغير مصير جنوب أفريكيا . اغرب شيء أن صحافة الغرب التزمت الصمت فلم تنشر حـــرفا واحدا لا عن حركة فوندا ولا عن مصيرها والكتلة الثالثة لم تكن ظهـــرت وحكومة العالم اغلبها كان وقتئذ طبيخ فى طبيخ، وشيلنى وانا أشيلك ، لم يظهر فوندا المسكين فى الوقت المناسب ، ولكنه جاء متقدما بعض الوقت ، غـير أن موته لم يكن عبثا . فلم يلبث أن ظهر بعد فوندا عشرات ومئات وألوف وملايين كلهم فوندا .. والله يرحم فوندا ويحسن اليه ..

# دخـانيـق .. وسراديب .. وبؤر ..



ستنفتح الآن ابواب الصياعة امام العبد لله ، وسندخل حوارى كحوارى سيدنا الحسين ، مبلطة كضمير الخائن ، ضيقة كعقل الاحمق ، ساحرة كما الحواديت فى الف ليلة وليلة وسنجلس مع الافريكان على المصاطب ، وسنشرب شايا أفريكيا وان شئت الدقة سنلهط شايا أفريكيا لان الافريكان لا يحبون الشاى .. ظاهرة غريبة وذات دلالة عميقة ، المستعمر الابيض كان يحب الشاى ولذلك كرهه الافريكان ، والشاى الذى نشربه هنا لن تجده الا فى الفنادق الكبرى ، اما شاى الافريكان فشاى غريب ، شاى فى سلاطين ، وكما البلوظة تخين ، وكما اللبن الزبادى ممهمط وكما شربة الزيت ماسخ ولعين ، وسناكل مع الافريكان فول سودانى ، معمول بطريقة حلوة فشر الفول السودانى فى بار جروبى ، وسنلعب معهم سيجة، ولكن ليس على الارض وبكلاب من الطوب كما هو الحال فى بلدنا ، ولكن على خشبة كخشبة الطاولة ، وبكلاب من خشب الجوز ، وسنقزقز معهم ذرة مسلوقة وموز مشوى ، فاذا انجلت القعدة وحليت سنشرب معهم كونياك فشر مية النار ، وويسكى يكوى ويشمط ولا لهاليب جهنم ، وسندخل بيوت الافريكان الحلوة ،

وكل بيت مثل الربع ، غرف على الصفين ، وكل غرفة فيها ساكن ، ولكن فى الليل ينام الجميع فى الحوش ، البساط احمدى ، والنائم منه للسما ، وسيأتى الفطور فى الصباح ، مربة جوز هند ، وخرطة أناناس حلوة ، وبيض مضروب فى اللحمة ، وقرع بالرز ، وهو ليس مثل قرع بلدنا ، ولكن القرع هناك كما البطيخة الصالحاوى الضخمة ، وعيش كما البتاو المرحرح فى المنيا ، وسيغرفون لك صحن شطة على كل صحن طبيخ ! ولو استطاع الافريكى ان يخلط الشطة بالمربى ، وان يخلطها بالاناناس ، وان يخلطها بالميه ، لفعل وهو مستريح المصارين ! الافريكى التمام يحب الشطه ، والشطه أيضا تحبه ، ولذلك نال العبد لله احترام وحب الجميع لانى أعبد الشطة ، والشطه مفيدة فى افريكيا لانها تلطف حرارة الجسم ، ولولا الشطة لخنق الافريكى نفسه من شدة الحر واستراح ! وحبنا للطرشى البلدى ، والفلفل المخلل ، والليمون المعصفر ، دليل اننا افريكان واننا من قدرة واحدة ! والاوروبى احيانا يتطرف ، واحيانا يتبسط ، واحيانا يخدع الافريكى بأنه مثله ، ولكن الشطه تكشفه امام الافريكان وتعريه فيبدو على حقيقته ! راجل اوروبى من بلاد الانجليز ، يعيش على شاطىء الفولتا اختلط بالافريكان واختلطوا به ، عاش معهم وسهر على المصطبة بينهم ، وتزوج واحدة من بناتهم ، وارتدى زيهم ولوحته الشمس فأصبح اوروبى محمص ! وتبسط الاوروبى اكثر فأكل مع الافريكان ، بالاصابع مثلهم ، على الارض مثلهم ، ولكن الطعام كان فيه شطه فسقط الاوروبى دائخا على الفور ، وعلى المستشفى نقلوه ، وخرطوم طويل فى بطنه دلدلوه ، وغسيل معدة وتحقيق طويل عملوه ، ولم يتحمل

الاوروبى الصدمة فمات فى الصباح قتلته الشطه لانه لم يكن افريكى الا من الخارج اما المصارين فقد كانت ـ كالنية ـ من بلاد الانجليز ! افترى الراجل الخواجا على الله ، ومن افترى على الله كذب ، انا نفسى ابن حوارى الجيزة ، ابن رصيف ميدان الساعة ، الذى على حشيش حديقة الاورمان نمت ، الذى على السلم الشمال تشعبطت ، الذى سلطة قوطه لهفت وسلطة طحينة لحست ، وعيش وملح اكلت وحمدت الله ، العبد لله الذى هو انا أكلت كل شىء وأى شىء مع الافريكان ولكنى رفضت أن أذوق لحم القرود ، رفضت باصرار وبعناد وراسى والف جزمة كاوتش لا أقرب لحم القرود ولا ألمسه ! ويا لحم القرود بينى وبينك حد الله لاسباب وجيهة واخرى قبيحة ، الاسباب الوجيهة ان القرد حيوان دمه خفيف ، تداعبه نعم ، تلاعبه أى نعم ، تناغشه ما فيش مانع ، تعاكسه ما فيش بأس ، ولكن تأكله .. هذا على رأى مصطفى محمود هو المستحيل !

والاسباب القبيحة اننى والقرود حسب رأى داروين أبناء عمومة ، وحسب الشكل والهيئة أبناء أم واحدة وأب واحد ، قرود افريكيا الخالق الناطق العبد لله ، قرود وجيهة لها شوارب دوجلاس ، وتسريحة شعرها خنافس ، ذكية تكاد تتكلم ، مثقفة تكاد ترطن باللسان ! والقرد نفسه معلق عند الجزار متدلى من الخطاف كأنه متشعلق فى فرع شجرة معصعص كأنه أرنب ، غالى الثمن كما خنزير خبيث الريحة كما مجرور مفتوح على الآخر ! ومع ان القرود سارحة فى الغابة ، وسارحة فى الشارع ، الا ان النوع الذى عند الجزار تربية حظيرة وصاحبها خواجا سقطت رأسه على قطعة ارض على ضفاف بحيرة جنيف !

الخواجا السويسرى كان يحتكر تجارة القرود على الشاطىء الغربى لافريكيا ، كان عنده ألوف الصيادين ، وكلهم افريكان وسارحين فى الغابة ويدوخ دوخة الارملة ويعود ومعه صيد وفير ويدفع السويسرى شلنات فى الصيد ويخفيه فى الحظيرة ، وفى الحظيرة شفخانة ، ودكاترة من بلاد بره ، وعلف خصوصى لتسمين القرود ومنطقة لعزل القرود المريضة ، ثم كنسلتو فى نهاية الامر لتفنيط القرود وتصنيفها ، وقرود تطلع على الجزار ، وقرود تطلع على حدائق الحيوان ، وقرود غلبانة وأمها داعية عليها ، تطلع على الشارع ، لـكى تصنع عجين الفلاحة وتضرب سلام لـكل عابر سبيل !

الخواجا السويسرى الناصح ابن الناصحة قبل ان تسطع شمس الحرية على افريكيا نجح فى تهريب نصف ثروته الى الخارج وعندما سطعت شـمس الاشتراكية كانت فلوسه كلها قد عبرت البحر الى بنوك بره وعندما استقرت الامور فى افريكيا وتأكد لديه ان كل شىء قد صار فى يد الافريكان ، ترك العمل مع القرود واعتزل وباع الحظيرة والاقفاص والشفخانة والالات بملاليـم لواحد خواجا تانى .. وهو الآن يسافر ويعود مرتين كل عام محاولا فى كل مرة تهريب مبلغ مما تبقى له فى افريكيا ، وحكمة الله ان صنـف الخواجات هم أسرع الحيوانات احساسا بالخطـر ، ولـكن حكمة الله انهم فقدوا حاسة الشم هذه المرة ربما كانوا جميعا مصابين بالزكام والتهاب الجيوب الانفية ، ففى لحظة احتـدام الصراع على ارض افريكيا ، والمعركة شغالة على ودنه بين الافريكان والبيض البلجيك ، والبيض الفرنساوى والبيض الانجليز ، كان جميع البيض يعلمون ان الريح مع الافريكان وأن النصر النهائى لهم ، ولكن خطأ بسـيطا

فى الحساب ارتكبه البيض ، وكلفهم هذا الخطأ البسيط ثرواتهم الهائلة وأعمالهم الواسعة ، كان الجميع يعتقدون أن الريح فى نهاية المطاف ستكون لحساب رجل ابيض آخر ليس من اوروبا ، ولكن من بلاد بعيدة ، من امريكا ! وكان البيض يعتقدون ان الامريكى سيكون للاوروبى كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ومادام الامريكى الابيض سيكون عنده النفوذ والفلوس ، فكل شىء سيكون على ما يرام ، وستصبح الحياة هنية ورضية كما كانت دائما وربما أحسن !

غير ان الامور فى افريكيا كانت متشقلبة على نحو لم يكن ينفع معها اى اصلاح ، والاحوال كانت مهزوزة الى درجة لم يكن يصلح لها أى علاج ، ولم يكن بد من الثورة وبعد الثورة السياسية لابد من ثورة اجتماعية ، لترتفع بالذين شاركوا القرود فى الغابة ، ولتهبط بالذين شاركوا الاله فى السماء .. ولم يكن أمام افريكيا الا طريق الاشتراكية ! وكانت ضربة للخواجات طرحتهم أرضا كما انطرح المتختخ ليستون على أرض الحلقة ! انا شفت واحد منهم عجوز أو موظف حكومة طردوه من زمان على المعاش ، شعر صدره أبيض شايب وشعر رأسه نافش ومائل للسواد ، قفاه أعرض من وسطه ، وفخذه ولا فخذ عجل لبانى عند الجزار ، كل زيه شورت وقميص مفتوح وصندل رخيص ، وسلسلة ذهب تتدلى من عنقه فى نهايتها صورة حسناء وصليب! وجالس كما الامبراطور فى فندق الامبسادور يشرب عصير الاناناس ، ويرش كل ربع ساعة زجاجة كولونيا على أم راسه ! الخواجا هوفمان السويسراوى كان يترحم على أيام زمان فى افريكيا ، وافريكيا جنة والجنة ليست فى حاجة الى ثورة انها فقط فى حاجة الى تنسيق ، ولم تكن افريكيا

فى حاجة الى الاشتراكية لان المشكلة الاجتماعية لم تكن حادة .. بل لم يكن ثمة مشاكل على الاطلاق ! لا ازمه مساكن ولا ازمه توزيع ثروة ، والارض الصالحة للزراعة اكثر من الارض المزروعة ، والذى فى الغابة يأكل كالذى فى فندق الامباسادور ! منطق الخواجا هوفمان الكاذب الذى كان يملك اربعة ملايين جنيه ، وكل أهل اكرا يملكون الستر ! والذى كان يتعالج فى سويسرا من الانفلونزا ، وتنقطع ساق الافريكي بالمنشـــار وتقلى فى الزيت اذا لدغه دبور زن على خراب عشه ! وافريكيا كانت جنة فعلا ولـكن للخواجات ، بيوت الخواجات مثل سراي عابدين ، السلك الشائك حول الحديقة ، والسلك الناعم حول النوافذ والابواب ! والمفروشات من باريس ، والسيارات من المانيا وأجهزة تكييف الهواء من انجلترا ، والملابس الداخلية من سويسرا ، والخارجية من ايطاليا ، والمشروبات من اسكتلندا ، والطعام وارد خصوصى من مطعم مكسيم ! وفى البيت ألف خـــدام افريكى والف خفير ، وحرس خصوصي بالســـلاح ، وعشر بنات افريكان للاطفال ! هذه الجنة لم تكن فى حاجة الى تغيير : لان التغيير لم يكن فى صالح أصحاب الجنة !

خواجا آخر من دول عرفته فى بارات وينيبا الباقى له من أيام العز القديم قصر مهجور لايستخدم منه الا حجرة وفراندة على المحيط ! سكرى يشرب أردأ أنواع الـكونياك ويلعب طول النهار بعصا البلياردو ، مذهول لايكاد يصدق ان الحياة انتهت على هذا النحو ، مذعور يتصور ان السجن سيكون خاتمة حياته ، الراجل الخواجا الهلـكان الذى تصورته ــ لسذاجتى ــ محطم وصـــايع لم يكن حقيقة كذلك ، لم يزل كالـكلب يلعب بذيله ، عرض على العبد لله ذات مساء خمسة جنيهات افريكى

مقابل كل جنيه استرليني ، ولما لم يكن معى جنيهات افريكى ولا استرلينى فقد أبدى اعتذاره لهذا العرض وادعى انها لصديق مسافر الى الخارج للعلاج ! وست خوجايه مكرمشة الرقبة ، منتوفة رموش العين معصعصة الساقين ، تستطيع بقصبة ساقها ان تذبح فرخة ! ست متهتكة ومتهالكة شرهة تريد ان تشرب من الحياة قبل أن تنتهى ، وتمص رحيق الدنيا قبل أن تذهب ! البعيد جوزها كان صاحب أكبر مصنع للسلاح فى افريكيا أيام الاستعمار ! حراب يصنع ، سهام يصنع ، نبال يصنع ، سكاكين يصنع ، خناجر يصنع ، مطاوى يصنع ، والافريكان يشتروا ويدفعوا والخواجا يكسب فلوس بالكيلة وبالفلوس يؤسس شركات فى بلاد بره ويدخل شريك فى بنك فيما وراء البحار !

والخواجا جوزها رجل أعمال ومشغول طول النهار ، والمكاسب تلبخ ، ولا وقت عنده للحب ، ولا وقت أيضا للهزار ، نهاره فى مصنع السلاح وليله على مائدة القمار ، والست حرمه سارحه تلطش فى مخاليق الله ، والعيال الافريكان أشداء كما الاسود ، فحول كما العجول ، متدفقين كما الانهار والست تشرب حتى ترتوى وفى البداية كانت بشبابها تصطاد ، وفى النهاية كانت فلوس جوزها الطعم الذى يجذب الضحية ! فلما أفلت شمس الخواجات فى افريكيا ، صفى الزوج الناصح أعماله واستعد للرحيل ، ومجنونه بنت مجنونه الست حرمه لو سافرت معه ، من ذا الذى يستطيع أن يروى ظمأها فى أوروبا الشاذة المتهالكة ؟ شبان أوروبا الناعمين لايستطيعون اطفاء نارها المشتعلة ، هذا اذا وجدت من يقبل ان ينظر اليها بعين الرضا ! افريكيا هى البريمو وافريكيا وبس ، مصنع الرجال التمام ، ولا أحد يستطيع

ان يسيطر على امرأة بيضة شرهة مثل افريكى يعدل المزاج ! وحزنت المرأة فلا تبرح افريكيا ولا تسافر ، وحزن زوجها أيضا فأصر على الرحيل وساومها فساومته ، ومنحها الطلاق وعدة الوف من الجنيهات وغادر افريكيا الى بلاد بره وبقيت على الشاطىء الغربى لافريكيا تبحطر فلوسها تحت فخذيها ، وتدفع فلوسها للشديد القوى فى ميدان الغرام ! وكلما تقدم بها العمر ارتفع الثمن الذى تدفعه ، وانخفض الرصيد الذى فى البنك، وذات صباح استيقظت على كارثة ..الرصيد أصبح صفرا ، وهى نفسها أصبحت فى حالة يرثى لها ! ولكن أى شىء يهون وأى شىء محتمل ولا تغادر افريكيا وهى على أى وضع تستطيع ان تعثر على صحبة مقابل زجاجة كونياك احمى من الزفت يشربها حتى يفقد عقله ، وفى الظلام يصبح كل شىء عند الراغب المحموم سواء

وياميت ندامة على المرأة المتهتكة المتهالكة المريضة بداء العرى ، ملابسها تكشف اكثر مما تخفى ، منظرها يسد النفس ويغم الفؤاد ، عروق ساقها كمواسير المجارى ، زارقة ونافرة ومتشابكة كأسلاك الكهرباء ، شعرها ناحل من الامام وصالعة وفروة رأسها مكحوتة كما بلاط متخرب فى قصر من بتوع زمان ! وعلى وجهها المقدد الملدن مساحيق بخمسه جنيه ، وحول رقبتها بودرة كأنها كحكة عيد مرشوش عليها سكر ناعم بدون حساب ! والست مسكينة ياحسرة قلبى ، فقدت فلوسها وفقدت شبابها وفقدت عقلها وأصبحت مجنونة تبكى لاقل حركة وتلطم بعد كأس واحد من الشراب ! وعواجيز افريكيا يسخرون منها ، وشبان افريكيا فى غنى عنها ، فأفريكيا عامرة دائما بهذا الصنف من النساء ! ستجد دائما ستات على اعتاب الشيخوخة تتنقل فى افريكيا كالغربان،

يلهثن وراء قطار اللذة بكل وسيلة وبأى وسيلة ، معهن شنطه ملابس وشنطه فلوس ، وستجد نساء من طراز اخر ، سباب فى عمر الورد ، حلوين كما البفاشه ، منفوخين كما التفاح ، خدودهم مشدودة كما الغربال ، شعورهم سايحه كما السمن البلدى ، هؤلاء جئن للتجاره ، وهى تجارة لا تحتاج الى رأسمال ، سهرة حلوه ، وضحكه ناعمة ، وقعده طريه ، وتنهال الشيكات والفلوسات ودائما ستجد مع هذا الطراز من النساء زوجا طيبا يجيد تغميض العيون ، وينام فى الوقت المناسب ، ويعتذر وانت جالس مع الست لموعد هام ، وقد يسألك أحيانا عن مائة جنيه فكة ، وأحيانا يثور ويتشاجر مع الستأمامك لانها ترغب فىعربة مارسيدس

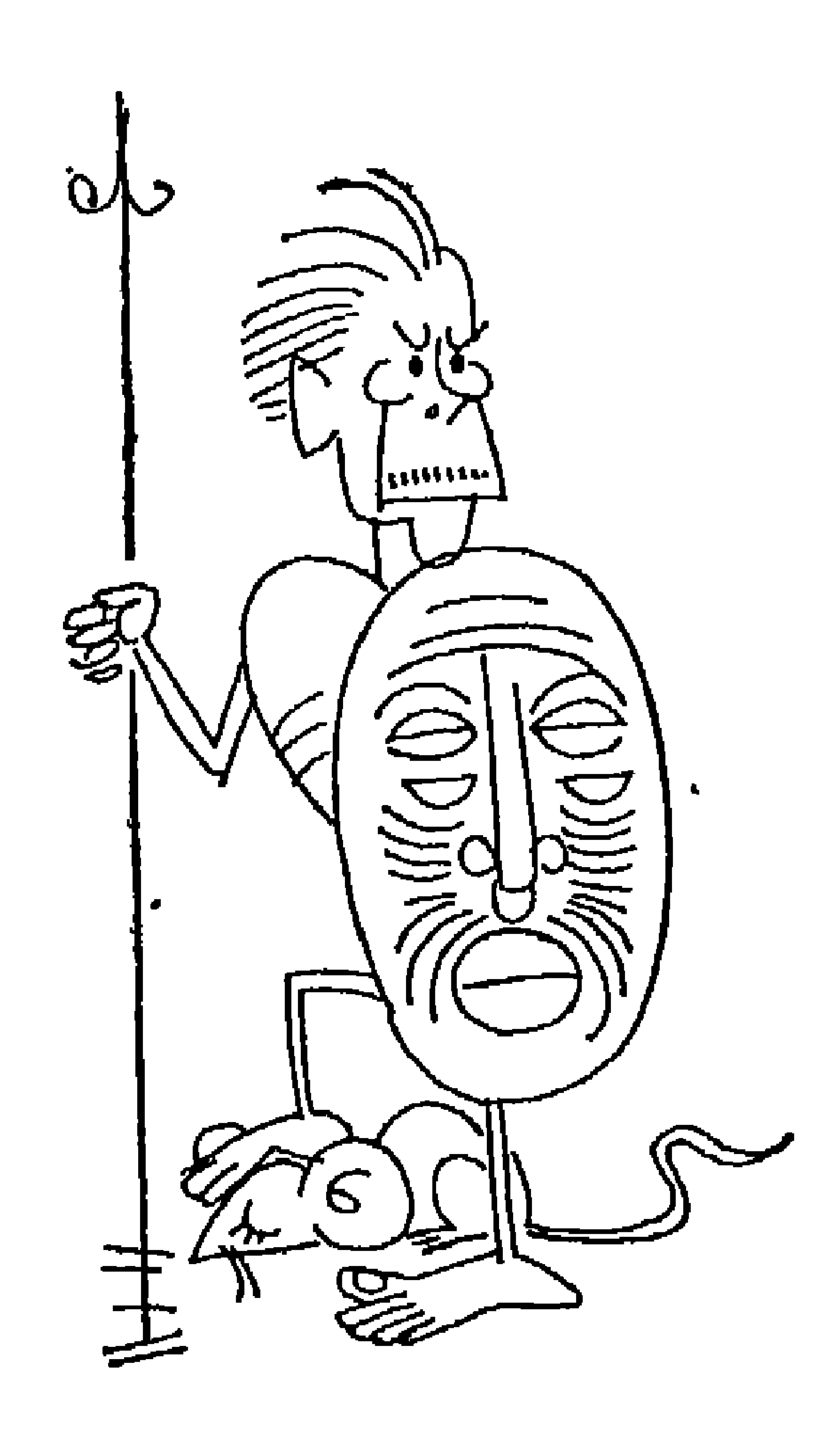
آخر طراز ! انا التقيت بواحدة من دول ، حلوة كما لهطة القشطه ، ناضجة كما الجوافة بتاعة حلوان ، معسلة كما التين بتاع برشوم ، ريحتها طعمة كما بتاع العمار يا مشمش ! والاخ زوجها راجل طويل ومبروم ولابس نظارات ، ووجيه أوجه من بطل سيما ، يتكلم بهدوء ولا فيلسوف على جبل اثينا ، مقدام ولا هانيبال فى زمانه ، ولكن الراجل مسكين مجوف من الداخل ، وهو يحب الطعام ويحب الرقص ويحب السهر ويحب السفر ، ولكنه فيلسوف لايحب الفلوس ! وهو من أنصار زمان ، زمان كانت التجارة حلوة ، لم تكن معقدة ولم تكن صعبة ، المقايضة هى خير وسيلة للحياة ، الرأسمالى المستغل يدخل السوق برأسمال ويخرج من السوق برأسمال اكبر والرأسمالى الطيب يدخل السوق بسلعة ويخرج بسلعة ، وهو رأسمالى وطيب، ورأسماله ست حلوة مهاوده ، ضحكتها لها رنين ، ولفتهـا لها سحر ! وهو يدخل بها السوق ويخرج من السوق

بسيارة كاديلاك ، بتذاكر طيارة ، بفاتورة لوكاندة ، المهم انه ليس مستغلا ، انه فقط يريد أن يعيش ! الست الحلوة وجوزها التقيت بهما ذات مساء حار كالحريقة، القايدة فى أفريكيا ، الراجل العبيط ظن العبد لله لبنانى ومليونير فتبسط معى وتلطف وحكمة الله ان اغنى ناس على الشاطىء الغربى فى افريكيا كلهم من لبنان وكلهم اصحاب ملايين ، ورغم جلبابى وقلباتى وتلبانى ليست لها أى معنى ولكنه السجع اللعين قاتله المولى ! اقول رغم جلبابى وتلبابى فقد اختصتنى المرأة بحنانها وجمالها ولعبت معى بنج بونج رغم انى لا اجيد اللعب ، ولعبت معها بلياردو وأنا اظن انها حكشة ، وجاعت الحلوة اللعيبة فمالت على أذنى تطلب أكلا ، وأعددت لها ترابيزة ، وصفقت أطلب لها جرسونا ، وطلبت للست ديك رومى وسلطة خضرا وفواكه بالسبت وقهوة على الريحة ! وتلطفت اكثر فأجلستنى على يمينها ، وتنازل جوزها فدعانى الى الاكل معاه وأكلت حتى شبعت ، وانا حتى هذه اللحظة اذا اكلت اكلة حلوة اصرخ من اللذة ، اذا لهفت فرخة مشوية أبكى من شدة الانشكاع واذا رأيت العبد لله يأكل أكلة طعمة فستحكم على العبد لله بأنه مجنون ، لابروتوكول ولا اتيكيت ولا دياولو ، ولذلك احرم من الطعام فى الموائد المحترمة ، اكلت مرة مع سبعة ملوك على مائدة واحدة فى مؤتمر الملوك والرؤساء العرب فى بيروت خلال العدوان ، وعلى الترابيزة ديوك رومى كما الخرفان ، وخرفان كما العجول ، واطباق حلو تشيب الطفل الرضيع ، وساعة على المائدة لا امد يد ولا افتح بق ، ومصارينى تكاد تزعق بالصوت الحيانى تطلب أكلا ولكن العبد لله لايستطيع لانى لو أكلت لاصبحت فضيحة بجلاجل ، والست معجبة غاية الاعجاب ، مبسوطة نهاية

الانبساط ، على الرشاقة والاناقة التى هى طابع العبد لله ، وبعد الطعام حضر الجرسون وكانت فضيحة ، الست الحلوة ظنتني لبنانى ، وانا الجعان الفجعان ظننت ان الست طيبة وغنية وفى أموالها حق معلوم للسائل والمحروم ! ولما كنت انا المصفق وانا الطالب فقد دفعت آخر شلن فى جيبى وأخذت بالباقى علقة ! وحلفت الفين يمين لا أهوب على واحدة حلوة ولا ابفبغ مع ست معجبانية ، وما دام لا خيل عندى أهديها ولا مال ، فلأنكمش فى حالى وأجلس فى أمان الله ، ولكن عقلى الزنخ حرضنى بعد ذلك ، الحياة تجارب ، والتعليم ليس ببلاش ، التعليم بالفلوس ، أو بالضرب على الاقافى ، وما دام فلوس لا أملك ، فأنا قفا أملك ، وعريض والحمد لله ، طويل مضبوط ، يستحمل ضرب أزلى ، ولتكن الاكف الهابطة على قفاى العريض هى مصاريف الدراسة ! لقحت جتتى مرة أخرى على بار على الشاطىء ، السقف من خشب الجوز ، والحيطان فى لون الورد ، والارض سجاد عجمى والمشروب ويسكى حلو ، والضوء خافت والموسيقى حالمة ، وترابيزة حلوة فى الوسط ، بنت بيضة وبنت سودة ومعهم رجل اسود ، ثلاثة ورابعهم انا ، صحبة حلوة وفاهمين حالى ، فأنا مفلس وغلبان وكفران واستحق الحسنة وطالب حب ولعب وخمسة هزار ، يخففوا عنى المواجع ! والست البيضة هى كل شىء فى القعدة ، محسنة ربنا يطول عمرها طلبت للعبد لله ويسكى ، كريمة طلبت لى طعام ، بنت ناس زغزغتنى وأضحكتنى وقدمت لى البنت السودة ، وأشهد واحلف انها أجمل من ملكات الجمال ، وسهرة حلوة ستكون وسأمسح بلاوى الليالى الماضية ، وسأغنى كما حمار وحش وسأرقص كما جاموسة وسألعب مع البنت

السودة لعبة القط والفأر ! ولـكن ولد افريكى طيب دخل البار فى الوقت المناسب وسلم من بعيد فتجاهلته، فأنا فى ساعة التجلى لا ارغب كثيرا فى السلام والكلام ! ولـكن الولد الافريكى الطيب شدنى من ذراعى وقال : لا تذهب معهم ، انهم عصابة والست البيضة هى رأس العصابة وعقلها المفكر ، وانت يا غلبان ، فراخ ستأكل ، وويسكى ستشرب ، وعلى الموسيقى سترقص وليلة حلوة ستقضى ، ولـكنك ستكون بطل فى رواية سيتم تسجيلها بالـكاميرا فى غفلة عين ، وستصبح صورتك غدا فى متناول الجميع وستباع فىالسوق بقرش صاغ واحد ، وستصبح فضيحة ولا حرامى اتعكم فى جامع ، ولا راجل مش جدع لا مؤاخذه اتمسك فى مولد سيدى ابراهيم ! وخرجت من البار وتوجهت الى الشارع ، ومن الشارع الى أبعد مكان استطاعت ساقى أن تحملنى اليه ! وتوبة من دى النوبة لا ادخل بارا على الشاطىء ، بقايا الخواجات فى افريكيا ، أوكار لا تزال تشفى حتى الآن بكل أنواع السفالات ! وسنحكى عن دخانيق افريكيا وسراديب افريكيا والبؤر التحتية فى افريكيا ..

# الجثة.. ومـــبزات.. والست أبابا



معذرة لاخوانى النشالين على رصيف محطة مصر وفى ميدان السيدة وفى ترماى نمرة ٦ ، معذرة لهم جميعا سأستعير منهم لفظا من قاموس النشل المصرى هو لفظ الواحدة ، والواحدة يا اخوانى المنشولين هى المحفظة ، ويقولون كل الواحدة ، يعنى الهف المحفظة ، ويقولون أيضا ضم الواحدة ، ويقال سف الواحدة .. والله أعلم !

المهم يا اخوانى النشالين والمنشولين .. افريكيا لم تكن قارة ولكنهاكانت واحدة ، نشالين اوروبا الحلنجية الزملطحية هبروها ومزقوها ووزعوا الفلوس حسب دور كل منهم فى عملية النشل ، الذى شاغل الزبون له ربع الواحدة ، الذى أكل الواحـــدة له نصيب الاســـد ، والناضورجى الذى راقب الطريق خوفا من المخبرين وعساكر البوليس له أيضا حسنة !

ولقد قامت اســـبانيا والبرتغال بمشاغلة الزبون ، وهبرت انجلترا وفرنسا الواحدة ، واكتفت بلجيكا والمانيا بدور الناضورجى ، فلما تمردت المانيا على هذا الدور طردها النشالون الكبار فى حرب ١٤ وانهـــالوا على الواحدة ينزحون منها آخر بريزة وآخر شـــلن وآخر قرش تعريفه .. ولو امتد بهم الاجل قرنا آخر لنزحوها الى آخر عشرين خردة والى آخر باره والى آخر صولد!

ومن أجل الفلوس فعل النشالون كل شيء وأى شيء ، استولوا على الارض وباعوا الناس فى المزاد ، وهبروا الغابات والحيوانات وفحتوا الارض ، فلما انقفلت كل الابواب وانسدت كل المسالك تاجروا بالدين وتاجروا بالاعراض !

وللحكيم الافريكى حكمة تقطع نياط القلب « فى البداية كانت الفلوس معنا وكان معهم الانجيل ، وفى النهاية اخذوا منا الفلوس واعطونا كتاب الرب ! »

ولذلك ستجد فى افريكيا محلات ولا مؤاخذة فشر بيوت الجيشا فى اليابان ، محلات آخر مودرن وآخر طراز ، وستجد كل شيء فيها افريكى اسود ، البنات ، والخدم ، والحشم ، الا الكيس فصاحبه رجل أبيض !

العبد لله كان يتمشى على شاطىء البحر فى افريكيا وعلى الصفين محلات ولا البيجال فى باريس ، بارات صغيرة منظرها حشمة ، وتدخل فيها فلا تلمح شيئا ، انكت من هذا على الجدران صور القديسين والشهداء ، صور ناس طيبين وحول الرؤوس هالات فج النور منها !

وعندما اقتحمت بار الكنارى ــ وبالعربى بار البط ــ لم أجد شيئا الا بارمان أصلع حالق بمنشار ، وواحد سكرى يتناوم ، وبنت سودة حلوة ، وشها زى الحلاوة العسلية ، مسمسمة زى الكتكت ، شعرها مفلفل زى العروسة اللعبة ، جسمها متفصل متفصص كأنها بنت بلد بريشة جمال كامل ! ثوب البنت بسيط وأنيق ، ومساحيقها نادرة ، ومن عنقها يتدلى صليب على النهود يتأرجح ! انا ظننتها لخيبتى تلميذة فى مدرسة داكار الاعدادية ، بنت ناس طيبين منتظرة واحدة قريبتها ، مسافرة مثل حالى فاتها القطار فجاءت الى البار تسكر

وتتمنجه ! ولـكن لفت نظرى كتابات كثيرة على الحيطان وبألوان فاقعة ، رحت أقرأ ولم أفهم ، الـكتابة كلهـا بالفرنساوى ، وأخوكم يفهم فى الفرنساوى كما يفهم عمر الجيزاوى فى علم الذرة ..

ملحوظة ـ عمر الجيزاوى يفهم كويس فى الذرة !!!

الله يخرب بيت الجهل ، لان حديث النبى المختار من تعلم لغة قوم أمن شرهم ، ولو انا تعلمت لغة الفرنساوى لأمنت شر البت الكرملة .. البت الذكية الفهلوية أدركت اننى مقطف فنهضت وجاءت لحد عندى ، وسألتنى.. تعرف انجليزى ؟..

اجبت : اعرف على ما قسم !

أخوكم الضعيف يخاف أن يجيب بنعم اذا سألنى احد .. هل تعرف الانجليزية ؟

السبب يا اخوانى ، اننى عندما زرت لندن اول مرة دخلت مدرسة فى اكسفورد ستريت ، ودخل الاستاذ ، انجليزى تمام ، يتكلم من طاقة واحدة من مناخيره ، والطاقة الاخرى يستعملها فى الشهيق والزفير !

سألنى الواد الاستاذ : هل تعرف شيئا من الانجليزية ؟

فقلت على طريقة ابن البلد البلطجى : نعم .. انا اعرف الانجليزية كويس جدا ، ونظر نحوى فى بلاهة لا أدرى ، فى خبث لا اعرف ، وناولنى كتابا وقال اقرأ ، وقرات وتلعثمت ، وهطل العرق على وجهى كما تهطل امطار الصيف على جبال بلاد الحبش ، وانكسفت كسفة دباغ ظبطوه على ترابيزة عشا بدون دعوة ..

وفى النهاية سألته انا : كم عام يلزمنى ياخواجا لاعرف الانجليزية بدرجة جيد جدا ؟

وقال الواد الاستاذ الانجليزى ، بدرجة جيد جدا ؟

ــ آه ياخواجا ...

وفكر قليلا وقال : حوالى ... مائة عام ! !

وعرفت بعد ذلك انها ليست نكتة ، فليس فى العالم من يجيد الانجليزية بدرجة جيد جدا .. كان فى العالم اثنان فقط يتكلمان الانجليزية كما ينبغى ان تكون ، تشرشل ، والثانى المرحوم نهرو ... وكانا يتكلمان الانجليزية بدرجة جيد وبدون جدا ! ! لذلك لم اكن متواضعا عندما أجبت على سؤال البنت الحلوة .. على ما قسم بل كنت مغرورا أشد الغرور ! ! المهم ، البنت السودة الطعمة قرأت الكتابة وترجمت ، على الحيطان مواعظ هلس وحكم أهلس ! وكلمات مأثورة تصلح شعارا لقرزة .. والمرأة القبيحة ضمان لك من دلال الحلوين ، واللذة هى قمة جبل الحياة ، والشجعان هم الذين يتسلقون الجبل اليها ، وكلمات أخرى لا استطيع نقلها هنا لان أى قانون عقوبات فى العالم يعاقب عليها حتى قانون عقوبات المسرح الكوميدى ! البنت الحلوة الطعمة غمزتها بسيجارة انجليزى فغمزتنى بسيجارة ملفوفة لها طعم العجمية ورائحة المسك ، يبدو ان شكلى ــ والله اعلم ــ يوحى بالعبط أو يوحى بالثراء ، بعد نفسين من السيجارة شدتنى البنت من يدى واقتحمت بابا لا يلفت النظر ، الباب الصغير الضئيل الحقير يؤدى الى شىء باهر كالحقيقة غامض كالاحلام ، صالة ولا صالة تزحليق على الثلج ، باركيه ناعم فشر صلعة باشا فخيم الصلع ! على الحيطان صور بالكاميرا ولوحات بالزيت ، تصلح كلها متحف لتاريخ العلاقة بين المرأة والسيد الرجل ، وكل شىء فى الصالة وأى شىء مخصوص وتمام من أجل

اللذة ، الانوار خافتة ، الموسيقى كأنها نغمات صادرة من قلب المحيط ، البار من خشب الورد ، فى الاركان موائد خضراء عليها مفارش جوخ قشر جبة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، الحيطان نفسها مبطنة بالقطيفة ، حمراء كما البطيخ المجيدى ، لينه كما الفطير المشلتت .. عجائب الحياة فى هذا المكان ان كل الرجال بيض كالشمع وكل البنات سود كما ارض المنوفية ، والرجال سقعانين مرتاحين مدلدلين والبنات نار والعة ، جسم وكسم وشكل سبحان الذى صور والذى دور !

البنت السودة الطعمة التى هبرتنى وأدخلتنى الجنة ـ وعلى فكرة المكان اسمه الجنة ـ البنت الطعمة الحلوة اسمها ابابا ، حبشية هاجرت من شرق القارة الىغربها. من أديس ابابا الى الخرطوم الى كانو الى لاوس الى اكرا الى داكار ، كانت تملك محلا فى العاصمة الحبشية ، وهبط عليها ذات مساء راجل اوروباوى من الدقة القديمة ، ساعة جيبه اكبر من الرغيف البلدى ، كتينة الساعة ذهب خالص بندقى ، برنيطة سيادته بحوافى ولا برنيطة واد شقى من بتوع تكساس ، الحذاء اسود اجلسيه لميع عليها مفرش جوخ معتبر ، أسفل ذقنه لغد ولا رأس عيل صغير ، محفظته منتفخة ولا بنك كاتنجا ! واعجب الرجل بالمكان وبالست صاحبة المكان وعرض عليها الزواج ووافقت على الفور ، وفى أول يوم وصلت فيه داكار أدركت ان الرجل الذى هو زوجها ، ملك الليل فى داكار ، وداكار ملكة الليل فى افريكيا ، كانت زمان مخزن لتخزين العبيد وتصديرهم للعالم ، واليوم أصبحت همزة الوصل بين أفريكيا وأمريكا ، ومن داكار عدل تطلع على امريكا الجنوبية ، ومن داكار تستطيع ان تتوغل فى القارة الى أى اتجاه ، الراجل الاوروباوى

السمين أبو لغد تخين تزوج البنت الحبشية ليستفيد بعلمها وبذوقها ، ولان الراجل الاوروباوى مليان ودفيان وتقيل فقد قبلت البت الحبشية ، وصفت أعمالها فى اديس ابابا وفى الخرطوم ، فقد كانت تملك اكثر من بيت للمتعة على شاطىء النيل الابيض ! وشمرت البت عن ساعدها واشتغلت بهمة ، جميع البنات البيض طردتهن من بيوت داكار ، الرجل الاوروباوى الوافد على افريكيا من وراء البحار لايريد أن يرى نفس المناظر التى يراها فى نيويورك او باريس أو لندن ! انه قادم الى افريكيا ليعيش فى جو افريكيا ، والمرأة البيضة المهلبية ستفسد المنظر ، وانتعشت اعمال الرجل الملظلظ على يد الست ابابا ، وابابا يعنى الزهرة ، وهى فعلا زهرة ، شكلا ورائحة وطعما ، ذكية تعرف تلاغى ، جريئة لا تخاف ، وابابا مسحت القارة طولا وعرضا ، ومسحتها من كيبتون الى الجزائر ومن نيروبى الى ساحل العاج ، وابابا الخبيرة العليمة تعرف انأجمل ليل فى افريكيا كان فى ليوبولدفيل قبل ان تحترق الكونغو بنار الثورة .. ويأتى بعدها اديس ابابا فنيروبى ثم داكار فى آخر قائمة الدورى !

وملوك الليل فى كل هذه الاماكن عصابة واحدة وشركة واحدة وعلى اتصال دائم لتحسين العمل ورفع مستوى الشغل ، ولانهم أصحاب مصلحة واحدة ، فقد اجتمعوا يوما ضد الثورة المشتعلة فى افريكيا .. بيوت الهوى والغرام والمتعة اللذيذة كانت مراكز للثورة المضادة ، البت جوليانا ملكة الليل فى الكونغو كانت اكبر أعوان تشومبى ضد لومومبا ، وعندما قبضوا عليه وجرجروه فى الحبال ، سهر الجنرال موبوتو ، الذى هو فى الجنرال تمام كما الجنرال اليكتريك والجنرال موتور ، سهر حتى الفجر ، وفى الصباح منحته جانيت وسام ربطة الراس ،

وهو اكليل من الذهب الخالص ، عليه قطع تشبه العملة على كل منها صـــكت صـــورة جانيت عارية حتى من السوتيان ! ولان العين كانت مفنجلة والمحفظة مفلسة ، فقد اكتفى العبد لله بالسنكحة والبحلقة ..

شارع الميناء فى داكار يشفى بكل عجيبة وعجيب ، محلات لشرب البيرة ، ومحلات لتدخين المسائل ، وهى مسائل ليست غبارة ولـكن غبرة ، ريحتها كما ريحة كلب ميت على الطريق الزراعى ، نفس واحد منها يقلب ثور صومالى ، والشارع نفسه يعج بالنـــاس من كل الاجناس ، بحارة من بنما ، وخواجات ركاب من امريكا ، وسياح من اوروبا ، وصياع من البرتغال ، وتجار من لبنان ، وناس بشوارب من اسكتلندا ، وناس بذقون من الهند ، وكل شىء حاضر وجاهز وعلى ودنه كما بيروت فى زمانها ، محلات ستربتيز تلاقى ، محلات قمار تلاقى ، محلات نصب تلاقى ، ويا بخت من ينزل داكار ويطلع سالم ، وعيال قبارصة كما القشاط ، معهم مسدسات صوت ومطاوى ، ومقصات يضربوا ، روسيات يبطحوا ، ركب يفقعوا ، محافظ ينشلوا ، قماش مفشوش يبيعوا واحد قتيل يهربوا ..

واذا كان اللبنانيون والهنود معهم مفاتيح البـــاب المشروع فى داكار ، فالعيال القبارصـــة معهم مفاتيح الابواب الخلفية !

واذا كان الاوروبى السمين هو ملك الليل ، فالعيال القبارصة هم ملوك ملك الليل نفسه ، لانهم رسوم على الـكباريهات يحصلوا ، وفردة من البنات يقبضوا ، ومن يحتج ياكل لما يشبع .. وربما بعد ما يشبع ! !

انا نفسى كنت هاكل علقة ولا زنجى فى بلاد الامريكان ،

البت مبرات عجبتنى وشغلتنى ، وحدثتها وحدثتنى ، وضحكتها فضحكتنى ، والبت مبرات حبشية ، وعجبى على الحبشيات أهل لطافة وظرافة ونظافة آخر تمام ! ومبرات يعنى النور ، يعنى الضـــوء ، على جبينهـــا الاسمرانى صليب مدقوق ، وعلى ذقنها صليب آخر ، وحول عنقها صليب ، وعندها من المبررات ما يجعلها اكثر الناس ايمانا ، لا تصدق ان الناس الطيبين هم اكثر الناس ايمانا ، انا اعرف واحد مأمور مركز كان فى الريف منذ عدة أعوام ، وكان أغنى من هولاكو ، وأظلم من فاروف وكانت المسبحة دائما بين أصابعه ، وسجادة الصـــلاة دائما خلف ظهره ، وكان يربط رأسه بفتلة صوف خضرا وكان رأسه مجزوعة أو مقصوعة ، وكان من اهل الطريقة الخلوتية ، ومن اتباع محمد الـــكحلاوى ! على بك الكبير أيضا كان عهده أكثر العهود ظلما وظلاما وغما وهما ، وجثث ميتة فى النيـــل ألقى ، وجثث صـــاحية على الخوازيق وضع ، ومؤامرات صنع ، وحمامات دم عمل ، وفى الوقت ذاته اقام مائة مسجد ! شىء طبيعى لعل الله يغفر له سيئاته ويتقبله قبولا حسنا !

البت مبرات من هول ما صنعت ومن هول ما ارتكبت ، دقت الصليب على جبهتها وعلى ذقنها ، ولو تقدر لدقت الصليب على بطنها وعلى ظهرها ! والله على مبرات وانا قاعد معها ، على رصيف الميناء والهوا الطازه يسفخ فى عظمنا ، والبت فى ثوب يصلح للبحر ولا يصلح للشارع ، وانا بالجلباب السكروتة والشبشب زنوبة ، والسبحة بين صوابعى ، والسيجارة البلمونت بين شفتى ، والريح آخر هفهفة والجو آخر مملـكة ، والبت مبرات حساسة وحشاشة ، وضحكتها ترن ولاطبلة مسحراتى ، وعيونها بتبرق ولا كلوب فى قهوة على ترعة المحمودية ، وفجأتن

على رأى واحد صاحبى ، هبط علينا واد ابيض كما بتوع روايات هوليود ، بشورت أزرق وفانلة صنع المحلة ، وجزمة كاوتش من بتوع باتا ، وشعر ناعم مسبسب نازل على قفاه ، وسوالف ياميت حلاوة ولا سوالف سيد درويش ، واكتاف ولا اكتاف سيد نصير ، وعود ولا رضا بتاع الاسماعيلى ، ورجولة ولا ميمى درويش ، ونظر للعبد لله كأنه ينظر الى ذكر كابوريا ، ولهف البت مبرات قلمين وتلاتة ، ووضعت ايدى على القزازة التى أمامى أبغى ضربا ، فلما رأيت الهيئة فشخت بقى عن ابتسامة وقربعت من القزازة كأنها هواية عندى من زمان !

وياميت ندامة على اللى حب ولا طالشى ، الواد اياه قبرصى تمام ، وله سلطان على البت مبرات ، ولاسلطان الاستعمار على الولد البدر ، وبعد الاقلام التى طرقعت ورنت ، سحب البت مبرات من ايدها ، وباسها كما الواد الممثل فى فيلم من انتاج جولدوين ماير ! ..

وبقيت وحـــدى مذعورا أقرأ الفاتحة دور ، واقرأ الصمدية دور آخر ، ثم أطلقت ساقى للريح هربا الى الميناء !

أغرب شيء سمعته فى داكار أن بعض المسلمين الحجاج يسحبهم المتعهدون من قلب القارة الى شاطىء داكار باعتبار أن الحج هناك

حكاية سمعتها ولا أستبعدها ، فكل شيء ممكن وكل شيء ماشى فى داكار ! بيوت المتعة لا تكتفى بتقديم المتعة فقط ، ولكنها تقوم بتصديرها خارج الحدود . والرجل الابيض الذى ذاق كل أنواع اللذة ، وتمرمغ كما الحمار لا مؤاخذة فى كل انواع المتعة ، أصبح ملولا يريد أن يجرب شيئا آخر جديدا ! وفى أوروبا البت الآن معجبة بالرجل

الاسود ، فى شوارع لندن وباريس وبروكسل كل بنت كما لهطة القشطة ساحبة واد كما قطعة الفحم ، والبنت الاوروبية الشاذة هى التىتحب الرجل الابيض أما البنت السوية المستوية فهى التى تحب الرجل الاسـود الفطيس . الرجل الابيض اليوم يقلد الست بتاعته ، وكل راجل أبيض يموت فى بنت سودة ، وبعض البيض غير متوفر لهم السفر الى حيث موطن البت السودة ، فلا أقل من أن تنتقل البنت السودة الى حيث موطن الرجل الابيض . واليوم تعبر البحر الى أوروبا قوافل وعليها عبيد ، ولكن الصنف كله نساء . تجار الليل فى افريكيا هم أصحاب البضاعة ، وهؤلاء البنات شحنة مرسلة من الباب للباب الى أحياء الدعارة فى باريس وفى لندن وفى لاهاى فى فرانكفورت ! ليس هذا فقط ولكنهم يشحنون أيضا خدامات للعمل فى أوروبا .. والبت الافريكية سعرها أرخص من تراب لندن ! وهى فى الخدمة بريمو ، تخدم وتغسل وتطبخ بشلنات لا تكفى لوجبة طعام فى بلاد بره . افريكيا الغلبانة خطفوا منها رجالها فى الماضى واليوم يخطفون منها نساءها .. بؤر الرذيلة فى افريكيا أشياء لا تخيف ، وهى على عكس مثيلاتها فى أوروبا لها نفس الشكل ولكن دلالتها عكسية . فى أوروبا هى قمة حضارة ، وفى أفريكيا هى علامة على نهاية نظام . النظام الذى استقر واستمر خمسمائة عام لاتزال هذه بقاياه . ولكنها بقايا كالشمع تسيح الآن تحت شمس الثورة فى أفريكيا . ستجد هذه البقايا موجودة بكثرة فى البلاد التى تقاتل الآن معركة المصير ! وهى الان مجرد فلول تهرب وتتجمع فى مراكز فى انتظار اللحظات الحاسمة وموعدها فى أفريكيا قريب !

في غانا مثلا ــ فى عهد نكروما ــ بنات الليل ــ مخلفات

عصر الاستعمار ـ يعملن الآن فى محلات البيع والشراء ، وبعضهن يعملن الآن في حقول الكاكاو ! أكبر مراكز بيع اللحوم البشرية للمتعة والمزاج فى داكار وفى كاتنجا وفى أنجولا وفى روديسيا وفى رأس الرجاء الصالح أو الطالح لو كانت الاسماء تنطبق فعلا على المسميات !

وعندما تؤمم أفريكيا ثروات البيض الاغنياء فهى تسترد لأهلها أحقر عملة تضخمت من عرق النهود وعرق الافخاذ . ملوك الليل فى أفريكيا الناصحين المفتحين ، كسبوا من النساء وبنوا بالفلوس فبريكات سجاير وشركات خمور ومصانع سلاح . ملك الليل زوج الست أبابا هو ملك مكاتب تصدير الكاوتشوك والقصدير والكاكاو !

الرجل القواد أصبح أكثر الناس احتراما فى الهيئة الاجتماعية وأكثر الناس نفوذا هناك . ولو فيه عدل ولو فيه محكمة عادلة لحكموا على الرجل السمين بالتخريط كما الملوخية وبالتمليح كما الفسيخ ، وبالتقطيع كما لحمة الراس ! ليس البيض فقط وحق الله ولكن معهم أيضا بعض السود الدفيانين المليانين .. وذنب هؤلاء أكبر !

وأنا فى أكرا حكمت المحاكم على ثلاثة من كبار الاثرياء بالسجن مدى الحياة لانهم نصبوا على الحكومة فى صفقة ولا صفقة السلاح الفاسد فى فلسطين . الاثرياء الثلاثة كانوا عملاء الاستعمار وقلنا معلهش . ثرواتهم مشبوهة وقلنا معلهش ، ومشوا مع الثورة وقلنا زى بعضه ، واشتغلوا مع العهد الجديد فى افريكيا وكسبوا من وراه وقلنا ماشى وباب الثورة يتسع للجميع ..

ولكن الحادثة التى جرت تثبت ان الحية لا يمكن أن تتحول الى دودة ، والكلب لا يصبح أسدا ولو غير جلده ،

والحمار لا يصبح حكيم الزمان ولو ارتدى نظارة بشنبر سلك !

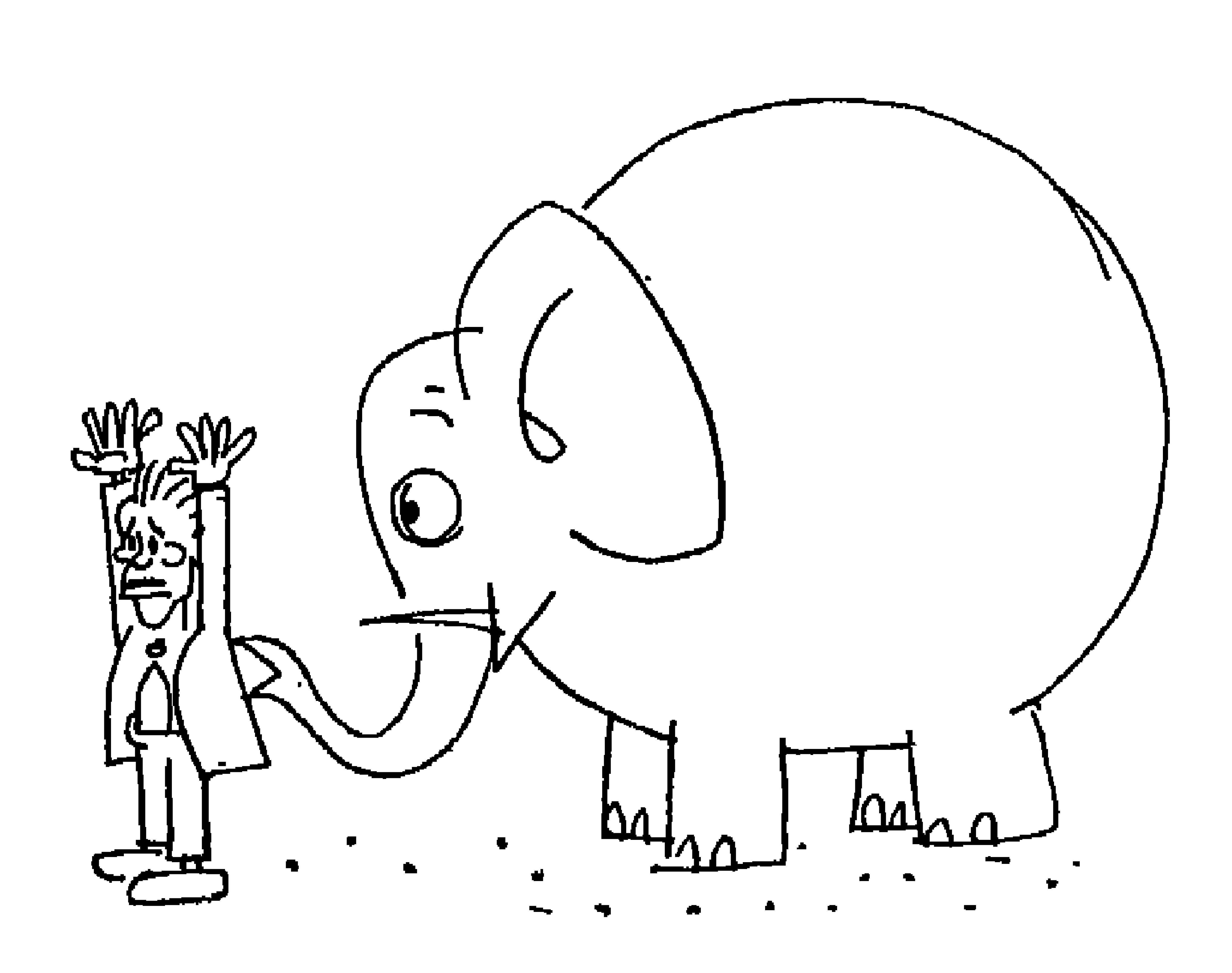
الاثرياء الثلاثة بتوع غانا وردوا للحكومة آلات لرش المبيدات ، الآلة بخمسين جنيه استرلينى . ولكن الآلة كانت خسرانة ، ومش بس كده ، ولكن الآلة بعشرين جنيه ثمنها فى لندن فباعوها بخمسين جنيه للحكومة وهبروا مليون جنيه مكسب من عرق ودم الشعب .. والثلاثة مركزهم لندن فأرسلت الحكومة تطلب منهم الحضور من أجل صفقة جديدة . وصدقوا العبط فحضروا على طائرة سريعة . وفى المحكمة لطموا وعيطوا كما النساء خلف ميت طالع من حوارى الجيزة . وسجنوهم مدى الحياة وصادروا أموالهم فى غانا ..

أولاد الهرمة حطموا العالم الذى كانوا أسياده ، ويحاولون اليوم تحطيم العالم الجديد ملعون أبو الفلوس تعمى العيون وتضع غشاوه على العقول ، وبدلا من ان تشبع الانسان تتحول الى جيفه يتبعها الانسان كالكلب . ولكنها دائما تموده الى السجن وتموده الى المشنقة وتموده الى اللعنة والى البصق على الوجه !

ومن أجل الفلوس تاجروا فى أفريكيا بكل شىء ، بالناس وبالارض وبالعرض وبالدين ! ولكنها الفلوس محركة التاريخ وصانعة الثورات وسر كل شىء حقير وكل شىء عظيم على هذه الارض ..

وما أكثر حكايات الفلوس وأصحاب الفلوس وعديمى الفلوس فى أفريكيا ، متعكم الله بالفلوس الحلال وجنبكم شر الفلوس الحرام ..

# الغــروب .. وبعــد الغــروب



افريكيا القديمة تتلاشى الان وتختفى لتفسح الطريق أمام افريكيا الجديدة، افريكيا الصيد والقنص والغابات الكثيفة والرقص ملط زلط فى طريقها الى الزوال .. وأفريكيا الثورة والاشتراكية والعلوم الحديثة تأخذ طريقها الان فتية وقوية لتحتل مكانها تحت الشمس . غير ان عملية التحويل تلقى عقبات أعلى من جبل المقطم .. وتصادف مطبات أعمق من البحر الابيض ! جماعة المنتفعين بافريكيا يقاتلون الآن معركتهم الاخيرة فى سبيل الاحتفاظ بشيء .. أى شيء ! ..

وهؤلاء المنتفعون أدنياء كما الضباع ، حقراء كما الجرابيع ، أراذل كما الجراد المفير ! ولقد حاربوا الثورة الافريكية فى البداية بالسلاح ، فلما فشلوا لجأوا الى الحرب فى الظلام ، وهم الان تجار السوق السوداء ، وزعماء عصابات التهريب والتهليب ، الله يخرب بيتهم وبيت أبوهم ، بيض كلهم هؤلاء اللصوص ، ومعهم أيضا بعض العملاء الافريكان ، أصحاب السطوة والنفوذ فى الزمن القديم !

أحد هؤلاء أبيض ومن الشرق الاوسط اشترى مرة كل مدينة أكرا بمائة جنيه لا تزيد ، وكتب معاهدة مع زعماء القبائل يتعهدون فيها بحمايته من أى عدوان ،

مقابل الف متر قماش كستور كل عام ، وكسب الابيض الفهلوى نصف مليون جنيه من بيع أراضى أكرا لأهلها الافريكان ! أحفاد هذا الابيض النصـــاب يعملون الان بجنون فى التهريب ، ومقابل كل جنيه استرلينى يدفعون خمسة جنيهات افريكية ، عملية تكسير فى ضلوع غانا الفتية ، ومص دم من عروقها ، ليس بالشفاطة ولكن عن طريق الغب مباشرة بالفم ، ولا واحـد مفجوع عاكم سلطانية طرشى بلدى .. الله عليها !

ولكن .. قبل أن يأخذنا الحديث ينبغى أن نحكى لكم قصة الثورة والثوار فى افريكيا . وما أحلى الحديث عنها وما أحلى الحكايات فيها وما أغرب وأعجب ما حـدث ويحدث حتى الان ! عندما اشتعلت نار الثورة فى افريكيا اشترك فيها الجميع . أغنياء يملكون الضياع ومعهم فلوس فى البنوك ، وعندهم حشم وخدم وخير الله كتير ، ولكن لأن عين الانسان فارغة ولا يملاها الا التراب ، فقد ثار السادة الاغنياء ليغتنوا أكثر ! فهم أغنياء بحكم أنهم خدامين للسادة البيض ، فلو انطرد البيض فسيكون هؤلاء هم السادة الجدد ، وسيصبح الجميع خدامين عندهم ، وبدلا من المال وحده ، سيصبح عندهم المال والسلطة والعمر الطويل ! ومع الاغنياء اشترك أيضـا أفندية بكرافتات ملونة وقماش انجليزى مخطط ، وغاية الثورة عندهم ان يتكلم الناس ، وأن يكون لهم حق البغبغة بالكلام ! وهؤلاء حلموا بالثورة فى جنينة هايد بارك . وعلى سلم الجمعية الوطنية الفرنسية أيام الجمهـورية الرابعة ، وغاية الثورة عندهم هى الديمقراطية ، وغاية الديمقراطية عندهم .. هى حرية الكلام ! ولكن هؤلاء الافندية نسوا او ربما تناسوا أن حق الكلام يصبح فى النهاية لمن يأكل أكثر ويعمل أقل ! لانه سيكون لدى هؤلاء

فرصة للسهر والاجتماع والكلام . أما الفلاح الكفران القلبان الذى يعمل فى الحقل من النجمة لغروب الشمس .. هذا الفلاح لن يجد فرصة حتى .. للاستماع !!

المهم ان الثورة قامت ، وقام معها كل الناس .. العاطل الذى يبحث عن عمل ، والفلاح الذى يبحث عن أرض ، والافندى الذى يبحث عن مكتب ، والفنى الذى يبحث عن سلطة ، مولد وكل الناس فيه ، فلما نجحت الثورة بدأ الخلاف بين الثائرين ! كان فى الثورة فريق يطالب بالثورة المستمرة ، بتوزيع الارض ، بتوزيع المال ، بتوزيع الفرص ، بتوزيع العدل .. وكانت ثورة عبد الناصر الافريكية العربية هى المثل الاعلى لهؤلاء الثوار ، ولكن عندما بدأت الثورة فى بعض بلدان افريكيا تسير على هذا الطريق . انشق عليها الاغنياء فى البداية ، ثم بعد فترة خرج عليها الافندية المثقفون ! وهكذا اتلم المتعوس على خايب الرجا ، واتلم عليهم أيضا ، كل أمعة ، وكل صاحب منفعة ! كل زعيم قبيلة يريد أن تبقى الاوضاع على ما هى عليه . الناس تبقى عرايا ، والرقص على ودنه ، والجوع على ودنه ، وكرسى الرئاسة والقداسة للسيد الزعيم !

وكل تاجر يشترى بقرش ويبيع بعشرة ، وعنده من الفلوس مليون ، وعند الآخرين برد وبلهارسيا وروماتيزم ينشر فى المفاصل وفى العظام !

وهكذا أصبحت افريكيا افريكتين . واحدة ثار فيها الجميع فلما نجحت الثورة ، سكت الجميع ! اكتفوا بطرد الحكام البيض ووضعوا مكانهم حكام سود ، واكتفوا بطرد الاغنياء البيض ، وسلموا البنوك للأغنياء السود ! ولأن الحكام السود والاغنياء السود أولاد أصول فقد واصلوا العلاقة القديمة بالسيد الابيض ، وهكذا أصبح السود

مندوبين عن البيض .. ليس الا ! والان أصبح كل شيء على ما هو عليه ، وكأن الثورة لم تقم وكأنها أيضا لم تكن ! وكأنك يابو زيد لا رحت ولا جيت !

ولكن هناك افريكيا ثانية جديدة ، الثورة فيها مستمرة ، والثورة فيها على طول . وهذه الاخيرة تلقى متاعب ومصاعب ومؤامرات ! ولكن الثورة فيها تتغلب دائما ، وتهزم أعداءها دائما ، وتنتصر على طول الطريق. لان الثورة فيها ليست موضة وليست بدعة ، ولكنها مطلب الجماهير الحافية، والجماهير التعبانة ، والجماهير التى نضجت على نار الفقر وعلى نار القهر !

واحد من دول التقيت به فى بلد افريكى متحرر ، زعيم قبيلة كان يعيش طول العام فى العاصمة ، ينام فى قصر مفتخر ، ويأكل حمام مفتخر ، ويقربع ويسكى ويلعب قمار طول الليل . وبناته فى لندن ، وأبناؤه فى نيويورك ! ومرة كل عام يذهب الى القبيلة ، يرتدى الخرز ويرقص رقصة الحرب ، ويجمع الاتاوة ويعود ينفق منها على نفسه فى العاصمة وعلى عياله فيما وراء البحار ! الزعيم الافريكى الذى يجب أن يحتذى فى نظره هو كازافوبو ، الخائن ابن الخاينة رئيس جمهورية الكونغو ليوبولدفيل .. وهو زعلان وقرفان لان افريكيا لها تقاليد توشك أن تندثر ! وهو زعلان لانه رجل تقاليد ، والجهل من تقاليد أفريكيا وينبغى الابقاء عليه ، والفطرة من أهم مميزات افريكيا ، وينبغى المحافظة عليها ، الراجل الزعيم القبائلى السابق عقليته سياحية ، فلو فرضنا وأصبحت افريكيا بلدا أوروبيا كما يحلم الثوار ، فما الذى يغرى الاوروبى على المجىء الينا ، وأى شىء يثير خياله لينفق عندنا الاسترلينى والدولار ؟! الراجل الان ثائر ضد النظام الجديد ، ولكنه

ليس من الثوار الخطرين ، لانه هايف وجاهل وعقله مثل نعل الجزمة ! انه يريد فى النهاية أن يحيط افريكيا بسور هائل ، فلا اصلاح ولا تغيير ولا دياولو ، ويجلب السواح من أوروبا ، وكم هير يا خواجا ، وجبت ون سيجاريت ، وثانك يو ، وكان الله بالسر عليم ! وما دام هو سوف يقبض وسوف يصرف ، وسيكون آخر مزاج وآخر انشكاع ، فكل شىء فى افريقيا هادىء وعال والحمد لله !

ولكن أخطر أعداء النظام الجديد ، هم السادة الافندية الذين تلقوا قشور العلم فى جامعات لندن ! الافندية المصوصين الناشفين المصعصعين المريشين ، وكلهم بنظارات طبية ولها شنابر ! وهؤلاء ليسوا ضد الثورة ولكن ضد « أسلوب » الثورة . انهم يحلمون بحديقة مثل هايد بارك ، ومجلس عموم يتكلم فيه الناس كما يشاءون ، وجرائد تقول ما تريد وهم فى النهاية ضد الوضع القديم أيضا ، ولكن موقفهم هذا جعلهم من أشد أنصار النظام القديم ، ولو نجحوا فيما يريدون لعاد النظام القديم بكامل هيئته وكامل عدته !

أفندى من دول ، مسلول مثل حالى ، ضبش لا يكاد يرى أبعد من طرف جاكتته ، يتكلم بسرعة مدفع رشاش ولعل عيبه الوحيد انه يتكلم ولا يسمع ، ولا يريد أن يسمع لأنه لا يعطى أحدا فرصة للكلام !

أغرب شىء أن الافندى اياه يعشق لومومبا ويحبه ، لومومبا شهيد افريكيا ، لومومبا مسيح عصره . ولكن لومومبا الطيب يا حضرة الافندى ، قتله أعداؤه لانه لم يقتلهم ، لانه اتبع أسلوب سيادتك ، عاملهم بالكلام فقاتلوه بطلقات الرصاص ! ومع ذلك فالافندى لا يريد

أن يقتنع ، انه شاعر وليس ثائر ، وهو لا يريد دولة حرة ، ولكنه يرغب فى قبر ويشبع عياط عليه !

ولكن .. لا خطر على الثورة الآن فى افريكيا ، انهـا أقوى من أعدائها . وجيل الثورة الجديد يتكون الآن ، وعلى أكتافهم ستقوم افريكيا الجديدة . وسيظل ثوار افريكيا يحملون السلاح لحماية الثورة حتى يتولى الجيل الجديد مسئولياته . واحد من هؤلاء – أبناء الثـــورة الافريكية – اقتحم على الحجرة فى فندق الامباسادور بأكرا وجاء يناقشنى فى الوحدة الافريكية ، انه يحـلم بأفريكيا واحدة ، أفريكيا كبيرة وقوية . انه يحلم بقطار سريع يقوم من القاهرة الى كيبتون فى جنوب افريكيا ، ثم يخترق بطن القارة الى كانو ولاجوس واكرا ، ثم يعبر الصحراء الكبرى الى المغرب والجـزائر ، ثم يعود من جديد الى القاهرة ! ويحلم بعملة افريكية واحدة ، على وجهها رسم للاهرام كأثر افريكى شهير ، وعلى ظهرها رسم للتمساح لانه حيـوان افريكى ولان افريكيا قارة البحيرات والانهار ! ويحلم بجامعة افريكية للسياسة فى القاهرة ، وجامعة افريكية للفنون فى أكرا ، وجامعـــة افريكية للعلوم فى الجزائر ، وجامعة افريكية للفلسفة فى الخرطوم ! ويحلم بجيش افريكى قوى يحرس شواطىء القارة الشمالية منأوروبا لأنها العدو التقليدى، ويحرس شواطىء القارة الغربية من أمريكا لأنها العدو الجديد ..

الولد الثائر العجيب لا يحلم ولا يتنبأ ، ولكنه يقرأ الغيب وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح . انه الآن فى العشرين من عمره ، وستتحقق هذه الاحلام كلها قبل نهاية القرن العشرين ، وسيكون الثائر العجيب وقتئذ فى الخمسين وربما فى الخامسة والخمسين ! وفى خلال ثلاثين عاما ستصنع الاعاجيب ، لا تندهش أيها الأخ ، فمنـذ عشر

سنوات .. ربما أقل ، لم يكن فى افريكيا كلها سوى عبد الناصر . ولكن هذا الرجل وحده استطاع أن يصنع المعجزات . منذ ٨ سنوات مثلا كان ملك المغرب فى المنفى، وكان لومومبا موظفا فى مصلحة البريد ، وجومو كينياتا فى السجن ، وبن بيللا فى السجن ، ونيريرى وسيكوتورى ونكروما يكافحون بعضهم فى الخارج وبعضهم من خلف الاسوار . وكان المسافر من اكرا الى القاهرة لا بد أن يمر أولا بلندن ، والمسافر من القاهرة الى كوناكرى لا بد أن يمر أولا بباريس . وكان لا بد من تأشيرة مرور انجليزية أو فرنسية أو بلجيكية أو اسبانية أو ايطالية لمن يريد الدخول فى افريكيا . ولم يكن لنا عملة ولكن التعامل بيننا كان يتم بفلوس الغير . ولم تكن لنا أعلام ولا أناشيد . وكان أغلبنا صياع فى لندن وفى باريس . كانوا يضحكون علينا فيقولون لنا اننا مواطنون مثلهم لنا نفس الحقوق وعلينا نفس الواجبات ، وكنا نسافر الى الوطن الام لندن ، فنكتشف هناك على ضوء لمبات النيون ان واجباتنا ثقيلة وحقوقنا مفيش . واننا احرار نستطيع أن نعمل فى أى مهنة تروق لنا من أول كناسين فى الشارع الى كمسارية فى الترماى !

مع الولد الثائر العجيب ، أفندى نص عمر فى سن حضرتنا ، كاتب وأديب له روايات وقصص . داير لف أوروبا كلها ، وعاش فى لندن أغلب حياته ، وذهب اليها أول الامر ليتعلم ، والتعليم فى جامعات لندن بدون فلوس التعليم بالمجان ، فطار عمنا فيكتور الى هناك . ولكنه اكتشف هناك ان التعليم صحيح ببلاش ولكن الحياة غالية ، ولكى تتعلم لا بد وأن تكون من الاغنياء . وفكر فيكتور أن يعمل ويتعلم . فاشتغل عامل منجم فى اسكتلندا . ولكن العمل فى المنجم شاق وصعب ولا يمكن

أن يترك لك فرصة للتعليم .. فهجر المنجم واشتغل شيالا فى ميناء ليفربول ، وانكسر وسط عمنا فيكتور على رصيف الميناء . واضطر الى النوم فى حجرة باردة مع عشرين افريكيا مثله . يشربون الروم ويفتحون المطاوى قبل النوم ، ويسبون الدين والدنيا ، ويشخرون وينخرون ، ويستشهدون بدون سبب معلوم !

الغلبان المسكين فيكتور ذهب الى لندن يتعلم ويتأدب وينشر انتاجه على العالمين ! ولكن ها هو يتدحرج مع الايام الى عامل منجم وشيال فى الميناء وكناس فى الشارع ثم صايع يجلس طول النهار على المقهى وطول الليل يتسكع فى حى سوهو الشهير . ثم ها هو فى النهاية يصنع ما هو أسوأ . ان له جسما فحلا كتور ، وقوة باتعة ليس لها نظير ، وستات أوروبا يحبون الرجل الحمش القوى العنتيل ! وسيصبح عمنا فيكتور روميو بالاجر راجل وله عداد مثل التاكسى ، وارتضى عمنا فيكتور حياته الجديدة ولكن ست غنية معجبانية وقعت فى عمنا فيكتور فعرضت عليه أن يتحول من أجرة الى ملاكى ، مقابل خمسين جنيها استرلينى كل شهر للفسحة والمزاج !

وعاش عم فيكتور سنوات مع الست ثم ركن فى الخط ، وسقط مريضا بالسل ، وفى مستشفى لندن عاش شهورا يعانى من المرض ومن الوحدة ومن الفقر . انتظرته الست المعجبانية شهر وشهرين ثم اشترت راجل آخر ملاكى واختفت عن الانظار !

الاديب القديم فى عمنا فيكتور عاد يتحرك فى داخله وهو على سرير المرض وجرثومة السل تأكل فى صدره ..

وبعد عام كامل خرج عمنا فيكتور من المستشفى

برواية ستحدث هزة فى أفريكيا اسمها الغروب وعندما اشتعلت الثورة فى افريكيا حمل عزاله وجاء على عجل ليأخذ مكانه في صف الثوار . وقبل أن يغادر لندن ذهب الى هايد بارك ووقف يخطب فى مجموعة من الانجليز السكرانين . وشتمهم ولعنهم وبصق عليهم ، وصاح واحد سكران من بين المستمعين :

– ولماذا جئت الى هنا ما دامت بلادنا لا تعجبك ؟

وقال عمنا فيكتور :

– لقد جئت الى هنا لانكم قلتم لى ان لندن هى وطنك الأم ..

وصاح الرجل الانجليزى السكران : وهى فعلا كذلك ..

وقال عمنا فيكتور : نعم هى كذلك ولكن اكتشفت للأسف انها أم زانية وتستحق القتل !

عمنا فيكتور الآن فى افريكيا يشارك فى بناء الثورة ، وهو محرر كبير فىمجلة كبيرة ، وروايته الجديدة صدرت هذا العام واسمها بعد الغروب ..

وبعد الغروب قصة افريكية حلوة بطلتها بنت اسمها ديانا ، سحبها رجل سمسار افريكى من الغابة لتعمل فى بيت خواجا على شاطيء المحيط . وكان الخواجا عجوز فى الستين من عمره ، أرمل ماتت مراته منذ عهد طويل ، وله أبناء خمسة ، أربعة منهم رحلوا الى أوروبا ، والخامس أبله ومعتوه ويعيش مع الرجل العجوز . والرجل العجوز ألفى ومبسوط وحاجة تمام، وهو هاوى رماية وصياد طيور ماهر ، وتاجر له أكثر من فرع ، وسفرياته كثيرة وطويلة يقضيها متجولا للتفتيش على فروعه فى نيروبى وسالسبورى واليزابيث فيل !

وذات مساء انفرد الولد الأبله بالبنت الحلوة وفتك بها ، فلما احتجت ألقى بها فى حجرة مظلمة وأغلق الباب عليها بالمفتاح . فلما عاد الرجل العجوز بعد أسبوع أطلق سراحها وطيب خاطرها ونهر ولده الابله المعتوه . وبعد أيام دعاها الرجل العجوز الى حجرته وفتك بها هو الآخر ، ولم تجد بدا من الهرب من قصر الخواجا الى الشارع بدون هدف معلوم . ولكن المدينة كانت مثل قصر الخواجا ، كافرة وجاحدة وملعونة . وسرعان ما سقطت البنت الحلوة فى يد عصابة سحبتها الى الميناء ، الى بيت أنيق ورشيق . وبعد أن كانت البنت للخواجا وولده المعتوه ، أصبحت للجميع . ولكن الامور تغيرت تماما ، فبدلا من أن يتم الامر بالعافية وبالمجان أصبح كل شىء يتم بالذوق وبالفلوس !

وذات مساء اكتشفت البنت أن الخواجا العجوز من زبائن البيت . وبعد أن كانت خادمته أصبحت عشيقته. غرق الرجل العجوز فى حبها للآذان ، ولانه كبير وصاحب نفوذ فقد أصبحت له وحده ، ومنحها هذا الامتياز فرصة للفسحة وفرصة للسفر ..

وذات سفرية التقت بشاب كنخلة جوز الهند قوى كالفيل ، عذب كماء النهر . الولد الافريكى العظيم كان واحد من الذين يعملون للثورة . ولم يكن الولد يعرف سر البنت ولم تكن البنت تعرف سره . وعندما اشتعلت الثورة اختفى الشاب أسابيع طويلة ، وعند أول لقاء مع البنت الحلوة اضطر أن يكشف سره لها . ولكن البنت احتفظت بسرها فلم تكشف عنه الغطاء !

وذات مساء كان الخواجا عندها . وكانت حفلة صاخبة .. ومع الخواجا كل أصدقائه وأحبابه ومدير

البوليس.. ومحافظ بنك باركليز ، وشيخ تجار المدينة، ودار الحديث حول الثورة والثوار . والحمرة حلوة تفك الألسنة المعقودة ، وتفتح الصدور المطوية على الاسرار ! ومدير البوليس رأسه خفيفة وعقله أخف . أخرج من جيبه لستة طويلة بأسماء مائة شاب ستقتلهم السلطة اغتيالا فى الظلام . وارتاعت البنت الحلوة فقد كان اسم حبيبها فى كشف الموت اياه . وسكرت البنت وغنت ورقصت معهم ..

وفى الفجر تسللت هاربة ومعها الكشف الى مقر الحبيب . لقد هربت البنت مرة أخرى ولكنها فى هذه المرة لم تهرب الى الشارع ، ولكن الى الثورة ، لقد وجدت نفسها أخيرا مع الثوار ..

والحدوتة التى حكيتها لكم هى مجرد كروكى للرواية الاصلية . لاننى لو لخصت القصة بأمانة لاحتجت الى عشرة فصول من هذا الكتاب . وحال الادب فى أفريكيا لا يسر أحدا لان عدد القراء قليل . وفى العالم الغربى مؤامرة صمت على الادب الافريكي فلا اهتمام ولا احتفال وفى أوروبا يحتفلون بأدب الدولة الخنفسة اسرائيل ولكن أدب قارة بأسرها لا يهم ! وتوزيع الصحف فى افريكيا وحش لان الطرق وحشة والمواصلات أوحش بكثير ! والفن الافريكى ممتاز ولكن لا أحد يسمع به ولا أحد يسمع عنه ، لان الاتصال حتى بين الافريكان محدود ، فلا معارض ولا جوائز .. ولا يحزنون !

والدين فى أفريكيا قشور لأن الدين أدخلوه مبشرون كذابون نصابون جاءوا على مراكب كانت مهمتها الاولى صيد العبيد ! ولذلك فالسيد المسيح والسيدة العذراء سود فى افريكيا لان المبشرين النصابين خدعوهم فقالوا ان المسيح والسيدة العذراء من الزنوج !

والافريكى يذهب الى الكنيسة يوم الاحد لا ليصلى ولكن ليرقص ، والمبشرون فى الغابة يصنعون كل شىء ضد المسيح وضد الدين ! وهم وراء كل الثورات المضادة ، وهم منظمو كل حركات التمرد ضد النظام الجديد . وتحت ثوب المبشر الفضفاض ستجد منشورات وأسلحة ودولارات ومشاريع مؤامرات ، وانقلابات ، وصفقات ليست لحساب الرب ، ولكن لحساب بنك انجلترا ومخابرات الاخ سام !

وأنا أقول « الأخ » سام لانه لم يعد عما لأحد ، فقد أنقلت قيمته وسيمته حتى أصبح أخا .. ولا يزيد ! ..

والمسلم الافريكى تقرأ عليه السلام فيبكى بكاء الارملة التى مات سبعها فى معدية على النيل ! ويسمع آية واحدة من القرآن فيظل يبكى طول الليل بدون أن يفهم حرفا مما يقال ! ويصلى فى الطريق العام لانه لا يوجد مسجد واحد فى بعض العواصم الكبرى . شغل المستعمر الاوروبى الذى أغلق افريكيا الا لنوع واحد من المبشرين . ومنع المسلمين من الحج ، ونشر حملة تخريف ضد العرب ، وصورهم فى صورة خطافة ونخاسة وتجار عبيد !

والخطة التى فشل فى تنفيذها السيد الابيض زمان ، تحاول اسرائيل الان تنفيذها بأمواله ولحسابه ! وخطة الدولة الخنفسة اسرائيل أن تمزق أفريكيا الى أفريكتين ، أفريكيا ما وراء الصحراء وافريكيا ما قبل الصحراء . افريكيا البيضاء وافريكيا السوداء . افريكيا الزنوج وأفريكيا العرب . أفريكيا العبيد ، وافريكيا تجار العبيد !!

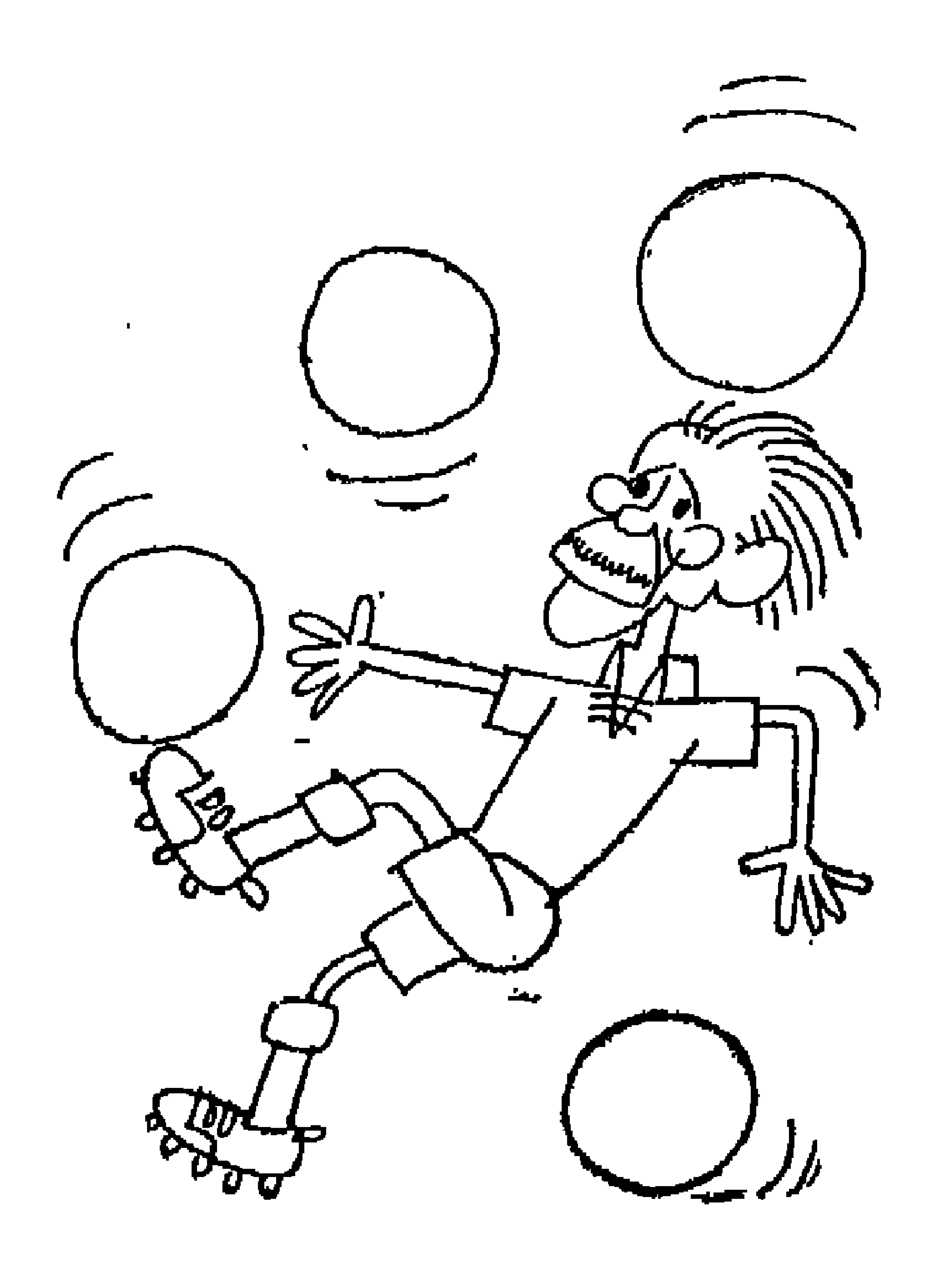
وقد وجدت الدولة الخنفسة فى افريكيا بعض الآذان

تسمع وبعض العقول تصدق . ولكنها كلها آذان وعقول عميلة ، وهناك للأسف قوى وطنية فى أفريكيا ولكنها مخدوعة . ولكن هذا يستلزم منا جهدا أشد وعملا أكبر . وقد كانت الثورة المصرية هى أكبر دعاية للعرب فى افريكيا . وصورة عبد الناصر تحتل مكانها مع صور لومومبا وكينياتا ونيريرى ونكروما وسيكوتورى والمؤدب كيتا ..

وكانت الثورة الجزائرية شهادة اخرى لأفريكيا العربية .. وتجربتنا الاشتراكية محل دراسة كل ثوار افريكيا وأحزابها التقدمية . وما من ثائر فى افريكيا الا وله صلة بالقاهرة . وما من ثائر الا ومعه صورة يحتفظ بها فى أعز مكان ، صورة له مع عبد الناصر فى حديث عن الثورة والثوار ..

ولقد بدأنا حديثنا عن الغنى والاغنياء ولكن الحديث على رأى زكى مبارك ذو شجون . والمال حلو يا جدعان ولكن توزيعه على الناس أحلى . والسلطة مغرية ولكن رد السلطة الى الشعب أكثر عدلا . وافريكيا الان تغلى على نار من أجل توزيع الفلوس ، ورد النفوذ الى أهله الطبيعيين والشرعيين . أصحاب النفوذ والفلوس التقليديون يحاربون الان معركتهم الاخيرة ، معركة ضد المنطق وضد الطبيعة وضد الحياة نفسها ويابخت من يقف مع الثورة فى افريكيا . وياحسرة من يقف ضدها ، ستأكله الثورة وتهضمه وتبصقه نفاية على الطريق ..

# ياحضرات الكويرة .. ويل لكم من أفريكيا



بعد العلوم والفنون والسـياسة والكواسة والحواسة أكتب لكم من جديد عن فرع جديد فى أفريكيا . ولكن قبل أن أبدأ لا بد من شرح الكلمات الجديدة التى أرجوكم رجاء واحد شحط عاوز يتمين تمورجى فى القصر العينى، ارجوكم أن تحفظوها وتتذكروها وتتعلموها وللعبد لله الأجر والثواب عند الله ..

أول هـذه الكلمات هى الكواسـة ، والكواسة من كويس . ويقال فلان رجل كويس .. اى رجل طيب أو رجل عبيط . ويقال هذا الشىء كويس كتير ، هذا اذا كان المتكلم خواجا مضروب فى دماغه نازل من مركب يتفرج على بورسعيد ! والكلمة الاخرى هى الحواسة ، من التحويس . والتحويس بمعنى اللف والدوران ويقال فلان حواس بمعنى فلان لفاف أو دوار ، ولكن هـذا لا ينطبق على حواس بتاع الفن الشعبى والحواسة أيضا فى بعض القواميس من الحوسة ويقال يا حوستى يانى ، هذا اذا كان المتكلم سيدة من المدبح مات سبعها فى معركة بالسكاكين . ويقال يا حوستى يا خواتى ، هذا اذا كان المتكلم أم مات ابنها غرقا فى بحر شبين . بعد هـذه الديباجة يا سادة يا كرام اعود بكم الى الحـديث عن أفريكيا ، وفى فرع أعتقـد أنه يهم الكثيرين والكثيريت

وهم حضرات الستات وحضرات البنات ، والتاء هنا هى تاء النسوة !

حديث اليوم يا سادة عن الرياضة فى أفريكيا . ولن أخدعكم ولن أضحك عليكم ، سأقول الحقيقة كاملة وارجو أن يستفيد منها حضرات المشرفين على الرياضة فى بلادنا ، لان افريكيا منا وعلينا ، ويوما ما سنلاعبها وتلاعبنا ، ويا ويلنا اذا لم نأخذ حذرنا واذا لم نستعد لها من الان ! أول شىء افريكيا فى السباحة بره ، ومع أن افريكيا قارة الانهار والبحيرات ، الا أنها أنهار وبحيرات قاتلة .. السابح فيها مفقود ، والواقف على شـــاطئها مفقود برضه ! التماسيح هناك تتلعبط فى الماء كما السمك البلطى أو السمك الشبار بلغة أهل بورسعيد .. عندما يتلعبط فى ترعة بلدنا ! وسيد قشطة نائم على وش الميه كما قنطرة ترعة سبك كفر القرنين منوفية ! وفى السودان مثلا سمكة غلبانة ومسالمة اسمها العجلة وزنها مثل وزن الفيل ، ولو طبقت فى واحد سباح مثل أبو هيف فـ .. يعوض الله ! وفى أنهار الكونغو احناش يعنى تعابين ســـامة وقرصتها وقرافة البساتين ! لذلك لا يسبح الناس هناك حتى الناس الذين على شـــواطىء المحيط لا يسبحون لان المحيط غدار تنزل فيه فتغطس ولكن لاتقب ولا تظهر لك جثة ! السباحة فى أفريكيا ايدك منها والارض . وسنظل نحن الابطال فى العالم وابطـال كل العـــالمين ، حتى ولو اكتشف العلمـاء ناس فى كوكب الزهرة ! وفى الملاكمة كفانا الله شرها مستوانا كهواة مش بطال ، ولكن كمحترفين يختلف الوضع ! فى نيجيريا ولد ملاكم محترف اسمه تيجر وتيجر يعنى النمر ، وهو نمر فعلا ومفترس صحيح ! قتل حتى الآن اكثر من خمسة ملاكمين لهم عضلات ولهم قبضات كالحديد ! وفى جامبيا

ايضا ملاكم محترف اسمه دوجو، لو لكش واحد مثـل حضرتنا فأنتم مدعوون جميعا لتشييع جنازتى فى اليوم التالى باذن الله ! ولو لكش واحد ملاكم فهو واقع على أرض الحلقة بلا كلام ! وليس اعتباطا أن كل أبطال الملاكمة فى العالم من الزنوج . بنيان الزنجى كبناء الهرم الأكبر : حاجه تسر العين والفؤاد وتشرح الصدر الحزين ! عضلات ولا الكورة الانبوبة لو رآها ولد كوير مثل رضا لشاط فيها على الزاوية الشمال على طول ! هذا اذا كان الزنجى رجل غلبان وفى حاله مثل حضرتنا ، فما بالك بالرجل المـلاكم الذى يأكل عيشه بعرق العضلات وقبضات اليدين ! وفى الجرى حدث ولا حـرج . فى افريكيـا ناس ناشفـين مسلوعين ، رجلهم ولا عيدان الملوخية ، ولكن صلبة ولا حديد المسلح والواحد منهم يجرى ولا الغزال . واكيبا بتاع الحبشة بهر العالم كله برجليه ، وميداليـة ذهبية مضمونة لسيادته فى اى دورة وفى أى مهرجان . وفى تونس أيضا عدائين الله عليهم الواحد فيهم يجرى مشوار من هنا لبنها . وفى الكميرون عداء مشهور اسمه أوجا . . ومعناها النار ، وهو يجرى الميل الواحد فى سرعة النفاثة الجديدة . . وفى كرة السلة العيال طوال أطول من نخلة ، ولكن بلا فن على الاطلاق ، ولو اكتسبوا الفن فياميت حلاوة عليهم ، عندئذ سيكسبـون حتى أمـريكا ، وحتى فرنسا ! ولكن كرة القدم هى التى اريد أن انذركم ياسادة يا كويرة وان ألفت نظـركم ! فى غانا ولد حارس مـرمى لا تدخل مرماه ولا طلقة مدفع . كما الحيطة يسد الجون فلا تمر منه كورة ولا تشرد ! ومع ذلك ضربناه فى دورة طوكيو خمسة أهداف ولا أدرى كيف حدث هذا ؟ ولذلك ضرب هو الآخر الشيخ طه ضربة تكسح بسببها عاما طويلا

ولطم الاهلى على خديه بسببه ! الولد الفانى غلبان وكفران وحاله عدم ، ويحرس مرمى فريق الريبابليكا فى أكرا ، تفرجت عليه مرتين ، مرة هزم فريقه الفريق المنافس خمسة أهداف حتة واحدة . واتفاظ العيال بتوع الفريق المنافس ونزلوا ضرب فى الحكم ثم فى لعيبة الريبابليكا ! فلما زاط الجمهور فى المدرجات ، انهال اللعيبة ضربا على المتفرجين ، وطار كل الناس ومحسوبكم امامهم ، وعرفت لحظتها أن طريقة لعبنا تختلف عن طريقة اللعب هناك

فهنا الجمهور هو الذى يضرب اللعيبة . وهى طريقة حلوة مادمت أنت من الجمهور . ولكن هناك اللعيبة هم الذين يضربون ، ولذلك يذهب بعض المتفرجين خلال المباريات بزى الكورة حتى اذا حصلت العاركة ووقعت الواقعة ، انضموا للفريق الضارب وهات يا عزق فى مخاليق الله . وشاهدت مباراة ثانية أشهد انها حلوة وانهـا طعمـة ، ومستوى اللعب كما ماتش حامى بين الزمالك والاسماعيلى ، وفازت فرقة ريبابليكا بأربعة أهداف لمفيش أحرزها كلها

الواد الانسيد الشمال ، وهـو ولد عفريت أزرق الناب عصير من رضا الاسماعيلى وجاكسا السودانى ، ويستطيع أن يلعب فى ريال مدريد ويكسب الشهرة والفلوس والذكر الحسن . واستاد اكرا عظيم التنسيق عظيم الاتساع . وبه ساعة أوتوماتيكية ، ولوحة بالكهرباء لتسجيل النتائج وميكروفون للارشاد والتنبيه ! والابواب محكمة لا تسمح بالمكاسب والتهليب ! تذاكر وأبواب دوارة كمـا أبواب جنينة الحيوانات . وعلى كل باب عسكرى واحد ليس على رأسه طاسة وليس فى يده شومة . وفى الداخـل لا يوجد عساكر على الاطلاق ولا واحـد شحط مشمـرخ شايل قفة باستيليا لترويق الدماغ ، ولا جرادل كوكاكولا ،

والتشجيع حامي ولكن في حدود المعقول . والدرجة الاولى بنص دستة شلنات ، والمدرج خلف المرمى بشلن واحد . والتحكيم على باب الله ، شفت واحد حكم غلبان مهزوز ظل يتخبط في أحكامه ، وفي النهاية ضربه العيال اللعيبة وضربه الرجال المتفرجين ! وللصحافة مكان لا ينحشر فيه واحد صايع ولا واحد ضايع ، والصحافة الرياضية قوية ومحترمة ومقروءة غاية الانقراء ! ولكن اللعيبة يا حسرة غلابه ولا لعيبة بنى سويف ، فقراء ولا بتوع السواحل ، آخر فلس ولا لعيبة كفر الشيخ . الواد حارس المرمى العظيم الذى يصلح لحراسة مرمى البرازيل ، تكلمت معه

بعد المباراة وتكلم معي أيضا ، وصورته وشكرنى ، وطلبت منه الحضـــور الى فندق الامباسادور لنتبحبح فى الكلام ونتبغبغ فطلب من العبد لله خمسة شلن ثمن التاكسى وعلبة سجاير عشرين اذا أردت منه الحضور والكـلام ! وتصور لو واحد صحفى أجنبى طلب من صالح سليم أو حمادة امام أو شحتة الحضور الى فندق سميراميس ، فطلب واحد منهم ربع جنيه فكة ثمن علبة بلمونت وتاكسى من الدقى الى ميدان التحرير ؟ انا لا أتصور أن واحد من الكباتن بتوعنا يجرؤ على أن يطلب مثل هذا الطلب الغريب! ولكن يبدو أن الواد حارس المرمى الغانى على الحديدة ، رغم أنه موظف على الآلة الكاتبة فى شركة وله مرتب ٢ جنيه كل أسبوع !!

وفى غانا فرقتان قوميتان والباقى على باب الله ، كوتوكو وريبابليكا ، ومنهما يتكون الفريق الغانى ومن ورائهما يسترزق الاتحاد الغانى وينفق على الجميع . ولكن لا رعاية ولا عناية باللاعبين ، ولو عرف العيال بتوع مصر كم هم محظوظين وكم هم متدلعين وكم هم متبغددين لحمدوا الله

وشكروا فضله وباسوا ايديهم بطنا وظهرا على النعمة والرزق الوفير ! وأشهر لعيب مصرى فى غانا هو رأفت كابتن الزمالك ، وولد تانى وصعوه ولكنهم لم يتذكروا اسمه ، قالوا الولد القصير أبو رجلين مقوسة كما حديد النبلة ! ربما هو محمود حسن لعيب الترسانة الذى اختفى بدون سبب معلوم ! ولقد سمعت عن رأفت من ناس أغنياء مبسوطين فى فندق الامباسادور ، وسمعت عن رأفت من ناس مستوظفين فى الحكومة والشركات وسمعت عن رأفت من ناس ضباط فى الجيش ، وسمعت عن رأفت من ناس فقط فى مقاهى وبارات اكرا ، باختصار سمعت عن رأفت من الجميع ! ولكن غانا كمستوى لا تزيد عن مستوانا .

هى فى نفس الخط البيانى معنا ومع المغرب وتونس والسودان . ساعات فى السما وأيام فى الحضيض . وهى تلعب بطريقتنا وبأسلوبنا وشعارها هو الحكمة الابدية ان الله تعالى خالق الكون ورافع السموات بغير عمد ترونها ومدخل الكورة الى الشبكة .. واذا أراد فلا راد لارادته ولكن اذا كان الله لا يريد فلا شىء يشفع ولا شىء ينفع ، لا شحتة ولا الشاذلى ولا خنتو بتاع ريال مدريد ! ولكن فى افريكيا ناس تلعب بالكورة كما يلعب راجل ذئب ببنت ساذجة ، كما يلعب واحد مليونير بالفلوس ! فى توجو فرقة تأكل منتخب مصر وهى نايمة . وفى جامبيا فرقة تأكل فريق البرازيل . وفى مالى فرقة لو اشتركت فى كأس العالم لأكلت كل الفرق .. حتى فريق البرازيل . الولد دى ستيفانو العجيب أبو رجل بلاتين قال مرة عن عيال مالى انه اذا كان المستقبل فى الكورة لأحد .. فهم الزنوج، وأقوى أمل للزنوج هم عيال مالى ! انا نفسى تفرجت على فريق مالى واندهشت كيف يكون مثل هذا المستوى

موجود ولم نسمع به ولم نتفرج عليه ولماذا نستجدى فريق البرازيل وفريق لشبونة مع أن فريق مالى أعظم وأقوى وعنده من فنون الكورة ما ليس موجودا فى أى فريق . الواد السنتر هاف بتاعهم ذكرنى بالساحر بوشكاش أيام عزه ! الواد يشوط الكورة نحو اليمين فتتجه الكورة نحو الشمال ! وقد يقول قائل . . وماله ، ان عندنا من هذا الصنف كثير . عبده نصحى يشوط فى المرمى فيسدد فى المتفرجين ، وصالح سليم يشوط لزميله فتذهب الكورة للخصم ، وانا أقول نعم هذا صحيح . عندنا الكورة كالبورصة يوم فى هبوط ويوم فى صعود . وكما البورصة ترتفع الاسعار وتنخفض بدون سبب معلوم ، كذلك فى الكورة ، يرتفع المستوى ويهبط دون سبب معلوم ، ولكن الفرق بين صالح سليم مثلا ولعيب مالى ، ان صالح سليم عندما يسدد فى الشبكة ، فهو صادق النية والعزم فى أن تذهب الكورة للمرمى ، ولكن على رأى سامى البارودى ، صح منى العزم والسيف نبا ! ولذلك تخيب الكرة وتتجه نحو المتفرجين . ولكن لعيب مالى يسدد نحو المدرجات فتتجه الكورة الى المرمى . موهبة وصاحب الملك عز وجل وزعها على عبيده . وفن له أصحابه . وناس تتفنن وناس تتحنجل .. وحضرات اللعيبة بتوعنا من طبقة المتحنجلين ! السبب يا حضرات الكويرة أن الجو الكروى فى افريكيا هو نفس الجو الكروى الذى كان موجودا أيام حسين حجازى ومختار التتش . جو هواية ولا شىء سواها ، واللعب هناك لوجه الرحمن الرحيم ! النوادى هناك غلبانه وكفرانه ولا تستطيع أن تعطى اللعيب ثمن صندوق دخان ماتوسيان ودفتر بفرة ! وعندما يفقد الانسان كل شىء وتبقى الهواية فقط فان المجال يصبح

مفتوحا فقط لأصحاب المواهب الاقوى ، اذ لا مجال للاسترزاق ولا للتشبيح ! ولكن الوضع هنا فى مصر يختلف ، فنحن فقدنا روح الهواية ولم نحصل على مكاسب الاحتراف . ولذلك أصبحنا فى الكورة مثل التى رقصت على السلم ، مثل التى فقعت بالصوت فى الغابة الاستوائية ! نطلع مرة رابع دورة طوكيو ، ونخرج من بره بره فى دورة برازافيل ونهزم النمسا مرة وننهزم من هولندا بلد السمن واللبن الحليب ! وهكذا أيضا يكسب الزمالك الدورى العام ويخرج من الكاس فى أول لقاء والسويس الرياضى ينافس على الكأس ويهبط من الدورى الممتاز ! وانت لا تستطيع أن تحدد هل سيكسب فريق مصر أم سيخسر ، وأنت لكى تحدد النتيجة فلابد من الاستعانة بالجن والعفاريت الزرق ! ولكنك فى بلد مثل مالى مثلا ، فأنت تستطيع ان تحدد بالضبط ماذا سوف يحدث له فى أى مباراة ! فاذا كانت المباراة مثلا معنا أو مع غانا او مع السودان . فمالى هى الكسانة باذن الله . واذا كانت المباراة مع انجلترا مثلا ، فقد يتعادل الفريق وقد يفوز ، واذا كان اللعب مع البرازيل ، فهنا لا تستطيع أن تتنبأ ، فقد يتعادل وقد ينهزم وقد يفوز ! ذلك ان فريق مالى له مستوى ، وله مستوى لان له خطة ! ولكن يبدو ان مالى ليست هى البلد الوحيد الخطير فى الكورة . أنا التقيت برجل فى لاجوس مندوب شركة تشترى جوز الهند من أفريكيا . مهنته تحتم عليه المرور عبر افريكيا كلها مرة على الأقل كل عام ، والرجل أفريكى زنجى من السودان الفرنساوى ، وهو نفسه زمان كان لعيب كورة فى بلده . الرجل رغم سنه تبدو عليه الصحة والقوة التمام ! وهو كله فى حجم الضظوى وصوته يشبه تماما صوت فهلاو !

وهو مغرم صبابا بالكورة وعاشق لها ولا عشق جميل للست بثينة ! وهو من أجل مباراة يترك صفقة ويهرب ، ومن أجل الكورة يستقيل ! الرجل الخبير اللعيب القديم قال لى فى افريكيا فرق كورة أقوى ألف مرة من فريق مالى . فريق أنجولا مثلا أقوى بكثير من فريق مالى ، ولكن غير مسموح له بالخروج ، وغير مسموح لفرق افريكيا بالدخول هناك . وكباتن انجولا يلعبون فى نوادى لشبونة وبملاليم . أزيبيو ملك اللعبة فى البرتغال ليس أحسن لاعب فى موزمبيق ولكن هناك لعيبة أحسن منه ألف مرة ، ولكن بعضهم هارب من وجه السلطة والبعض يلعب تحت القهر والاضطهاد ! وفى بلد اسمها بلمفنتين فى جنوب أفريكيا شاهد الرجل الخبير مباراة ليس أحلى منها ولا أطعم . الكورة تتدحرج دائما على الارض والمباصات مرسومة ، وهات وخد بين الجميع ، وكلهم وقت اللزوم أعظم دفاع ، ووقت اللزوم أعظم هجوم ! مباراة لو انتقلت للعالم لانبهر الناس وسجدوا لعيال بلمفنتين مفيش كلام ! ولكن لانهم سود يا عينى محظور عليهم الشهرة وممنوع عليهم الفلوس . وللسود دورى خاص واتحاد خاص وللبيض دورى خاص واتحاد خاص أيضا . ولكن دورى البيض هو المشهور وهو الكسبان ، واتحاد البيض هو الذى يسافر للخارج ويجلب ما يشاء من الفرق بالفلوس ! حتى فى الكورة فيه سود وبيض يا جدعان . ولد من دول اسود ولعيب ، ويلعب فى بلد الجواهر والعواهر جوهانزبرج . ولد محاور كما بوشكاش ، خطاف أهداف كما الضظوى ، شويط كما الشاذلى سريع كما عز الدين ، الولد اياه أصبح له شهرة فى جنوب افريكيا ولا شهرة غاندى فى الهند أصبحت صوره توزع على المتفرجين سرا كما قطع

الحشيش على أصحاب المزاج وخافت حكومة جنوب أفريكيا من الفتنة فاعتقلت الولد الساحر وقذفت به الى الصحراء ، لانه ليس مسموحا لاحد من السود أن يكون مشهورا أو محبوبا من الجميع وفى الكونغو ليوبولد فيل فرقة كورة كان يمكن أن تكون أشهر فرقة فى أفريكيا لو كتب للشهيد الحبيب لومومبا ان يعيش . لأن كل العيال العظام فى الفرقة خطفتهم فرق بلجيكا ، وعندما حصلت الكونغو على الاستقلال عاد العيال الى بلادهم ، فلما اغتيل لومومبا وتشقلبت الأحوال ، عاد العيال من جديد الى فرق البلجيك !

والكورة هى جنون الناس فى أفريكيا كما هى جنون الناس فى كل مكان ، ولكنها فى افريكيا لها دلالة ولها معنى آخر عظيم . الكورة فى افريكيا لم تكن لعبة فقط ، ولكنها كانت لعبة وسياسة ، وكانت جبهة من جبهات المقاومة ، وكانت سلاحا حادا أكيد المفعول ضد السادة البيض . كانت فى البداية وقفا على السادة البيض . وكان مسموحا للعيال السود فى أغلب بلاد أفريكيا باللعب فى فرق البيض ولكن كانت الحياة فى الملعب تسير على نفس النظام الذى يجرى فى الحياة، الواد الاسود يلعب ويحاور ويسجل والواد الأبيض يشتهر ويقبض . فاذا طالب الاسود بحقوق ضربوه وكسروه وركنوه فى الظلام ! فلما اشتد الارهاب فى النوادى اشتدت الرغبة فى تكوين نوادى مستقلة للناس السود . وأول نادى كورة قام فى نياسالاند ودفع السود ثمنه عشرة آلاف من الأرواح ، فعندما بدأ تكوين النادى رفضت السلطات اقامته ، وفى الحال تكونت لجنة للدعوة لانشاء النادى ، ولكن السلطة اعتقلت أعضاء اللجنة وزجت بهم فى السجون ، وفى اليوم التالى انفجرت

المظاهرات فى نياسالاند وتدخلت السلطة بالسلاح وسقط عشرة آلاف قتيل فى يوم الأحد الحزين .. وهو يوم مشهور وله تاريخ فى نياسالاند ! وعندما تكونت نوادى السود كان محظورا على البيض دخولها . ولم يكن لدى البيض أدنى رغبة فى الدخول ولكنها حركة من جانب السود للرد بها على قرار منع السود من دخول نوادى ليلية ! وخلف جدران نوادى الكورة تمت أخطر الاجتماعات ونظمت أعنف المظاهرات ، وفى بعض البلاد تكونت أول خلايا النضال المسلح فى ملاعب الكورة . كانت الخلايا تحضر المباريات مع الألوف الكثيرة ، وأثناء الزيطة والزمبليطة تجتمع الخلايا وتتلقى التعليمات ، وتتسلم السلاح ، وتخرج من ملعب الكورة للعمل ! ورغم أن السلطة البيضاء اكتشفت الامر الا أنها لم تستطع أن توقف مباريات الكورة ، أو تمنع الناس من الدخول ، لأن وقف المباريات أو منع الناس معناه ببساطة ثورة شاملة فى أنحاء البلاد !

أغرب شىء أن جميع الكويرة فى أنحاء العالم لهم نفس الملامح ولهم نفس التفكير . واحد كوير عظيم التقينت به فى أكرا ، لعيب كان وردة زمانه ومكانه منذ عشرة أعوام لا تزيد . الواد اسمه الأسد وقد كان أسدا بالفعل فى الملعب . راسه كانت كالصخرة ، وقدمه كانت قطعة من الماس ، ثم اعتزل الملعب فجأة وراح يسرح طول الليل على شاطىء أكرا يشرب الطافية ومية النار ويترنح ويتدخل فى أى نقاش ، ويقدم نفسه لكل من يلقاه . واصفا نفسه بالأسد وبالكابتن وبطل الابطال ! مسكين الاسد الذى تحول الى لبؤة ، يريد أن يفرض اسمه على الناس بالعافية . والاسد معذور لان اسمه كان يصنع مانشتات الصحف ؛

وصورته كانت تحتل أبرز مكان . وكانت له أحاديث فى الاذاعة ، وكان له معجبون بالألوف ، وكانت سهراته مضمونة وشرابه بالمجان ، والكوير السابق حاقد وناقم على كل الناس ، ليس فى أفريكيا الآن كورة ، الكورة كانت زمان ، أنا كنت أخطف الكورة من بين اقدام اى دفاع ، وانحرف ناحية اليمين وناحية اليسار واشوط فى الزاوية فتسكن الكورة الشباك . أنا قتلت مرة حارس مرمى أبيض كان اطرى من عود الخص الدبلان سددت قنبلة فى بطنه فاخترقت أحشاءه ومات فى الحال الى رحمة الله !! أنا غربلت مرة كل فريق الواندررز الانجليزى وأحرزت هدفا ببطن قدمى ثم لفيت الملعب كله أتلقى تهانى المعجبين والمعجبات ! والكورة عند الاخ دينجا هى مركز الكون ومحور الحياة وهى البداية والنهاية .. وأى لعيب فى العالم الآن صفر على الشمال ولا يساوى ثمرة جوز هند فاسدة . ودستيفانو أنا اتفرجت عليه ولم أنبسط • وبوشكاش نص لعيب لأنه يجيد اللعب بقدم واحدة ، وبيليه لعيب طريد وخرافة ولو جاء فى عصرى لمات جوعا فى الشوارع ، وهذه الأنا هى التى تتحكم فى سلوكه وتحكم تصرفاته حتى الان

واحد كوير تانى مشهور ومعجبانى وضاربه السلك ، اخر فلس واخر نفخة ، ولا تركى عثمانى معه رسالة من الباب العالى الى الناس الواطبين فى المستعمرات . الواد قاعد على الكرسى مفشوخ ولا تاجر قطن كسبان وقاعد مجعبز فى كازينو صفية حلمى ! الواد عقله منفس كوابور جاز بريموس خسران ، ومخه مفوت كموتور عربية العبد لله ، الولد أصله صايع خرج من المدرسة وعنده من السن أربعتاشر ، ورمح فى حوارى أكرا يلعب الكورة كما القشاط! وعنوما اكتشفوه صعد نجمه بسرعة وأصبح له معجبون

ومسلفون نسبة الى السلف عقبال السامعين . وهو جالس على الكرسى ورجليه مبحطرة وكل رجل فى ناحية ، وعلى اليمين بنت أشهد انها كالشيكولاتة نستلة عيونها حلوين كما عيون سعاد حسنى ، شعرها أكرت ومبروم كما البلح الأمهات ، وعضلاتها ناضجة وصاحية كما عضلات الأخت فايزة احمد ، وصوتها كما صوت كمنجة فى يد عازف غشيم ! وعلى الشمال سيدة محمل ، دمها خفيف كستنا مارى منيب شعرها مصبوغ بالحنة ، وعشان لا يغضب بتوع النحوى أقول مصبوغ بالحناء ، فقد لونه القديم ولونه الجديد كما لون شعر الست هند رستم ، وراح الولد

يشرب كما عطشان يا صبايا ودلوه على السبيل ! معه فلوس وعليه صحة ومشهور أشهر من مدينة أكرا ، وجاهل أزلى ، يستطيع بعد الاعتزال أن يصبح متعهد جهل ويستطيع توريده فى سيارات لورى لمن يريد ! سألته عن اللاعب الفلبان دينجا ففشخ بقه بابتسامة رثاء .. وقال لاعب فاشل لو لعب معى لاعتزل من اول يوم !! أنا أقول الحق ، رأيت فى الولد الجديد دينجا آخر .. ويوم قادم قريب سيعتزل هو الآخر ، وسيفر من حوله المعجبون ، وسيحكى عندئذ حكايات هايفة وتافهة ولن يجد من يسمعها بعكس الراجل الفلبان دينجا لانه يتمتع رغم كل شىء بدم خفيف !

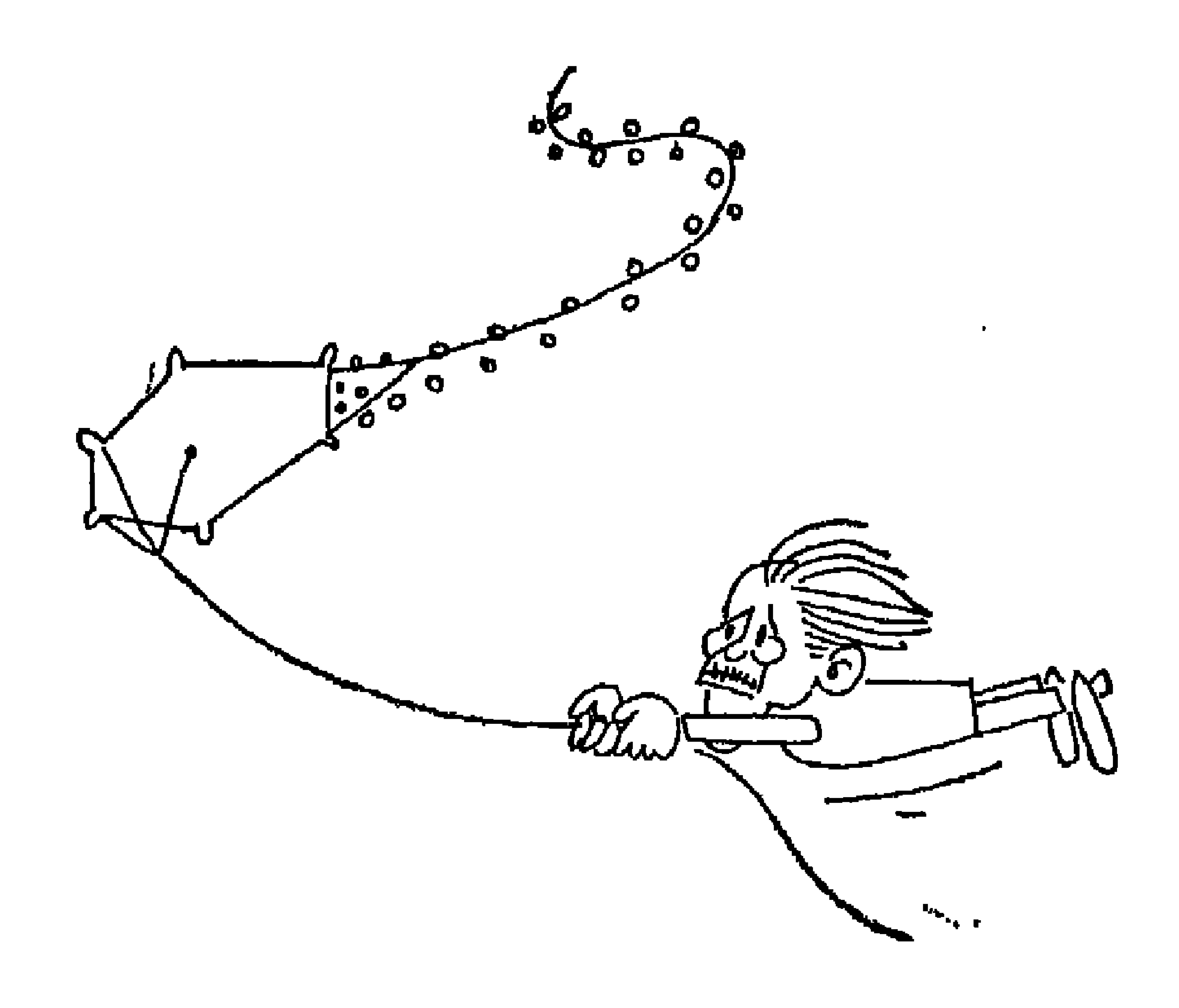
المهم هنا اللياقة والصحة والتفكير السليم .. ونحن نتناقل الكورة بالساعة ، لان الكورة هنا كيف ،والكيف مناقلة ، واللعب حظوظ ومزاجات ، ولعبة حلوة من رضا أبرك من عشرة أهداف ، وتطويحة حلوة من حمادة امام ونخسر المباراة ، ولعبة ع الطاير من بتوع رفاعى ولو دخلت حتى الكورة فى مرماه ، حلنجية العيال بتوعنا وحواة

وشاطرين وعيونهم مفتوحة وأولاد بلد بصحيح ولكنهم لا يصلحون للكورة ولا تصلح الكورة لهم .. وأنا أتمنى على الله ولا يكتر على الله أن تقام دورة أفريكيا مرة فى بلدنا لنتفرج على الكورة الحلوة ونتعلم منها ، أو نتفرج ونتحسر اذا كان التعليم قد أصبح بالنسبة لكباتن مصر العظام من باب المستحيل ! وستدركون عندئذ أننا أسرفنا فى خلع الألقاب على السادة اللعيبة ، وأن المايسترو مثلا لا يصلح الا مايسترو لفرقة حسب الله ، وأن النفاثة ليست الا قطار دلتا قديم ، وأن الثعلب ليس الا بطة بلدى مريضة بالهرش وأن الاهلى الذى هو مدرسة الكورة بالنسبة لافريكيا ليس الا مدرسة لروضة الاطفال والعيال الصغيرين .. ولكن أشهد أن التحكيم عندنا رغم سوءاته وعوراته أفضل بكثير وأعظم بكثير من التحكيم فى أفريكيا .. ومهما قلت ومهما عدت فلن نجد أعظم من على قنديل وحسين امام ولن نجد فى افريكيا واحدا فى مستوى صبحى نصير حكم المحلة الشهير !

ويا حضرة الكويرة ، وقعة سودة أسود من قدرة الفول المدمس ، ويوم أزرق من فانلة الترسانة ، يوم يلتقى الجمعان ، جمعنا وجمع أفريكيا ، يوم لا تشفع فيه فتاكة ولا حركات ، ويكون الفوز يومئذ للعيال التى تلعب الكورة بالطول وعلى طول وليس من أجل اضحاك .. وادهاش الجماهير ..

ويا حضرات القراء الله يعطيكم العمر الطويل حتى تشاهدوا الكورة فى افريكيا ، والله يمد فى أعماركم وأعمارنا ..

# وداعًا: مهجتي.. عمتي.. أفريكيا



ها أنذا خارج من أفريكيا وقلبي ينز ويبز من هول الفراق . وحكاية ينز ويبز هذه جاء ذكرها فى ملحمة أدهم الشرقاوى ، وأول رصاصة جت فى بزه الشمال قال يابز لا تنز من ضربة الاندال ..

وتاني رصاصة جت فى بزه اليمين قال يابز لا تبز من ضربة الخاينين ! ..

هاهي افريكيا العظيمة أفارقها ولكن الى حين . . أعدكم يا حضرات القراء ويا حضرات القراءات اننى سأعود الى افريكيا يوما .. سأعود لأتسلطح على ظهرى بجوار خزان جبل الأولياء ، وأتمرغ فى تراب جوبا ، وأشم رائحة الغابة فى مدينة واو ، وأشم رائحة البارود فى ستانلى فيل ، وألقى بنفسى فى النهر مع التماسيح على شاطىء الكنغو برازافيل .. وأتمشى أفرنجى فى دار السلام ، وأتسنكح كما غراب نوحي فى مزارع الموز فى الكميرون .. وأنا قبل رحلتى الاخيرة الى الشاطىء الغربى لافريكيا قدر لى أن أتسنكح فى ربوع أفريكيا اكثر من مرة .. وقضيت عشرة أيام فى طنجة عندما كانت دولية ؛ عساكرها انجليز وأسبان وطليان وفرنسيون وبرتغاليون

وحاكمها خواجا وشعبها عرب شجعان جدعان أبناء طارق ابن زياد الله يرحم شبابه ! ..

ودخلت حواري القصبة الملتوية ، وتفسحت على شاطىء المضيق مع صحفي هندي غلبان مثل حالي نرمش بعيوننا نحو الشاطىء الاسباني وقمة جبل طارق ترنو الينا ! ..

وفي طنجة الدولية زمان كان كل شيء جائز وكل شيء ممكن وكل شيء مقبول ، ولد جريجي صايع اعترض طريقنا ورطن معنا بالهندي .. وبالهندي رحنا نحن أيضا نرطن معاه ، وسحبنا الى حي القصبة وانسحبنا نحن وراه ، كأننا جاموس في طريقه الى المدبح ، كأننا خرفان والولد الجريجي معه علو برسيم أخضر مرعرع !

ودخلنا بيت .. الله على جماله ، نقوش ولا النقوش الموجود في قصر المنيل ، وبلاطه موزايكو لم تره عيني الا في سراية عابدين ، ورخام مرمر ولا لحم ست بيضة من بقايا الاسر التركية المجنونة أفندم طمام ! ..

وداخــل القصر باحة ولا جنــة رضوان ، فسقية وفي الوسط نافورة ، ومع النافورة ورد بلدي مفتح ع الفصون باللالي ! وجماعة امريكان عواجيز مهابيل مساطيل آخر انسجام ، وامرأة تعبانة آخر تعب ، وحمار حصاوي مدرب وفرجة وفضيحة وهتيكة .. والأجر دولار !! ..

هكذا كانت طنجة وهي دولية ، حشيش تلاقي ، أفيون عيدان تلاقي ، سلاح تلاقي .. تهريب ممكن ، تعمل عصابة كما عصابة توميكس الجبار ممكن ، تفتح بنك وهمي يجوز .. تدخل تخرج لا أحد يسألك ولا أحد يسأل فيك ! ولكن طنجة الدولية كانت لها سوءة وكان لها ميزات ..

أنت في طنجة تحس انك عالم بأسره .. أنت مدينــة مستقلة لها قوانين ولها دستور خاص ، واذا كان الانسان

فى مجتمع سليم يشعر انه مربوط بدوبارة مع الآخرين ومع الأشياء ومع القوانين فانت فى طنجة تحس انك مفكوك الدوبارة وانه لا شيء معك ولا شيء أنت معه !! ..

اذا صادفك رجل فانت تستطيع أن تمر به وتستطيع أن تمر عليه ! .. وأنت تقف لاشارة المرور أو تقف ضدها، وانت مع القانون أو انت عليه ، كل رجل حر وكل حر مسئول عن حريته ، ولكن حرية الآخرين فى طنجة لا تقف عند حدود حريتى . ولكنها تمتد وتقضى على حريتى ! ..

كل رجل فى طنجة كان حرا يقتلنى ويتركنى أو يقتلنى ويشرب من دمى ! . ولقد رأيت فى افريكيا غابات كثيرة ولكن اغرب وأعجب غابة كانت غابة طنجة الدولية ! .. ورغم أن طنجة كانت خالية من الاشجار ومن الوحوش .. الا أن الناس فيها كانوا أخطر واكسر من الحيـوانات الكاسرة ! وفى تلك الأيام الخالية كانت طنجة تنقسم الى ٣٠٠ .. ألف طنجاوى ! كل طنجاوى منهم كان مدينة مستقلة لها علم ترفعه ونشيد تعزفه ! ..

ولقد التقيت فى فندق المنزه بطنجة على شاطىء المضيق بشاب طليانى فى الاربعين من عمره كان جنديا فى جيش موسولينى الذى لا ينهزم ولا يستسلم ولا يتقهقر والذى يجب وينبغى أن ينتصر ! .. ولكن فى أول لقاء للجيش الطليانى مع دولة نص نص هى اليونان تراجع الجيش الطليـانى الى الخلف .. وهو لم يتراجع طبقـا لخطة موضوعة ، ولكنه تراجع والسلام ، وتحول الجيش الطليانى الذى لا يتقهقر الى ٢٥٠ الف جندى متقهقر كل منهـم يود من أعماق اعماقه أن يعقـد مع جيش اليونان صلحا منفردا ! ..

وقضى الولد امبرتو بقية ايامه فى معسكر للأسرى فى

التل الكبير ، وتعلم العربية وأتقنها وقبل نهاية الحرب نجح فى الهرب .. وبعد الحرب لم يعد ايطاليا ولم يستقر فى مصر ..رحل الى ليبيا وعاش فى طرابلس، واشتغل فى شركة طليانية تصطاد سمك التونا من البحر وتبيعه لشعب ليبيا بالعملة الصعبة ، وبعد سنوات طويلة لم ترق له حياة البحر فهجره الى الشاطىء ، ثم لم يلبث أن مل حياة الشاطىء أيضا فهجره الى الجزائر يجرب حظه هناك ..

وفى الجزائر العاصمة استطاع أن يفتح مكتبا للتأمين وينصب على عدد من الناس .. وبدد الولد امبرتو كل الأموال التى استطاع أن يهبرها من مخاليق الله واحتار دليله فوقف عاجزا لا يستطيع أن يتصرف ! .. وذات مساء جاءه الفرج من حيث لا يحسب ولا يحتسب ! طرق عليه الباب واحد خواجا كما جذع شجرة جميز فى الصالحية ! ..

وقدم الرجل الخواجا نفسه ، مندوب جمعية الوجود الفرنسى ، وفى أشد الحاجة الى خواجا يجيد العربية ويجيد اطلاق الرصاص ... وسيسافر فى مهمة عاجلة الى طنجة ، وتناول الولد امبرتو مسدس ومحفظة عامرة بالاموال وطار الى طنجة ، الولد امبرتو الغلبان كان معه أوامر باطلاق النار على فلان وفلان وفلان ! .. ولكن امبرتو الذى له مظهر قاتل ونفسية فنان والذى كان يوما ما جنديا فى جيش موسولينى الذى لا يتقهقر وعاش حياته خلف الأسلاك ، امبرتو الصايع الضايع الغلبان وقد أصبح فى طنجة ومعه فلوس ، نام فى ملهى الدونا على شاطىء المضيق ، يشرب ويحب وينفق عن سعة من محفظة الوجود الفرنسى التى كانت تراقبه ..

فلما بدد كل أموالها طالبته بالتنفيذ فرفض ..

فراحت تتبعه ، ويوما بعد يوم أصبح امبرتو اسيرا مرة اخرى ولكن فى ملهى الدونا ! لم يعد يغادر الملهى خوفا من أن تنطلق فى ظهره رصاصة فتقضى عليـــه فى ظلام طنجة الحالك ! فلما يئست جمعية الوجود الفرنسى من خروجه من الملهى سعت هى اليه ! ..

ارسلوا له ذات يوم طرد جذاب وانيق وفتحته البنت روزانا ، وهى بنت اسبانية ككوز الذرة المشوى ، الذيذة وسخنة ولها رائحة جميلة ! كانت لحظهـــا المهبب تحب امبرتو الطليانى وتموت فى دباديبه ، وعلى روزانا الجميلة انفق الواد امبرتو كل نقوده ونقود الوجود الفرنسى .. فلما تأزمت به الاحوال وحاصرته الجمعية لجأ الى روزانا وكانت شهمة وبنت ناس طيبين فأوته وأكرمته وأنفقت عليه من حر مالها ، وحر مال المغفلين رواد ملهى الدونا !.

فلما وصل الطرد الى الملهى فتحته روزانا فانفجر فيها وقضى عليها ، واصبـــح امبرتو وحيدا ومفلسا ومحطما كبقايا مركب صيد انكسرت وسط المحيط وحمل التيـــار ما بقى منهـــا وراحت الامواج العاتيـــة تقذف بها على الساحل ! .. عندما التقينـــا كانت ليلة صيف حلوة ، والقمر ملعلع فى العلالى ، والشجر سكران يهتز ، والموج نائم يتبلطح ، وامبرتو شارب لكيعانه ، ليس معه فلوس ، ولكن معه مسدس ، ومسدس عمران وجاهز ، وهو قد مل الانتظار ، ويريد أن تأتى اليه جمعية الوجود الفرنسى ، فتقضى عليه أو يقضى عليها .. المهم عنده أن يحدث أى شىء ، هذا خير من الانتظار القاتل ! ..

امبرتو المسكين أنا لا أعرف أين هو الآن ؟ كان آخر لقاء بيننا ذات أمسية حارة فى صيف ١٩٥٦ ، لعله لا يزال فى طنجة العربية الآن .. لعله عاد الى الجزائر ، لعله أبحر

بعيدا الى شيلي أو البرازيل ، فقد كان حلم حياته . . أن يعبر المحيط الى امريكا الجنوبية .. ليعيش بعيدا عن الناس في هدوء !! ..

ولكن تطوان الجميلة هي التى دخلت قلبي .. وفي العالم اماكن كثيرة يراها الانسان فيشهق من شدة اللذة ،ويتمنى على الله أن يعيش فيها .. ولكن احساسى مع تطوان كان يختلف ، عندما رأيتها أول مرة شهقت من شدة الانبساط وتمنيت على الله أن أموت فيها . . بلد ولا الاحلام ، والناس عصير طيب من العرب والاسبان ، وتلال تطوان العشرة تطل عليك في النهار خضراء كما فرع لبلاب مرعرع وتطبق عليك فى الليل .. أنوارها تتلألأ كما شياطين حمر في ليلة صيف والشوارع تحتيه كما الانفاق ومرتفعة كما الكوبرى ! ..

ومروج تطوان زاهرة وعامرة .. أشجار الليمون تعبق في الفضاء الواسع ، وحقول العنب والدلاع تترامى الى الأفق البعيد ... والبحر الأبيض المتوسط يلطم شاطىء تطوان في حنان ولا حنان العاشق المسكين ! نظيفة تطوان انظف من جيب المفلس ، رشيقة ولا فرع شجرة توت . دسمة ولا فطيرة من فطير المنوفية المشلتت ! .. وتركت تطوان وتركت فيها قلبى ، مع بنت أسبانية من الخشيرث وهو النطق الاسبانى للجزيرة ، والخشيرث أو الجزيرة بلد على الشاطىء الاوروبى المواجه لطنجة .. عبرتها جيوش طارق بن زياد أول فارس عربى جدع عبر البحر الى أوروبا ، وعبرتها أيضا جيوش آخر ملوك قشتاله العرب ، مهزومين موكوسين يبكون كما النساء على ملك لم يستطيعوا أن يحافظوا عليه كما الرجال ... والبنت ميراندا عصير هؤلاء الرجال جميعا ..

عربية المزاج والشكل أيضا ، أسبانية الكلام والاشارة! حلوة كما البسكويت ، ناعمة كما كحك العيد ، وتلاغينا وتصاحبنا وعزمتنى وأكلت معها البصطيلة وشربت معها الشاى ! وقضيت معها أسبوعا على شاطىء كأننى ممثل فى رواية من انتاج هوليود ، ثم طرت فجأة من تطوان الى بلد آخر ..

تسألنى لماذا أنقطع حبل الود بينك وبين ميراندا ، فرغم بعد المسافة فما أسهل الخطابات .. ورغم بعد الشقة فقد سافرت أنا بعد ذلك أكثر من مرة الى المغرب والى تطوان نفسها بالذات ! ..

أقول لك بصدق وبدون خداع أنا لم أكتب اليها ولم أذهب لها لأننى كذاب ، زعمت لها فى أول لقاء أننى تاجر وانني سأقيم زمنا طويلا فى تطوان ، لماذا كذبت على ميراندا الحلوة لست أدرى ، المهم أننى كذبت عليها والسلام ! ..
واذا كان الانسان حيوانا ناطقا فى الكتب..فعند العبد لله الانسان حيوان كاذب ! فليس فى الحيوانات أسد يكذب على غزالة .. وليس فى الغابة فيل يكذب على جاموسة .. الكذاب هو الانسان ، أحيانا لسبب وأحيانا بدون أسباب ! .. وأنا كذبت على البنت ميراندا بدون أسباب ، والله يمسيها بالخير اذا كانت حية تسعى ، والله يرحم شبابها اذا كانت ترقد الآن فى قبر على قمة تل من تلال تطوان ! ..

والجزائر ما احلاها وما أغناها ، الشوارع بعضها فوق بعض كأنها طوابق ، والمدينة كلها واقفة مرتفعة شامخة كأنها عمارة ضخمة لسكنى الناس والمحلات والعربيات والترمايات ! ولكن اجمل مافى الجزائر ميدان الشهداء وهو يشبه تماما ميدان العتبة منذ ربع قرن ، وحى

القصبة العربى يختلف عن بقية الجزائر لأنه شوارع بعضها تحت بعض .. القصبة الجميلة تثبت أن العربى له مزاج واحد ونفسية واحدة ... وأن الفوارق والحدود حدثت بفعل فاعل أثيم !

نفس الشكل ستجده فى تونس وفى دمشق وفى القدس وفى اليمن وفى بيروت ، والناس فى القصبة كأنهم فى عيد دائم ، الملابس نظيفة والهيئة مظبوطة وكل شىء عال وتمام وآخر مزاج ، والشيشة بين الأصابع ، والشاى على الموائد ، والستات تخطر فى الجلابية كما الغزال ..

وفى تونس أنا لفيت ومريت من صفاقس حتى الكاف ومن بنزرت حتى القيروان ... أشجار النخيل كما الرفيرا وجداول المياه كما أنهار الجنة ، طبيعة متجبرة ومعبرة وهى التى أنضجت شاعرا عظيما اسمه أبو القاسم الشابى .. مات يا حول الله فى ربيع العمر ، لأن الجنة كانت للفرنسيين والنار كانت لأهل تونس ، وفى القيروان مطرب مصرى عجوز اسمه الشيخ أمين ، العواجيز قوى لابد سيتذكروه ..

كان هنا أيام سيد درويش وداود حسنى ونجيب الريحانى ، وكان صاحب صوت ولا صوت الشيخ مصطفى اسماعيل .. وكانت عليه ليالى ولا ليالى طلب ، وكان فى حنجرته بحة ولا بحة محمد طه ! ..

وسهرت مع الشيخ أمين فى القيروان يسألنى عن الحلوجى بتاع الطعمية والكاشف بياع لحمة الراس ، والحاج صبحى الحلوانى الذى كان فى شارع عبد العزيز .. مسكين كل الذين كان يعرفهم ماتوا الى رحمة العزيز الحكيم ، ولا يذكر اسما الا ومعه عبارة كأنها أكلشيه «الله يرحمه » ! .. ونجيب الريحانى الله يرحمه ، وسيد

درويش الله يرحمه ، وبيرم التونسى الله يرحمه .. وعلى الكسار الله يرحمه ، وفوزى منيب الله يرحمه ، وحسين حجازى الله يرحمه ... وعبد الفتاح القصرى الله يرحمه، وشرفنطح الله يرحمه ، وحسن كامل الله يرحمه ... الخلاصة .. الله يرحم الجميع ..

آسف وزعلان الشيخ أمين لأن جميع المعارف والاصدقاء يرحمهم الله ، غلطان عمنا الشيخ أمين لأنه أسعد حالا من كثيرين .. هو فقد الاصدقاء بالموت ، وغيره يفقدون الاصدقاء وهم على قيد الحياة .. وهذا ألعن ! معه من أيام الذكريات جنيه ذهب مجيدى عليه صورة السلطان عبد المجيد ، وعلبة نشوق ذهب من القائد الألمانى روميل !

ولقد تركت تونس والشيخ أمين ومرينت مرور الكرام على ليبيا ، خطف لهف فى طرابلس .. وخطف لهف أيضا فى بنى غازى ، لا أذكر فى طرابلس شيئا الآن الا فندق المهيرى على شاطىء البحر ، والقاعدة الامريكية الضخمة ، ورءوس الصواريخ الموجهة تطل على الناس كما غربان البين ! ! ..

ولكن البلد الذى لازلت أحن اليه هو الخرطوم ، والقعدة البلدى فى أم درمان على رصيف قبة ضريح الخليفة ، والصحاب والاصدقاء عبد الحميد عبد الرحمن وأحمد عبد الرحمن وعلى كابو وسبت دودو حارس مرمى السودان العظيم ، وتلك الليلة التى نسيت فيها نفسى ونسيت أيضا أننى فى السودان ، والتى قمت فى نهايتها منزعجا أجرى كالمجنون لألحق الاتوبيس الى الجيزة لأننى تأخرت على العيال .. احساس غريب لم يخالجنى قط فى أى مكان آخر .. ظننت أننى فى مصر وعلى رصيف قهوة

الازاز فى السيدة زينب ، فقمت اجرى لأركب الاتوبيس الى الجيزة ! ..

وشلة شرفة الجراند أوتيل على النيل الازرق الغاضب الثائر الجارف كأنه سيل انطلق فجأة وسيجتاح كل شيء ! على ابراهيم المحامى ومحجوب رئيس الوزراء وعفيفى الصحفى وشلة شباب من الجيل الثائر العظيم ، والمجرن وقهوة محمد حسن الذى كان يحكم مصر ذات يوم قريب ، وحديقة الحيوانات التى ليس فيها من الحيوانات الا النادر القليل ، وأم درمان الحية المشعللة الساهرة دوما الى الفجر ... وما أحلى وأندى الفجر فى الخرطوم ! ..

انا ذات يوم لابد أعود الى السودان لأتمرغ فى ترابها وأتنفس هواءها وأعيش مع الناس فى أفراحها ، وأهيم معهم على شاطىء النيل الأبيض أصطاد العجلة ، وعلى شاطىء النيل الأزرق عند الكدرو أصطاد التمساح اللئيم !

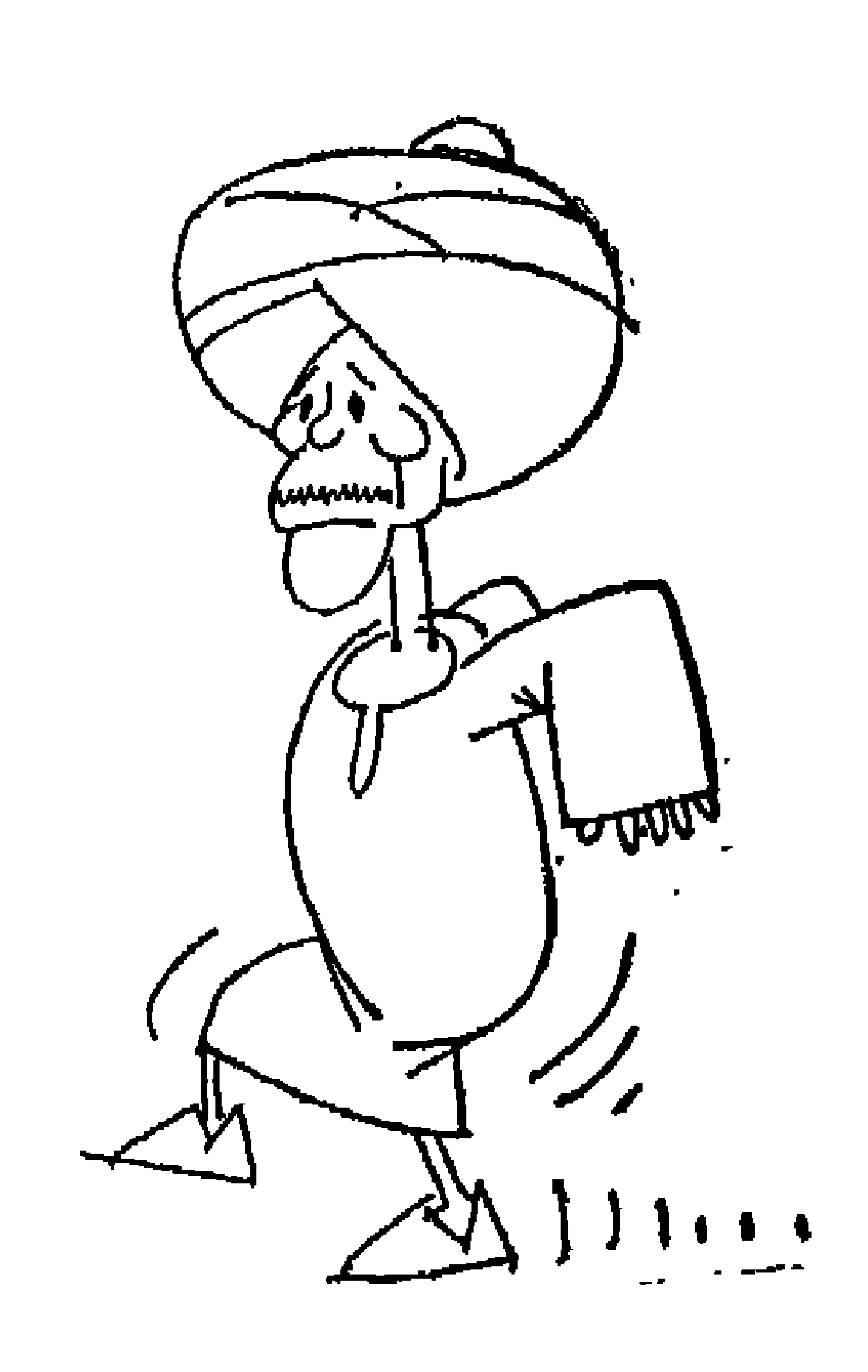
ولكن الصورة التى لا تبارح خيالى صورة فرح فى أم درمان ورقصة الرقبة وتؤديها العروسة وهى محملة بطن كامل من الذهب والمصاغ .. والبنت العروسة رشيقة كما غزال وعفية كما محمد على كلاى ، وراقصة ولا نجوى فؤاد ، وهى لا ترقص ولكن رقبتها فقط هى التى تتلوى كما تعبان طريشة فى رمل الواحات ! ..

والعريس يدور حولها معجب ومبسوط وفرحان وآخر انشكاع ! .. وفجاة تسقط العروسة على الأرض ويصفق الناس .. قد انتصرت البنت الشقية على العريس ، وفى السودان جمال ولا جمال أوروبا ، تقاطيع عربية وسمار كما الخروب ، وقوام ولا المانيكان ، وادب ولا أدب

اللوردات ! والحب فى السودان هامس ليس له صوت ولكن له حفيف ، والناس جميعا آخر ود وآخر محبة ولذلك تمنيت على الله الا يحرمنى لذة اللقاء بالشعب الشقيق ...

أنا باختصار يا سادة يا كرام أحس حنينا عظيما نحو أفريكيا ، عربية وزنجية ، كلنا أفريكان ، وكلنا أبناء قارة لها قضية .. وأتمنى على الله أن تتحقق أحلام الفتى الفانى المتحمس ، فيقوم قطار سريع من القاهرة الى رأس الرجاء الصالح ، ويصبح لأفريكيا عملة واحدة ، وعلم واحد ، ونشيد يتغنى به جميع الافريكان ، وعندئذ سأركب القطار من محطة مصر وأدلدل رجلى وأكمب سيجارة بلمونت حلوة وأخطف ليلة فى الخرطوم وليلة فى أديس أبابا وليلة فى دار السلام ، وليلة فى برازافيل ، حتى أصل الى رأس الرجاء الصالح .. ثم أعود على نفس الخط من جديد ..

# "المندكورو" في الخرطوم



واصل المندكورو ماتوا سمبلة .. آخ سورى اكوانى .
والمندكورو ـ ولا مؤاخذة ـ هم أهل الشمال . أهـــل الخرطوم وسواكن وعطبرة وكل مكان وأى مكان ليس فى الجنوب . وهذه العبارة نفسها قرأتها أنا فى قصة قصيرة وفى مجموعة سودانية منذ أعوام بقلم صلاح احمد وزميله على الملك

وأعجبتنى العبارة جدا وأخذت أرددها كالذى عنده طوفه بعيد عنكم ولم أفهم معناها بالضبط الا عندما طرت الى السودان وجلست مع المؤلف فى شرفة الجراند أوتيل، وهى لوكاندة ـ بلا قافية ـ الخالق الناطق لوكاندة شبرد القديمة ، وأنا رأيت لوكاندة شبرد القديمة وجلست هناك متلفتا كنشال مذعور كعسكرى دريسة ، وكانت المناسبة ان واحد بيه من بتوع الصعيد ، وهو بيه رسمى واخوه باشا رسمى واخته هانم رسمى ، وكان ـ ياولداه ـ يملك من الفدادين ألفين ، ومن النسوان أربعة ، ومن الشهادات اثنين . شهادة الميلاد وشهادة الا اله الا الله ، وكانت مواهبه عديدة ، أهمها ساعة جيب ذهب بسلسلة من البلاتين ، وجزمة برقبة أجلسيه آخر طراوة وآخر انبهار

ويبدو أنه كان قد زهق من الويسكى والقعدات الطرية والنسوان المستوية فقرر أن يصنع شيئا جديدا ، اصدار

مجلة اسبوعية اجتماعية سياسية مهلبية يا !

وبالطبع .. الطيور على أشكالها تقع ، وهو اقطاعى دايخ وسياسى أدوخ ، فقد كان سعادته عضوا فى مجلس النواب وشقيقه كان عضوا فى مجلس الشيوخ والمرحوم جده كان عضوا فى مجلس شورى القوانين ! وبالطبع أنا كنت وقتئذ فى العشرين من عمرى ، صحفى صايع ولا شيال فى محطة اسكندرية أيام الشتاء ، أشتغل شهرا وأصوع شهرا ، واشتغل بالقطعة .. وأحيانا بالجمعة ، وشـــهر اقبض وشهر لم أقبض وحالة لا تسر عـدو ولا يحسدك فيها حبيب ..

المهم أخونا اياه وقع على حفنة صحفيين من قهـــوة الصحفيين العاطلين ، واقترح اسم المجلة « الحق » كأنه كان سيقول الحق فعلا ، وكلفنا بعمل الماكيت والرسوم والكلام ، واشتغلنا نحن فعلا ، وسهرنا الليالى طلبا للمعالى .. ويامبت ندامة يا جدعان على اللى حب ولا طالشى على رأى الفيلسوف والعالم والمفكر عمر الجيزاوى شفاه الله !

وذهبنا جميعا بربطة المعلم الى شبرد ، فقد كان البيه صاحب مجلة الحق يحب الحق ويحب الويسكى فى شرفة شبرد ..

ودخلنا كما متهمين من شلشمون داخلين دوار حضرة العمدة ، وكان البيه ما أحلاه يجلس وسط شلة ، ومع الشلة ستات حلوات مقلوظات ضاحكات ... يبدو أن مجلة الحق كانت ستصدر من أجل الدفاع عن هـذه القضية ، ما هى القضية ؟ لا أعرف

ولكنه كلام والسلام ، زى اتفضل شاى لا متشكر ، اتفضل شاى ، عندى قضية !! المهم سلمنا على البيه فسلم شديد القرف وله حق ، فقد كانت بدلنا غاية فى الوساخة

.. وقمصـــان حضرتنـــا من نوع لم أعد أراه الآن ، نوع لا يحتاج الى مكوة ، وأيضا لا يحتاج الى غسيل ، ولذلك كنت ألبس القميص من دول عمال على بطال ، ولكى أخلعه لابد أن يتمزق .. ليس مزقا بسيطا أعوذ بالله ، ولـكن يتمزق كله فلا تبقي الا الياقة ، أما اذا بقيت الياقة وقطعة في حجـم الكف فكل شيء عال ، لان العياقة من اليـاقة والشكر لك يارب يا متعال

وكانت جيوب حضرتنا محشوة بورق لا أعرف مغزاه ، أقصد مغزى وجوده في الجيب ، ورق جرايد ، وورق علب سجاير ، وورق لحمة ، وورق كرتون ، وورق فقط ، وكانت كرافتة حضرتنا في الأصل فردة شراب ، وكان شراب حضرتنا في الاصل كرافتة ، لكى نثبت قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون

المهم ان البيه جاء وسلم وجلس وطلب لحضرتنا قهوة ، ثم نظر في الماكيت ، وتأمل الرسوم ، وقرأ الكلام ، وحصل له انبساط . ثم قال انا آسف ، تأجل المشروع عدة أعوام .. أقول الحق ، أنا كدت أسقط ميتا تلك اللحظة ، فمنذ عشرة أيام سابقة وانا أترقب تلك الساعة ، وكم انتظرت طويلا طويلا وانا أحلم برطل كباب وسلطة طحينة .. وأكعب سيجارة كليبر حلوة . وأدخل سينمـا ستراند أتفرج على قفة أفلام بثلاثة قروش ، وأركب التـرام ــ ووقتها كان ركوب الترام متعة ــ ثم أتمشى أفرنجى في الجيزة اتباهى على عباد الله !

ولكن البيه ــ كتر الله خيره ــ لم يكسر بخاطرنا ، مد يده في جيب البنطلون ، وسحب علينا ورقة بعشرة حمراء مقرقشة كأنها خارجة للتو واللحظة من جهنم ، واستلمنا النقود بلا مناقشة وخرجنا ، وكنا ثلاثة ، أحدهم الآن

رئيس تحرير والاخر فنان شهير جدا ويشار اليه بالعصا الخيزران ، ولكني سامتنع عن ذكر اسمائهم وكفي الله الصحفيين شر سليط اللسان !

ولكن لماذا كل هذه الاردغانة ؟ وما هي المناسبة ؟ آه ، فندق شبرد وفندق الجراند أوتيل في الخرطوم ، وكان الخالق الناطق شبهه ، ولعلني تذكرت القصة وأنا جالس مع المؤلف يشرح لي عبارة والمندكورو ماتوا سمبلة . . . والمندكورو هم أهل الشمال ، وماتوا ، ماتوا طبعا الى رحمة الله ، وسمبلة . يعني ماتوا بكش . ماتوا أونطة ولكن رغم ذلك لم يهتف أحد هاتوا فلوسنا !

وآخ ، يعنى آخ يانا ، أو اخ يا عينى . . أو اخ يا مصارينى ، وهى من باب التوجع والتفجع والصوات على الشيء الذى تبكى عليه .. وسورى بمعنى اسف ، أو يا أسفي وهى كلمة انجليزى محط ، ومحط هذه كلمة جديدة أهديها الى المجمع اللغوى وحقوق الاختراع محفوظة للعبد لله !

واكوانى يعنى اخوانى ، واللغة على بعضها هى لغة أهل الجنوب فى السودان ، وأعجبتنى جدا كلمة مندكورو ، وبما أن معناها أهل الشمال ، فأنا فى الخرطوم اذن فأنا مندكور ٠٠ لاننى من الجيزة والجيزة شمال الخرطوم ، وأنا جالس فى الجراند أوتيل على شاطىء النيل الأزرق ، ولابس الجلباب تمام ، والمركوب تمام وهاأنذا فى الخرطوم ، وياميت حلاوة على دى بلد

والجو فى أغسطس بارد وممطر هسه ٠٠ وهسه كلمة سودانية عربية ، بمعنى هذه الساعة ولكن اختصارا للوقت واقتصادا للنفقات .. اختزلها أهل الخرطوم فأصبحت هسة .. وياهسه جانا الحبايب واحنا لم

هسة ، وهسة الاخيرة كلمة بلدى بمعنى حسه ، يعنى لم نشعر ، لم نحس ! وهو مطلع اغنية جارى تأليفها الآن للمطرب شفيق جلال

وهاهو الجراند أوتيل هنا وكل السودان هنا أيضا ، حلاوة السودان ان فى الجراند اوتيل تجد رئيس الوزراء وتجد الصايع والضايع مثلى ولا مؤاخذة ، محجوب مع شلة فى الركن ، وأحمد زين وزير العدل مع شلة فى الركن الآخر ، وشلة عرب فى الوسط ، فى الشلة أحمد الخواجا من مصر ، وشفيق أرشيدات من الاردن ، والوقواق من الجزائر ، والشيخ مهدى الفنان ابن الضايعة ، الذى تجرى فى عروقه دماء حجاوية ، نسبة الى زكريا الحجاوى .. والذى يحب الليل والناس والرصيف .. ولكن يا حسرة قلبى ليس فى الخرطوم رصيف واحد يصلح لجلوس الفنانين والمتشردين الا رصيف الجراند أوتيل ، وياما أنا جلست على هذا الرصيف ليالى طويلة ، مع يوسف عباس مدير الفندق أنا أنظر للنيل وهو ينظر للفندق .. وكأن الفندق عهدة وهو مسئول عن كل طوبة فيه

وعندما أشتقت جدا لارصفة القاهرة سحبت أحمد عبد الحليم من ايده وجلست على رصيف النيل الازرق ندردش بالساعات والدنيا ليل ، والنيل آخر فيضان والميه وأهل الخرطوم ينطقونها المويه ـ آخر حمار وآخر حلاوة ولا البطيخ الشيليان ، والتماسيح فى النيل الأزرق تتلعبط وهذا أوانها ..

فعند الفيضان يسبح التمساح أو يهان .. وبما أن التمساح فى الفيضان لا يستطيع أن يسبح ، فهو حتما سيهان ! التيار يجرفه والامواج تحدفه ، وهو وحظه ، يصعد على جزيرة توتى ، أو يصعد فى الكدرو ، المهم هو

منهان منهان ، لانه يظل على الشاطىء حتى ينتهى الفيضان، ونهار أبوه أزرق اذا وقع فيه صياد ، اذا شافه عسكرى حكومة ، اذا طال الفيضان ولم يجد شيئا يأكله فهو ميت من ظهر أموات

ولكن لماذا شاطىء النهر صامت وحزين كما واحدة ست مات جوزها فى مديرية أعالى النيل . . لماذا الشاطىء لا شمعة والعة ولا كرسى محطوط ولا ترابيزة مرصوصة ؛ مع أن الشاطىء فى الخرطوم أجمل ألف مرة من شاطىء السين فى باريس ، وأجمل مليون مرة من شاطىء التاميز فى لندن ، لماذا والسودانيين أهل لطافة وأهل ذوق . . لماذا لا يتقدم واحد ويرص كام كرسى ويشعل لمبة ويدعو أهل الليل الى السهر والكلام وأنا ضامن له المكسب والفلوس الكتير . . لماذا ولا واحد بتاع ساندويتشات واقف على النيل يبيع للناس ساعة العصارى وفى المغربية ؟ لماذا ولا واحد بتاع ترمس . . ولا واحد بتاع أى حاجة واقف هناك ؟ . .

أنا كان نفسى أروح الخرطوم فأرى الشاطىء يشفى بالناس ، أرى العيال فرحانة بالنيل تجرى على الشاطئين، أرى البنات فى السودان بالتوب السودانى يتمخطرن على الضفاف ، الى متى يظل الناس فى بلادنا الفتية تعبانة وغلبانة وكل خيرات الله وجنات الله وأنهار الله تجرى تحت رجليهم ؟ ! أنا شعرت بالجوع مرة فى منتصف الليل، واشتقت الى التهام ساندويتش أو سانكويتش كما كان يقول العسكرى الجارجى خفير مخبأ الجيزة الشهير ! وركبت مع الواد عبد الحميد عبد الرحمن سيارته وطفنا الخرطوم كلها بحثا عن محل واحد فاتح فلم نجد أحدا ولم نجد شيئا ، مع أن أهل الخرطوم ليس مثلهم يتذوق

الليل ويتذوق النجـوم ويتذوق السهر على كورنيش النيل !! ..

وأنا والشيخ مهدى سهرنا مرة وصهللنا وقلت للشيخ مهدى نفسك فى ايه ، وقال الشيخ مهدى الخبـير ابن الناصحة ، قطعة كنافة أو حتة بسبوسة عشـان خاطر النبى والصحابة والأولياء .. ولكن حفيت أقدامنا ولم نعثر على شىء ، مع أن فى السودان أحسن كنـافة والذ بقلاوة وأجدع حلاوة .. ولكن بالنهار ! حـكمة الله أن الناس فى السودان أعظم الناس ، والاخلاق أعظم الاخلاق ، والشهامة أعظم الشهامة .. والرجولة أعظم الرجولة ، ولكن الجو العام ليس مثل الناس ، الفرق رهيب وغريب ولابد له من علاج

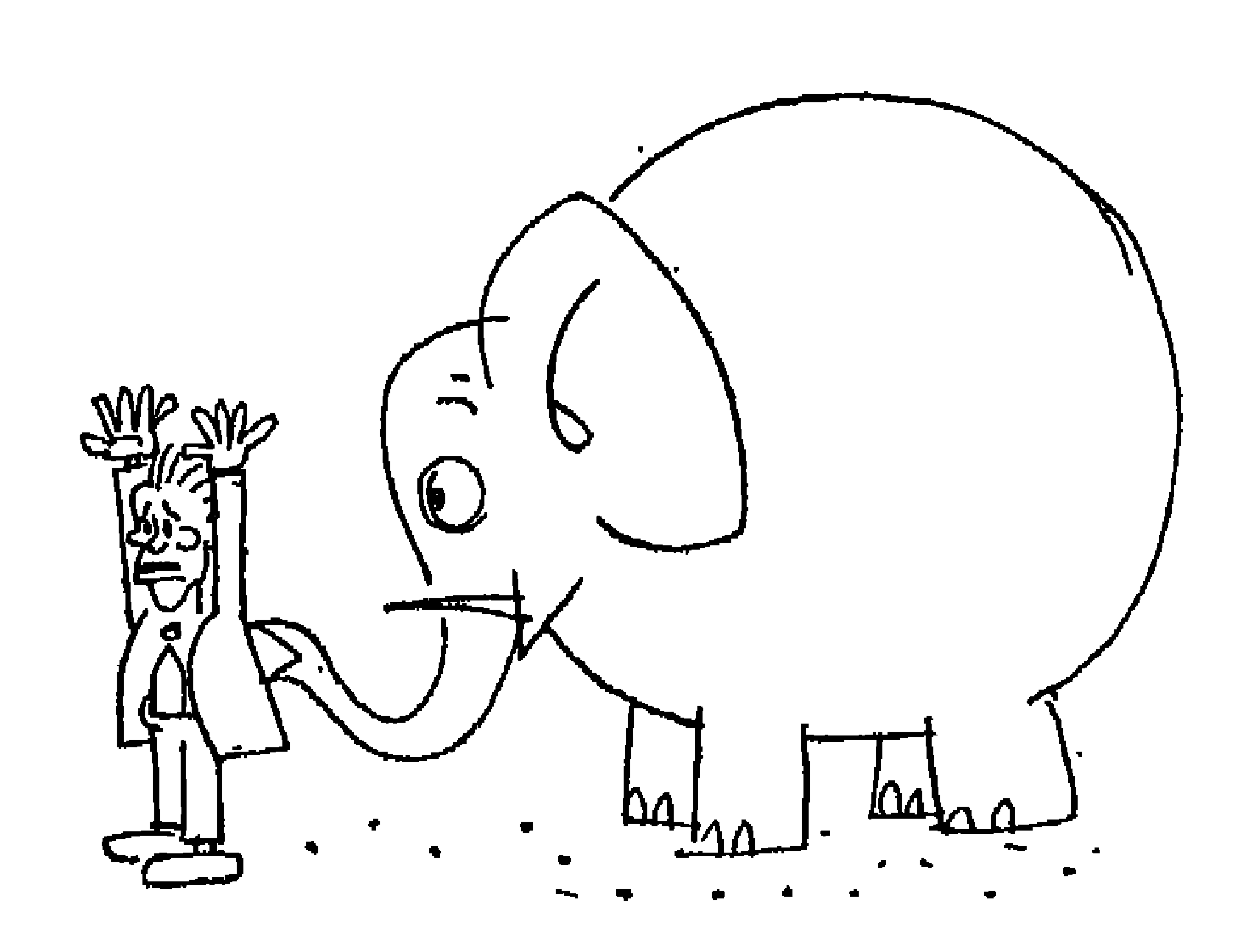
الحجاب مثلا على الوجوه والحب ما احلاه فى السـودان، وتسأل أى سودانى فيقول لك الحقيقة ثم يضرب كفا بكف ويقول سبحان الله !

من المسئول اذن ، مادامت الناس راضية ، وما دام على رأس الحكومة رجل فنـان ، وما دام الجميـع مصرين ومتفقين على تقدم السودان ؟ أنا سـألت بنت سفروته كالقشاط ، مثقفة مثل لويس عوض ، ناصحة مثل العبد لله ، دمها خفيف مثل الولد المضروب صلاح ، أخو حضرتنا، شقية مثل الولد اكرم ابن حظرتنا ، باعتبار أنه واجب علينا ذكر العائلة كلها فى هذا الكتاب

أنا سألت البنت الشقية السفروتة الناصحة وعندها من السن عشرين فقالت بصراحة نعم أنا عندى تجارب كأى بنت فى أى مكان ...

ولكن ...

وتوتى توتى .. وماخلصت الحدوتى



وميت عفارم على السوداني الطيب ابن الناس الطيبين ،
يجلس معك فيسألك كل لحظة عن الصحة والاحوال ،
ويسهر معك فيضحك لكل كلمة ويفرح لكل اشارة
ويعامل كل واحد فى الجلسة على انه ظريف ولا حضرتنا
خفيف ولا ابو لمعة

وفى ايام الصفاء يبيع السودانى الطيب ابن الناس
الطيبين متاعه من اجلك ، وفى ايام الحرب يخلع السودانى
الطيب ابن الناس الطيبين جلبابه ويسبقك للجبهة ..
ولكن السودانى الظريف الطيب ابن الناس الطيبين
حساس للغاية وقد يغضب لاقل اساءة توجه اليه ، ولذلك
انصحك يا عبد الله ان تكون حريصا غاية الحرص وانت
تتعامل مع السودانى وانت فاهم لهذه الحقيقة ، لان أى
غلطة أو أى هفوة قد تؤدى الى ما لا يحمد عقباه ! انا مثلا
اعتقد ان مواعيدى مثل نشرات مصلحة الارصاد ، قد
اصدق فيها وقد لا اصدق . وما دمت مثل مصلحة
الارصاد فأنا لا اخاف لان احدا لن يحاسبنى ، وانا اطلب
من الآخرين عدم الخوف لانى لن احاسب احدا .
والسودانى أيضا مثلى ومثل مصلحة الارصاد ، ولكن
يا للعجب لا يخاف اذا ضرب لك موعدا وتأخر ، ويخسفك
اذا ضرب لك موعدا وتأخرت.. لذلك يجب عليك الذهاب

فى المكان والزمان المحدد لان السودانى الطيب قد يحضر وأيضا قد لا يحضر . فاذا حضر وحضرت فيا اهلا وسهلا ، واذا حضرت ولم يحضر فلا بأس وكل شىء يذهب له تعويض ، واذا حضر ولم تحضر فيا واقعة سودة ، سيغضب السودانى ولن تستطيع ان تتصالح معه !! انا كان معى موعد مع سيدة فاضلة من طليعة الحركة النسائية فى السودان اسمها خديجة صفوت .. موعد العشاء .. فى منزلها العامر

العامر دائما .. بالضيوف والموائد والخيرات . وفى ذات اليوم كانت السودان كلها تغلى ، مظاهرات فى الشوارع ، مظاهرات فى الضواحى ، مظاهرات فى الاذاعة . والسودان كله يجلس على بركان . وبالطبع انتظرت وبالطبع لم تحضر . والتقينا بعد ذلك وحددنا موعدا آخر ، وكان الموعد فى الثامنة وانتظرت حتى الثامنة والنصف ولم تحضر . والتقيت فجأة بالملحق الصحفى حسنى عبد الوهاب فدعانى على العشاء . وذهبت معه الى قرية ما أحلاها .. قرية الكدرو التى التماسيح فيها تلعب فى المويه كما البط فى ترعة بلدنا . وسهرنا وانبسطنا وانشكعنا وكانت سهرة ولا كل السهرات . ثم التقيت بالسيدة خديجة بعد ذلك فى القاهرة فاذا بها زعلانة ؟..

ليه ؟ لاننى لم انتظرها فى الموعد ! انا الذى انصرفت فى الثامنة والنصف والموعد كان فى الثامنة ، وهى حضرت فى التاسعة ، ولكن الواجب كان يقتضينى ان انتظر ولا ابرح مكانى حتى تشرق الشمس ، ومن يومها وهى زعلانة .. مع اننى لست زعلان !

ومرة ولد صاحبى اسمه ادوارد فى مطار الخرطوم عزمنى على خروف مشوى .. ومن يومها وانا ضعيف

واصفر ومعلول وحالى عدم لان الخروف تكررت عزومته اكثر من مرة وانتظارى طال له فى شرفة الجراند اوتيل !

ولكن هل السودانى بخيل ؟ اعوذ بالله ! السودانى هو اكرم عربى . فكيف يكون حاله اذا علمت ان العربى هو اكرم الناس ! انا استطيع ان اعيش عمرى كله فى السودان بلا شغله ولا مشغله وانا ضامن أكلى وشربى ولبسى وسهرى وكل شىء وما دام الناس احبوك فلك « روحى ونفسى وماليا » على راى عمنا الشاعر المتنبى طيب الله ثراه ، انا كنت فى لندن والبنت هالة فى المستشفى يخلع الطبيب لها عظام الحوض . وتلقت هالة عشرين هدية اكثرها من ناس من السودان كانوا أيضا فى لندن . ناس لا اعرفهم ولا يعرفون العبد لله . مجرد صلة ، صلة بين قارىء وكاتب ، وصلة على البعد ولكنها عند السودانى الطيب اعمق من كل شىء وأبقى من كل شىء . واحتجت فى لندن الى فلوس وكدت أرفع يافطة واقف فى ميدان البيكاديلى وازعق بالصوت الحيانى عشا الصحافة عليك ياكريم . الهى يحنن عليك ياجورج يا ابن جونيا وآشلى ياللى تقول خد شلن لله . وفجأة وانا فى عز الازمة ضرب تليفون فى الحجرة وقال المتحدث .. محمود السعدنى ؟ قلت : آه .. قال بدون كلام ولا سلام : يلعن .. وادركت من خلال الكلام المهذب الرقيق انه صديق وانه صديق عزيز ولكن لم أتبين من هو على وجه التحديد ، فقلت مبتهجا يا أهلا وسهلا ، قال : انت فين يا ، قلت : انا تحت أمرك موجود الآن وكل آن ، خدام رجليك تحضر الينا أو أحضر اليك . قال : أين العنوان ؟ قلت : شارع كيت .. رقم كيت .. وجاء الضيف الكريم واكتشفت انه محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان . وبما ان محجوب طويل كما شجرة الابنوس رقيق كما العاج

رشيق كما لاعب الباسكت بول ، وبما ان العبد لله قصير كما شجرة موز ، نحيف كما سيجارة هوليود .. فقد تشعبطت على رقبته وهات يابوس وهات يا احضان وهات يا سلامات ويا أهلا وسهلا . ولم يكن محجوب وقتئذ رئيسا للوزراء ولم يكن وزيرا. كان يشتغل بالمحاماة وكان فى لندن هو الآخر للعلاج ، وقبل ان يجلس محجوب او يلتقط انفاسه قال : اسمع ، انا حضرت للعلاج لمدة شهر ومعى ما يكفينى من النقود . وانا استطيع ان اقضى هنا اسبوعين بدلا من شهر ، ثلاثة اسابيع كفايه واكثر من كفايه ، واستطيع أيضا أن أقطع رحلتى الآن وأعود الى السودان . قلت : ولكن ليه ؟ قال : انا علمت ان بنتك هاله فى المستشفى وانك تعانى من الفلس العظيم وانك فى حاجة الى نقود ، فخذ النقود التى معى وانا سأتصرف. وبكيت يومها كما لم أبك من قبل . وقلت لمحجوب لو حضرت قبل الآن بيوم واحد لاخذت كل ما معك . ولكن الله كريم ويحب كل كريم فك الازمة وانتهى الموضوع . ولم يتركنى محجوب حتى رأى كل الفلوس التى معى . وقضى معنا فى لندن أياما هى أحلى أيام العمر ! انا مثلا كنت واقف فى ردهة فندق السودان أتحدث مع احمد حمروش عن الدوسنطاريا اللعينة التى هاجمتنى فجأة وأنشبت أظافرها فى مصارين العبد لله . مجرد شكوى انا ارددها دوما كلما احسست بمصارينى تكركب وبطنى تلعب والعياذ بالله . وبعد عشر دقائق كان أخ سودانى ظريف يتقدم نحوى ومعه ربطة من جميع الادوية التى خلقت للدوسنطاريا من أول الانتوسيد الى الترامايسين ولم يكن بيننا سابق معرفة ولم تكن هناك علاقة . هو سمعنى فقط أشكو فطار الى الاجزاخانة وكان ما كان . واكتشفت ان اسمه عبد الحميد عبد الرحمن وانه صاحب

اجزاخانة وانه مدمن صباح الخير وان كل المحاولات التى بذلت معه قد فشلت ، ولذلك قرر أن يسافر الى بلاد بره لعله يجد مصحة تشفيه من صبـــاح الخير .. وانا مرة طلبت ذيل تمساح كان الممثل الضــــخم محمد رضا ، الضخم حجما ومقاما قد طلبه منى ، وفى الصباح كان أخ سودانى طيب يحمل على ظهره تمساح كامل يتلعبط وتركه فى غرفتى باللوكاندة . انا اقول هذا الـكلام ليه ؟ لاثبت لـكم ان السودانى اكرم عربى والعرب اكرم النـــاس . ولـــكن الولد ادوار خيبه الله يضرب مواعيد وينساها . ليس من باب البخل ، ولـــكن من باب الهزار ! وعندما نزلت الخرطوم هذه المرة كان ادوار هو أول من التقيت به فى المطار فهتف شديد الفرحة ، سعدنى قلت : أهلا ادوار . قال : انا عازمك فقلت على الفور ، على خروف مشوى بالزبيب ، قال : خيبك الله ، قلت : ولـــكن هذه الاسطوانة انا حفظتها ،والخرفان المشوية المزعومة أجهدت

معدتى ، ارجوك ياعم ادوار تعزمنى على شىء آخر مختلف قال وهو كذلك . فلتكن العزومة على خروف مشوى بدون زبيب !!! وادوار سودانى من أصل مصرى جده ذهب الى السودان منذ مائة عام ، وما اكثر السودانيين الذين من أصل مصرى هناك . وانا اقطع ان فى السودان سرا يشدك الى جوها ويقيدك فلا تستطيع الفكاك . انا عرفت واحد اسمه عم احمد تاجـــر ونزهى . أى انه فاتح تجارة فى الخرطوم ، ولـــكنه لا يعمل بالتجارة ، ولـــكنه يعمـــل بالنزاهة . فهو يعمل بحكمة فهدبلان «حنا للخيل والليل ..» وهو كلام هايف وان كان صوت الواد فهد كما صـــوت الفهد الحقيقى فى الغابة خلال الليل . عمنا احمد مصرى له فى السودان ربع قرن . وهو كان موظفا فى الرى ثم استقال وتزوج من السودان وعاش فى الخرطوم يشتغل

تاجر ونزهى . وفى كل عام هو مسافر الى القاهرة ليستقر هناك ، ربع قرن الآن وهو مسافر كل عام ولـكن لم يسافر قط ، وأراهن انه لن يسافر على الاطلاق ، عم احمد الذى اقترب الآن من الستين والذى يتمتع بحيوية شاب فى الخامسة والثلاثين ، والذى كل اصحابه من شباب السودان ، والذى حنا للخيل والليل ياويل ياويل ياويل ، اقصد ياويل الذين يسهرون معه ، لانه مثل عمنا كامل الشناوى رحمه الله ، لايعتقد ان الصباح قد جاء الا اذا توسطت الشمس كبد السماء على رأى الشيخ طاهر رحمه الله ! ولقد سهرت معه مرتين ثم اعتزلت . لم تستطع صحة حضرتنا مواصلة السهر الطويل الذى تعود عليه عم احمد منذ عشرات السنين . ولقد حكى الرجل قصته فى السهرة الاخيرة وكيف انه عاش فى سيدنا الحسين ولايزال يذكر كل شىء هناك المالـكى بتاع اللبن وأبو حجر بتاع الفول والفيشاوى بتاع القهوة وحتى عم على المجذوب الذى يصرخ فى الليل كأنه عرســـــة هاجمها كلب صايع مسعور . وعندما جاء الى السودان أول مرة كان شديد البؤس كأنه ذاهب الى الليمان . وفى القطار الى الشلال وفى المركب الى الشجرة فى الخرطوم فكر ألف مرة فى ان يهرب بجلده ولـكنه لم يفعل . واستسلم لمصيره حتى وصل الى الخرطوم . وعام كامل فى الخرطوم وموقفه لم يتغير ، كل صـــــباح ينزع ورقة من النتيجة ليعرف كم يوما مضى على وجوده فى السودان وكم يوما سيبقى فيه . وفى كل لحظة ينظر فى ساعته ليرى كم لحظة مضت وكم لحظة بقيت له هناك . .

وخلال ذلك العام الذى قضاه هناك راحت قدمه تغوص شيئا فشيئا فى قلب السودان . أصبح له أصدقاء وأصبح له معارف واصـــبحت له قعدات . . ! وكما يحدث فى

المسرح لم يكن عم احمد يعلم ان قدمه تغوص وانه غاص اكثر من اللازم ، وانه أصبح جزءا لا يتجزأ من السودان ، فقد أصبحت له زوجة ، تعيش فى الخرطوم واصلها من عطبرة . وانتهى العام . وحزم عم احمد أمتعته واستعد للرحيل ، وفى طريقـه الى مكتب القطـارات والمراكب والسيارات زينة ويخلق ما لا تعلمون . صادف فى طريقه فيللا معروضة للايجار فى شارع عريض وجميل فدخل على الفور ودفع الفلوس واصبحت الفيللا من نصيبه . وعاد الى مصر ولـكن فى اجازة ، ولم يمض شهر حتى شد الرحال من جديد الى السودان ، وفى كل عام كان ينوى الهجرة ، وفى كل عام كان يقضى اجازة فى القاهرة ثم يعود الى السودان

ومضت عليه سنوات طويلة ، وترك وظيفته فى الرى ، وافتتح محلا للتجارة ولايزال يعيش فى الخرطوم ، وأغلب الظن انه سيدفن فى الخرطوم بعد عمر طويل

وفى آخر ليلة سهرت مع عم احمد فى منزل صديق ، همس فى اذنى وانا أصافحه ونسمات الفجر الطرية تهب علينا وقال سألقاك فى مصر قريبا ، حاول ان تستأجر لى شقة خالية لاقيم فيها فقـد قررت الهجرة نهائيا الى القاهرة . وبالطبع لم استأجر له شقة ولم أكلف نفسى حتى عناء البحث عن هذه الشقة ! لاننى أعلم إنه سيكون واجبا على بعد عمر طويل ، لو سافرت الى الخرطوم . سيكون من واجبى أن أبحث عن القبر الذى يضم رفات عم احمد لاضع عليه وردة بلدى حمراء . فما أكثر شغفه بهذا النوع من الورود

رجل آخر التقيت به مصادفة ، فى رحلة خاطفة قمت بها الى جبل الاولياء . رجل من سـلالة المصريين الذين دخلوا السودان منذ زمن بعيد ، وهو لم ير القاهرة أبدا ،

ولم يغادر جبل الاولياء الا الى الخرطوم ، ومع ذلك جلس معى ساعة على شاطىء النيل الابيض يتحدث عن قرية جده الشهداء منوفية ، وعن عائلته التى تعيش على حرف الترعة . ولكن الغريب فى الامر انه لم يقطع الصلة أبدا بمسقط راسه ، جده وأبوه وهو نفسه تزوج من بنت فلاحة من الشهداء !

أريد أن أحذركم أيها الخلان من السودان انها تسحبك دون أن تدرى ، وقد تلعنها باللسان ولكن قلبك يظل يحبها حتى يتوقف عن الخفقان

انى اعرف ولدا اسمه على عزت .. طويل كما دولاب ، عريض الاكتاف كما بطل كمال أجسام وهو فى الاصل رياضى ، يقفز فوق ، ويجلس تحت ويفرد ذراعيه ، ويشفط أنفاسا عميقة عمق البحار . الولد على عزت كان مدرس رياضة وكانت له فى السودان علاقات واسعة ، وكان فى الخرطوم أشهر من كوبرى الجلاء فى القاهرة .. وانا نفسى تنفتح لاى مصرى فى الخارج يجرى بين الناس ، ونفسى تنفتح لاى مصرى فى الخارج يرفع شعار العلاقات الطيبة مع الناس أبقى ... نعم أبقى من تدريس النحوى وتلقين العيال ألفية ابن مالك وانا اعرف مدرسين فى الخارج من ماركة ساندويتش الجرجير ، يفر من الناس كأنهم وحوش ، ويفر منه الناس كأنه مصاب بالجزام ومن المدرسة الى العشة ، ومن العشة الى المدرسة ، ويحسب ان هذا غاية المرام من رب العباد . وانا اعرف مدرسين فى الخارج جلبوا لنا المصائب والكوارث لانهم خرجوا من هنا بعقلية شلشمون مركز منوف . والقرش الابيض ينفع فى اليوم الاسود ، ودبق ياعبد الله ومعاك الله ! والهدف فى النهاية قيراطين على ترعة جنزور . وفى سبيل هذين القيراطين يضرب بتاع القوطة بالراس من اجل نص فرنك

وينام على الاسفلت فى قسم البوليس من أجل خلاف على ايجار العشة ، حتى رجال السلك السياسي المصرى فى الخارج لايعرفون بالضبط ماذا يفعلون !! فى بلد مثل لندن مثلا انا محتاج لسفير محنك فى السياسة خبير فى الاتيكيت ، ولكن فى بلد مثل الخرطوم مثلا انا محتاج لولد فهلوى ابن بلد يعرف كيف يكسب قلوب الناس ولكن للأسف الشديد ، حتى الولد الفهلوى ابن البلد عندما يرتدى بدلة السلك السياسى يصبح من السلك ، والكلام يصبح من طرطوفة اللسان ، والحديث من القفا ، والنظرات ولا نظرات ممثل فى افلام الشجعان فى بلد كالسودان مثلا نماذج حلوة فى السلك السياسى المصرى ، نموذج واحد وربما اثنين ، والباقون جميعا سهراتهم مع بعض ، جلساتهم مع بعض ، اجتماعاتهم مع بعض ، ونادرا ما نجد سودانى بين هؤلاء المصريين . وهو عتاب ردده عم شبلى نقيب المحامين . وردده آخرون ولهم حق . وياسيدى فى السودان نحب الراجل المفتوح .. هذا رأيهم وانا معهم المهم على عزت ليس من هذا الطراز ، الولد الرياضي الطويل المشوق القوام وكل الخرطوم تعرفه ، وله عربية مرسيدس كانت فى الأصل قارب صيد على شواطىء منوف . فجأة نقلوه من السودان بعد سبعة أعوام ، والولد زعلان وأهل الخرطوم فى غاية الزعل مافيش كلام ، وانا أيضا زعلان من اجل على عزت ، ومن أجل الناس فى الخرطوم ..

رجل آخر شيخ مسجد الشجرة ، لا تجلس فى مكان الا ويسألك الناس عن هذا الشيخ .. ويامبت خسارة

لانى نسيت اسمه ، ولكن الرجل كان محبوبا وله فى السودان أتباع ومريدون ، وهو رجل شيخ وظريف ويعرف كلام الله ويعرف كلام الناس ، وعاش فى السودان زمنا

طويلاً حتى صار واحداً منهم ، ثم فجأة نقلوه ، وبعثوا بشيخ آخر يفهم فى كيفية الوضوء ، وفرائض الصلاة ، والصوم والحج لمن استطاع اليه سبيلا ، ولكن الرجل الشيخ الطيب الذى يفهم كل شىء فى الدين لم يكن يفهم كل شىء فى الدنيا ، فاغلق باب الجامع على نفسه واستقر فى أمان الله ، والناس فى الخرطوم لا تزال تذكر الشيخ الطيب الذى ذهب وتصرخ عليه . وانا مع أهل الخرطوم الطيبين انادى وزير التربية والتعليم بأن يعيد على عزت الى الخرطوم ، ومع أهل الخرطوم أطالب وزير الاوقاف بأن يعيد الشيخ الطيب الذى كان فى جامع الشجرة ، وانا مع أهل الخير أطالب اخونا الكبير محمود رياض وزير الخارجية بأن يعيد النظر فى السلك السياسى الذى يذهب باسم مصر الى الخارج ، فما اكثر الحكايات عن هـــذا السلك العجيب ..

# فهرس

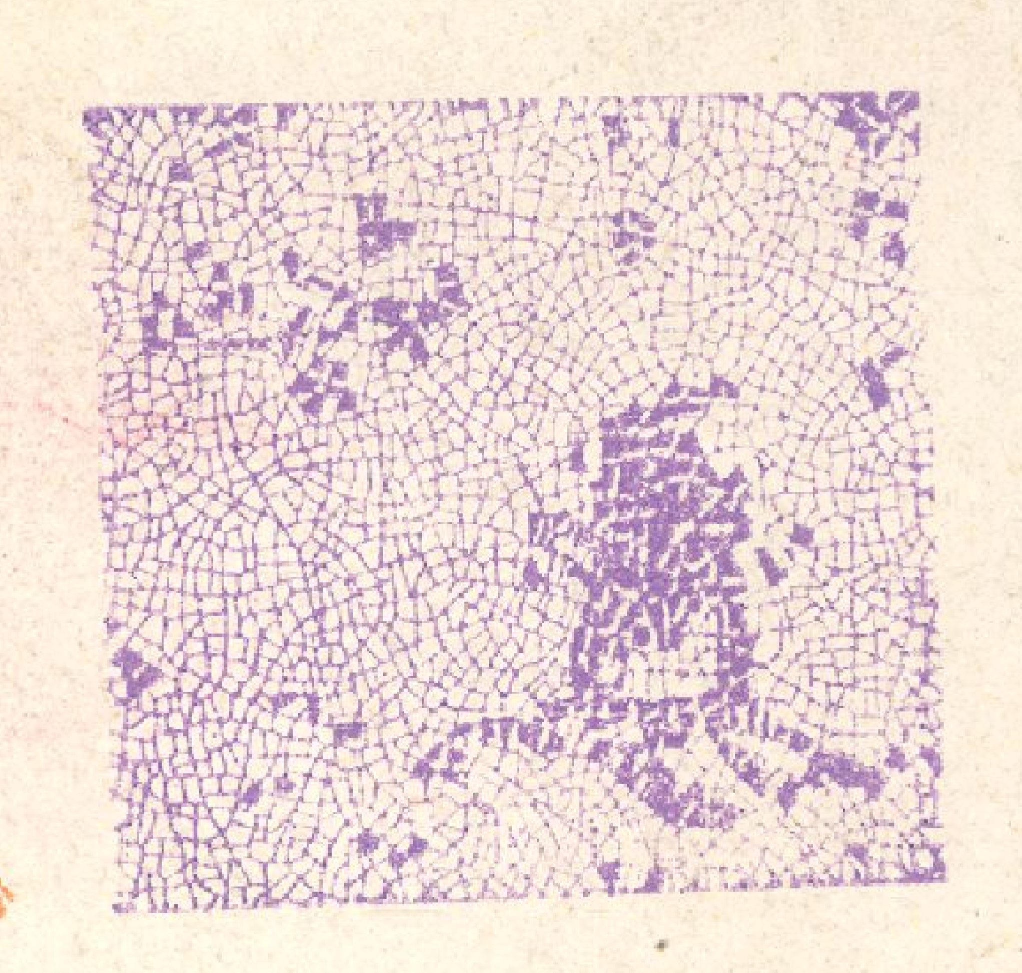
## وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

**البحرين** : السيد مؤيد أحمد المؤيد ــ ص:ب ٢١

**انجلترا** :
ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopesthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

**سنغافورة** :
M. Ahmed Bin Mohamed Bin Samit
Maktab Attijari Asshargi
P.O. Box 2205
SINGAPORE

**البرازيل** :
M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Marco, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo, BRAZIL.



## هذا الكتاب

من أكثر ألوان القراءة متعة أدب الرحلات والاسفار والمغامرات .. ومكتبتنا العربية تفتقر الى الكثير فى هذا الجانب من التأليف ، وخاصة ما يتناول الجوانب الخفية فى القارة الافريقية ..وموضوع هذا الكتاب رحلة قام بها المؤلف فى عدد من بلدان افريقيا .. شارك فيها المواطنين مباهجهم وحفلاتهم ، ومارس عاداتهم وتقاليدهم ، ووقف على الكثير من اتجاهاتهم الفكرية والنفسية ، وكشف عن مواطن القوة والمروءة والشهامة فى أبناء القارة ، وصور مظاهر الاستغلال التى حاول المستعمر أن يبتز بها أموالهم وخيرات بلادهم ، وسلط الاضواء على ألوان الفساد التى حاول - وما يزال يحاول - أن يشيعها بينهم ..وقد عرض المؤلف - وهو من كتابنا المعروفين بالدعابة الحلوة والروح المرحة - أحاديثه فى أسلوب طريف شائق يفيض بالمرح والفكاهة ..

